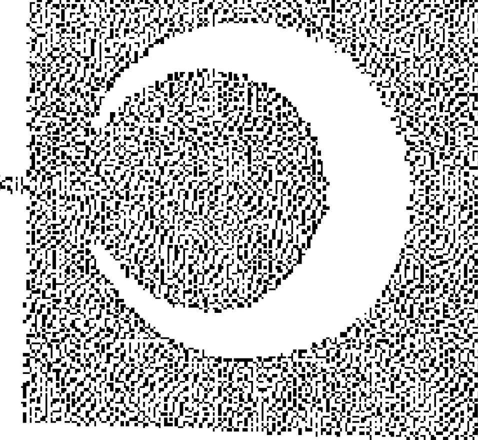
كتاب الهلال



العسكرية المصرية فوق سيناء

حمدي لطفي

سلسلة ثقافية شهرية

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : أمينة السعيد

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفني : جمال قطب

سكرتير التحرير عايدعياد

العدد ٣١٠ – شوال ١٣٩٦ – اكتوبر ١٩٧٦

No, 310 October 1976

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : «١٢ عددا» فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٢٠ قرشا صاغا • فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات امريكية أو ٢٫٥ جك – والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية • فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية والاسعار الموضحة اعلاة بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب •

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغــــلاف بريشة
الفنـــان جمال قطب

حمدى لطفى

العسكرية المصرية فوق سيناء

دار الهلال

تقديم
بقلم يوسف السباعى

فى الصحافة المصرية مجموعة قليلة من الشباب ارتبطت بقواتنا المسلحة ارتباطا وثيقا صادرا من أعماق أرواحهم وعقولهم ، فأعطوا العمل الصحفى العسكرى صياغات جديدة ارتفعت بهذا القطاع من مهنة الصحافة الى انضج المستويات على المستوى الوطنى ، كما قدمت لجماهير شعبنا نشاط وجهود أبناء قواتنا المسلحة وانجازاتهم فى ارقى وأرفع صورها عبر ميادين التدريب والقتال .

واحد من هؤلاء رأيته أول مرة وأنا أعد مع زملائى مجلة « الرسالة الجديدة » وكانت تجاور فى حجراتها حجرات مجلة التحرير عام ١٩٥٥ حيث ضمت حمدى لطفى من أقدم المحررين العسكريين فى مصر ، وأذكر اننى هنأته عام ١٩٥٤ على مقال كتبه عن الجيش الثائر حين يقوم بمناوراته الحربية ...

ومضت الاعوام ، وكنت أتابع كل مايكتب عن قواتنا المسلحة وخاصة مايكتبه حمدى لطفى فى حرب ١٩٥٦ وحرب اليمن ، ثم حرب ٦٧ حتى فوجئت به عام ١٩٦٨ يكتب مستندا الى وثائق عسكرية حقيقة ما دار فى هذه الحرب فوق سيناء ، ويشرح كيف أن الصورة لم تكن قاتمة شديدة السواد ، بل تخللها قتال يفوق قدرات البشر

ومعـــارك خاضها بعض جنـودنا الذين قـدر لهم ان يصطدموا بالعـــدو ، وكبـــدوه أقصى ما يمكنهم من خسائر ، وروى بالتفصيل الدقيق المعارك الانتحـارية البطولية التى قام بها طيارونا طوال الايام الستة مبرزا معاركهم يوم ١٤ يوليو التى دفعت اسرائيل الى الصراخ والاستنجاد لأول مرة بالأمم المتحـــدة متنقلا بالشرح والاستفاضة بين كثير من المعارك الفرعية التى خاضتها بعض وحدات المشـــاة والمدرعات والمدفعية فى سيناء ، ومنها ما عكف العـــدو على دراستها مثل معركة جبل لبنى ، وقد أثبت المقاتل المصرى خلالها كفاءته وتفوقه واقتداره على الحاق الهزيمة بالعدو الاسرائيلى المتفوق بالطيران والسيطرة الجوية والمعدات الارضية الاحـدث تكنولوجيا والـكترونيا .

وقد كتب هذه المقالات عام ١٩٦٨ ، وكانت كلمـات أشبه ببارقة أمل وسط ظلام المرحلة التى عشناها .

وبدأت مرحلة جديدة من الصراع المسلح مع العـدو الاسرائيلى عام ١٩٦٩ وهى مرحلة ما أطلق عليهـــا الردع وحرب الاستنزاف ثم الدفاع النشط ، وقامت بعض الوحدات العســكرية المصرية بالعبور الى سيناء وقاتلت دوريات العـــدو ، ثم عادت مرة أخرى الى قواعدها بالضفة الغربية ، تدريباً على العبور الشـــامل يوم يتقرر هذا اليوم .

وعاش المؤلف طيلة هـــذه السنوات والقتال مستمر يوميا بين طائراتنا وطائرات العدو ومدفعياتنا وقواعد صواريخنا وطائرات اسرائيل ، وبين مدفعياتنا الميدانية ومدفعيات العدو وكان للبحرية معـاركها أيضـا عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ عاش الصحفى بجبهة القناة ينقل الى القراء أبعاد هذه المعارك المشتركة .

وحين عهد لى الرئيس أنور السادات رئاسة مجلس دار الهلال ورئاسة تحرير مجلة المصور جاءنى حمدى لطفى وكان يعمل محررا عسكريا للمجلة عارضا نشاطه طالبا رأيى ثم موافقتى على استمراره فى الكتابة من خلال هذا الخط الانسانى ـ العسكرى حتى تقوم الحرب.

وأبديت له تحمسى وتشجيعى لهذا اللون من التحقيقات الصحفية وأذكر أننى أستعنت ببعض معلوماته التى أوردها فى كتاباته عن معارك شدوان وأنا أكتب قصتى الاخيرة « العمر لحظة » .

ورفع الرئيس السادات شعار « الصبر والصمت » من أجل المعركة ، وبقى المؤلف يكتب عن الفطنة والابتكار لدى المقاتل المصرى والعلماء العسكريين ، وعن الابداع فى استخدام الاضافات التى وضعها المقاتل العالم فوق المعدات الحديثة ، وعن صهر المهارات فى برامج التدريب والمناورات ، وعن العمل الجسور الجرىء الذى يقوم به أبناؤنا بجانب مدافعهم أو داخل طائراتهم ودباباتهم أو فوق قطعهم الحربية أو عبور قناة السويس الى الضفة الشرقية استطلاعا فى عمق سيناء.

وأذكر انه جاءنى فى منتصف عام ١٩٧٢ ، وقد أعد كتابا فريدا عن القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس محمد أنور السادات وقال لى انه يؤمن عن معايشة ميدانية لجولات السادات بين جنوده ، بأننا سندخل بقيادته معركة جدية ، وان النصر سيكون حليفنا بمشيئة الله ، واختار لكتابه عنوانا مثيرا فى تلك الايام من عام ١٩٧٢ « أنور السادات قصة ايمان بالعسكرية المصرية » وطلب منى أن اكتب مقدمة للكتاب ، ففعلت عن طيب خاطر ، وأحسست به يتنبأ مؤكدا وليس مؤملا بقيادة السادات لمسيرة النصر ، فقد كتب فى احدى صفحاته يفسر لماذا

أصدر هذا الكتاب عام ١٩٧٢ ، والجماهير تشعر بأنه لا أمل فى الحـــرب واسترداد سيناء بينما كان الرئيس السادات يقوم بخدعته الكبرى باذلا جهده حتى الحـد الأقصى فى اعداد القـــوات للحرب

وجاء يوم العاشر من رمضان ـ ٦ أكتوبر الخالد على مدى التاريخ وحققت قواتنا المســلحة أشرف وأرقى حروبها ، وتابعت كل ما يكتب عن المعركة ، وتوقفت أكثر من مرة عند رسائل حمدى لطفى الصحفية ، يكتبها من سيناء ، ومن قواعدنا الجوية والبحرية وعن دور كل سلاح مبرزا الجوانب العلمية العســكرية فى المعركة ، والبطولة الفردية فى الضباط والجنود ، والوعى القيادى بين القادة ، عارضا بأسلوب بسيط سهل قيمة وحجم وتفاصيل كل معركة فى البر والجو والبحر محييا بكل الاكبار والخشوع أعظم الشهداء صناع المجد البطولى العسكرى المصرى الذى حققته قواتنا المسلحة فى حرب أكتوبر .

ان حرب رمضان هى حرب الشعب المصرى بأكمله ، ولقد أعطاها كل ذخائره وبقى ينتظر ليشهد شريط نضال أبنائه وتضحياتهم فوق صـــفحات كتاب ، أو فيــلم سينمائى ، يروى بكل أمانة للأجيـــال القادمة ملحمة أكتوبر الشامخة ، الوسام الذى يتحلى به صدر كل عربى قبل المصرى ، فقد استرد العرب بها كما استرد المصريون ، ثقتهم فى أنفسهم وفى قدراتهم وفى طاقاتهم ، وأخيرا فى عملاقهم المقاتل المصرى ، الباقى دواما صامدا كالصخر ، فياضا بالشجاعة والـكفاءة ، ما ضعفت أبدا صلابته ، وما وهن عنـــاده ، وما ضاعت كبرياؤه ، وما استسلم على الاطـــلاق ، وما توقفت معاركه عبر التاريخ ...

« يوسف السباعى »

٧ أكتوبر فجرا

أنا بتكلم من سينـاء ...

أمسكت بجهاز التليفون الميدانى وأنا فوق رمال سيناء ـ فى موقع هجومى ـ وتحدثت مع جندى من قواتنا فى الضفة الغربية ..

وناداني الجندى : ماذا تريد ؟

ولم أستطع أن أرد عليه .. تلعثمت وأصابتنى رعشة برد كأننا فى يناير وجف حلقى ، ثم امتـلأ فمى بالدموع وبصعوبة قلت له :

ـ انني أكلمك من سيناء .

وقال الجندى :

ـ اننى أعرف هذا .. ماذا تريد ؟

ـ لا شيء اننى أكلمك من سيناء ، ألا يكفى هذا ؟

وشعر الجندى باضطرابى فقال مهدئا :

ـ اطلبنى وقتما تريد .

سيناء ولا شيء غيرها

كأن أرض العالم كلها قد ضاقت أمام جنودنا وأمامى ، فأصبحت فى عيوننا ، فى قلوبنا ، فى خيالنا « سيناء » فقط ولا شيء غيرها ..

سيناء لم تعد أسيرة ـ لقد عبر الرجال اليها فى ساعة تاريخية خالدة محفورة فى تاريخ العسـكرية المصرية ،

ساعة حققت عنصر المفـــاجأة الكاسحة القاتلة فاعطت لقواتنا امكانيات السيطرة على مسرح القتال حين فتحوا نيرانهم من كل جانب ، حتى اشتعلت الارض أمامهم ، بل تحت أقدامهم ، وهم ينتقـــلون من مرحلة الأخرى ، يتدرجون بقتالهم أنبل وأشرف القتال ..

لحظات لا تجد لهـــا وصفا ، ولا تبلغ الكلمة العربية قمتها على الاطلاق ، لحظات تشعر بها فجأة وقد أشحنت الروح بمشاعر جليلة سامية ، حين تتدفق وحداتنـــا الضاربة بكامل أسلحتها المدرعة والميكانيكية عبر الجسور والمياه من الضفة الغربية الى سيناء .

ويدور القتال أكثر ضراوة وأشـــــد عنفا ، وأقوى اقتدارا ، وكفاءة . والنيران تنهال كالسيول ، ومعنويات رجالنا تناطح السماء ، وهتافاتهم تدوى عبر الصحراء .. الله واكبر الله واكبر .. منصورة يا مصر ..

عندما كان سلاح المهندسين يقيم الكبارى بين الضفتين كان الفلاحون بالقرى المواجهة للضفة الغربية ينزلون الى الماء حاملين المعـــــدات والآلات بجانب اخوانهم الجنود والمهندســـين ــ والنســـــاء امام أبواب بيوتهن يطـلقن الزغاريد ..

ان الفلاحين ، أبناء ذلك الرائد العظيم ، أبناء الريف المصرى ، نبع الرجولة والشجاعة والاصالة المصرية ــ هم أول من شاهدوا اللحظات الخالدة لبدء الهجوم ، انها لحظات أكثر أهمية وخطورة من الهجوم نفسه ــ وعليها ــ على دقة التنفيذ للمخطط العسكرى المصرى ووضوح الرؤيا ، ونقاء الفـــكر ــ توقفت نتيجة أول موجة من هجوم قواتنا ، ذلك الهجوم الذى نشر روح النصر بين الجنود والضباط فوق الارض أو فى السماء أو البحر ــ فاعطت نيرانهم أكبر النتائج التـــدميرية وجعلت رجالنا

يمسكون بعامل المبادأة وخصـــائص الكفاءة الديناميكية وسرعة التحرك والمرونة العالية .. تلك الأسس الجوهرية فى نجاح أول موجات الهجوم المصرى .

قوانين القتــال

لقد عملوا فى صمت فى البر والجو والبحر – وفى كل تدريب كانوا يطورون أشــكال قتالهم بل طوعوا قوانين القتال الأساليب أكثر مرونة وأكثر تفوقا واقتــدارا على الالتفاف والتطويق والانقضاض الكاسح المفاجىء السريع .. تلك ملامح فتح النيران على دفاعات العدو ومواقعه الهجومية فوق أنحاء سيناء .

لقد عملوا فى صمت من أجل هذا اليوم وواجهوا أعظم التحديات ، بكل التكاليف والايمان والتضحية ، بالنضال الدءوب،بالمناخ العسكرى الراقى بالارادة الجماعية بالتلاحم البشرى المثمر بين الاسلحة المشتركة ، أداروا معـــارك الاختراق والتقـــدم ، معركة طويلة ، ذخيرتها أبناؤنا وايمانهم بشرعية قتالهم ، وأغلى تضحياتهم .. حتى تحقق العسكرية المصرية أشرف مهامها التاريخية تحت قيادة الثائر القائد الأعلى أنور السادات .

من سيناء أكتب ولا أستطيع السيطرة على مشــاعرى أو حواسى .. ان القوات الميكانيكية تطهر الأرض أمامها .. وقواتنا الجـــوية تقهر السلاح الذى قال عنه قادة العدو ذات يوم « ســـلاح لا يقهر » وكل الرجال وقد تحولوا الى أطول وأقوى ذرع عرفتها مصر يستخدمون أحدث الأسلحة بكل المهارة والثبات والرسوخ وقد عادوا الى أرضهم الســليبة – يمضون من محـور الى محور آخر ، فاتحين لنيرانهم ، رافعين لراياتهم ، عازفين أعذب الألحان وأقربها الى القلوب .. لحن النصر .

لقد أردت أن أبدأ كتابي بهذه الرسالة الأولى التى بعثت بها من الارض الاسيرة وهى فى طريقها الى التحرير ، ليس تعبيرا عنى بقدر ما هى تعبير عن الاستبسال الذى أعطاه أبناؤنا مقدمة لقتالهم ، واستمرارا بعد ذلك طوال أيام الحرب المحفورة فى تاريخ نضالنا ..

ومن هذه السطور ، أردت أيضا أن أقدم جهـــدى المتواضع ، وهو فى النهاية هذه الصفحات « العسكرية المصرية فوق سيناء » .

لقد عايشت معارك أسلحتنا منـــذ البداية ، وكنت حريصا على الانتقال من سلاح الى سلاح داخل سيناء حتى أتمكن من تغطيـــة واجبى الصحفى أولا ، وحتى تكتمل الصورة أمامى ، وأنا أشهد على الواقع شـــكل القتال بين دفاعاتنا المضـــــادة للطـــائرات والفانتوم الاسرائيلية ، وبين مدفعياتنا الثقيلة ومدفعيات العدو ، وبين مشـــاتنا والدبابات السنتوريون والباتون ، وبين طيارينا وطائرات اسرائيل الاسطورة !! .. وبين عمالقة الاشارة فى قواتنا ، والكترونات العدو فى صراع الاعاقة والسيطرة ..

ومن هنا فضلت الانتظار هذه الفترة لـــكى أعمل فى اعداد هذا الكتاب ، فالصورة الكاملة التى أردتها أمامى لم أستطع الحصول عليها بالتفاصيل والخطوط الضرورية أثناء العمليـــات الحربية .. ففى الميدان تختلف شكل الامكانيات والتقديرات والنتائج تماما ، عما فى حسابات المرء قبل أن تضمه أطهر الأرض المروية بالدماء .

ولم أكن فى الحقيقة أسعى بداية الا لمعايشة الحرب والرجال العمالقة من أبناء وطنى .. ربما تعبيرا عن ثأر شخصى يعيش فى داخلى أنا الآخر .. فقد عدت منذ سنوات مع قواتنا المسلحة الجريحة يوم ٧ يونيو عام

١٩٦٧ الى السويس ، وبقيت شهرين فى بيتى غير قادر على الحركة أو العودة الى عملى ..

وعشت بعد ذلك فوق الضفة الغربية للقناة منذ نهاية ١٩٦٨ ـ أحلم بالعبور والعودة الى سيناء ، وبعد أن توقفت حرب الاستنزاف فى الاسبوع الاول من اغسطس عام ١٩٧٠ ، ضاع الحلم منى تماما وتبدد ، ولكن الامل راودنى مرة أخرى مع الاشهر الاولى من عام ١٩٧٢ ، وبقيت مؤمنا بضرورة تحرير سيناء ، وقد أيقنت كما أيقن كثيرون كانوا يشهدون لقاءات القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس أنورالسادات بالمقاتلين فى خطوط جبهة القناة وفى خطوط العمق ، ويستمعون الى احاديثه واجاباته على أسئلة أبنائه المقاتلين .. وهى احاديث لم تنشر على الاطلاق قبل الحرب ، أيقنت ان حتمية تحرير سيناء واردة لا محالة ، وأصدرت فى منتصف عام ١٩٧٢ كتابا بعنوان « أنور السادات قصة ايمان بالعسكرية المصرية » وقد تفضل الصديق والأخ الكبير الكاتب الفنان الأستاذ يوسف السباعى بتقديم هذا الكتاب ، فكان بصيصا من أمل على طريق الخلاص .. حتى قامت الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣ ..

هذه هى معايشتى لحرب رمضان الماجدة ، فوق الأرض المحررة من سيناء الأسيرة ، وأرجو أن يهبنى الله ـ القدرة والبقاء ـ لأشهد تحرير بقية الارض الغالية التى جاد من أجل خلاصها أشرف الرجال وأشجع الرجال وأقدر الرجال .. جيل كرم الله بعضه بالشهادة ، أرفع الشهادة ، دفاعا عن العسكرية المصرية وشموخها ومجدها البطولى فى الاستبسال والثبات والصلابة الفولاذية حتى وهى تعيش الهزيمة التى فرضت عليها عام ١٩٦٧ ، وما أروع تفاصيل بعض المعارك التى خاضتها قواتنا

تلك الأيام فى سيناء .. تلك الايام من ١٩٦٧ ـ مثـل « معركة جبل لبنى ومعركة أبو عجيلة » وقد وقف نقاد العالم العسكريون عند كل منها بالتحليل والدراسة .. ذلك لأن المقاتل المصرى استطاع فى هذه المعارك أن يلتقى بالعدو ، وأن يمتلك الفرصة ليكشف عن قدرات ونوعية العسكرية المصرية فى معاركها التصادمية ، أخطر وأقسى المعارك القتالية ضراوة ومفاجأة .. وقد ضربت بهاتين المعركتين مثلا ونموذجا تعرفه وتدرسـه أكاديميات عسكرية فى غرب العالم وشرقه ..

انه فى النهاية .. ذلك المقاتل المصرى ، الذى أنجبه ريف بلادنا الرائد العظيم ، الوجـه المشرق المخضب بالدماء ، انه العسكرية المصرية فوق سيناء ...

رؤيـــة للمعركـــة
من خلال الملف ٢٧٤ ؟؟

لقد عرف الشعب المصرى أنور السادات كأول وجه من وجوه ثوار يوليو ١٩٥٢ ، بل لقد عرفوه من قبل مناضلا وطنيا ، عرفوه قبل ١٩٥٢ بعشر سنوات يزأر باسم مصر خلف الأسوار فى المحاكم والسجون وتحدثت الجماهير بكفاحه الوطنى بين طليعة الفـــدائيين الذين وهبوا أرواحهم لله والوطن ..

سمعوا به أسطورة حية رائدة ، أعطى مصر كل شبابه وحياته ومستقبله ، تحدى الاحتلال البريطـــانى داخل الجيش المصرى وفى أنحاء الوطن ، تحدى سلطان الملك وصنائعه من الزعماء المصريين ، ضرب بالرتبة العسكرية التى يحملهـا وبالوظيفـة وبالاستقرار المعيشى عرض الحـائط ، وهو الزوج والأب ، واقتحم السجون وعانى الجوع والحرمان دون أن يهتز ايمانه أو تضعف مبادئه .

وعرفه الشعب كاتبا وصـــحفيا ، ولكن تاريخه العسكرى ظل مجهولا لقطاعات عديدة من جمـــاهير شعبنا ، ومن خلال أنور السادات الضـابط بالجيش المصرى نستطيع أن نرى حرب أكتوبر الماجدة أكبر الرؤى ، نراها بحجمهـا الحقيقى وخلفياتها الفريدة ، من خلال عسكريته وايمـــانه بالعسكرية المصرية كان التخطيط للحرب ، والتجهيز لها وضع عدة خطوط تحت كلمة

التجهيز، فحتي اليوم لم تصبح أسرار عمليات التجهيز وتتضمن التسليح والتحضير لفتح القوات ضمن نطاق العلنية ليمكن كتابتها واذاعتها ، ثم كان التنفيذ المشرف الذى أداه مقاتلونا الصناديد العمالقة ..

وفى هذه الصفحات أعرض تاريخ السادات من وقائع ملفه العسكرى الشخصى الذى يحمل رقم ٢٢٧٤ بين ملفات ضباط الجيش المصرى ..

ولقد أغلق هذا الملف تماما بعد قيام الثورة مع ملفات اعضاء مجلس قيادة الثورة ، وهو يضم الوثائق الرسمية والشهادات التى حررها قادته ، وحصل عليها السادات بوطنيته وارادته وسيرته وثقـــافته وفنونه الميدانية ، وابتكاراته العلمية التى قدمها لجيشه البطل .

انه انور السادات الذى قال فى ١٩ فبراير ١٩٧٤ بين أعضاء مجلس الشعب :

لقد جرت العادة والتقليد أن يقدم القائد العام للقوات المسلحة تقريره الى رئيس الدولة عن المعارك التى خاضتها القوات يعرض فيها الجهود التى قامت بها القيـــادات ويسجل أعمال البطولة التى قام بها الجنود والضباط ، ولكنى طلبت من القائد العام للقوات المسلحة الفريق أول أحمد اسماعيل على أن يقدم هذا التقرير التاريخى الى تحالف قوى شعبنا العامل ، فهذا الشعب هو صاحب الأسلحة التى حققت المعجـــزة ، أسلحة لم تصنع من الفولاذ فقط ، وانما صنعت أيضـا بالايمان والاصرار صنعت بالعناد والعرق ، صنعت بالدم والتضحية وقوة الاحتمال .

ان تضحيات الشعب المصرى هى التى زادت من فاعلية الصواريخ وهى التى ضاعفت من قوة انطلاق المدافع ، وهى التى دعمت صلابة الدبابات ، وشراسة الطـائرات

وسيطرة قواتنا البحرية ، ايمانا وبسالة وبطولة واقتدارا لقد ارتفعت أعلام النصر فوق أرضنا ، وردت قواتنا للعرب كبرياءهم واستردت لهم احترام شعوب الدنيا كلها » .

ولم تكن كلمات القائد الأعلى للقوات المسلحة حين قال المجد لأبطال ٦ أكتوبر محييا شعبه صاحب العطاء العظيم المتجدد دوما « لقد أخرج لكل جيل أبطاله ، وقدم فى كل امتحان أعز شهدائه وان ما برهنت عليه قواتنا المسلحة فى حرب أكتوبر الماجدة يمكن أن يتكرر ، وان قواتنا المسلحة تستطيع أن تكرر البرهان مرات ومرات »

« مرات ومرات » ، لم تكن كلماته صادرة عن انفعال وطنى تأثر به ، بل عن يقين وادراك ، فقد عرفه رفاق السلاح منذ الأربعينات حتى السبعينات رجل تخطيط وفكر ومنطق ، وهبه الله القدرة على الرؤى الناضجة الواعية بأبعاد كل موقف ، والقدرة على الاتصال الوثيق بالحياة والنظر الى الماضى فى شجاعة وكما قال ذات يوم « فلنجعل من هزيمة يونيو ٦٧ قاعدة انطلاق لبناء بلادنا » .

لقد عاش القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس محمد أنور السادات مؤمنا بالعسكرية المصرية ، فأعطاها من روحه صياغات وطنية جديدة حرص على نشوئها وارتقائها فى أسلحة الجيش التى خدم بها ، وفى تشكيلات رفاق وأصدقاء السلاح ، وكانت نوازعه التى يحملها فى ثناياه تدفعه للعمل بتركيز وتكثيف على التفاف الجماعة المتميزة بنقائها ووطنيتها حول هدف واحد ، وتماسك هذه الجماعة وارتفاعها فوق المثالب والخلافات الصغيرة لتنتشر وتثرى من حولها .

وكان احساسه متدفقا بتأصل الجذور المصرية

العريقة ، ونبتها البشرى من أبنائها وفى طليعتهم أبنـائه أفراد القوات المسلحة ، أولاده كما يناديهم ..

لقد ظلت مقاييسه حية نابضة خصبة دائما ، تعطى وتجود بأثرى الفهم والمشاعر ، وعاش بمكونات الانسان الثورى يرى الفضة فى عروق الظلام .

ومنذ تولى قيـادة الوطن رئيسا للجمهورية ، وقائدا أعلى للقوات المسلحة ، وضع أمامه عدة أهداف . يتقدمها هدف أول وهو اعداد قواتنا لحرب طويلة لابد منها ومن حتمية النصر .

وبدأ يعمل سرا ، وكانت نشاطاته التى تعلن فى الصحف والمجلات داخل قطاعات القوات المسلحة هى جزء من كثير حققه فى دأب مستمر منذ رفع شعاره الشهير « الصبر والصمت » من أجل المعركة .

كتب ذات يوم لأحد أصدقائه :

ـ « أن بعضنا غارق فى احساس الرضاء عن نفسه وعن عمله ، وهذا البعض ببساطة يفتقر الى هزة كبيرة ، هزة تقوده الى فهم جديد ينقذه من التخلف النفسى بل من السجن الانفرادى الذى أغلقه على نفسه دون أن يرى انه قابع بين أسوار هذا السجن » ..

الملف ٢٢٧٤

لقـد تعددت زيارات الرئيس السادات للوحدات الضاربة ابتداء من نوفمبر ١٩٧٢ ، وكان أغلب هـذه الزيارات يتم سرا ودون أن يعلن عنه ، وفى بعض الأحيان يترك القوات التى يزورها مستأذنا فى الانصراف لساعة من الزمن ويستقل طائرته الهيلكوبتر ويستبدل فيهـا ملابسه العسكرية بملابسه المدنية ويقابل فى القاهرة زائرا دبلوماسيا أو وزيرا أجنبيا أو رئيس وفد أوربى قدم

من الخارج ، وبعد الزيارة يعود فورا الى القوات التى تركها قبل قليل يكمل جولته وحديثه وتوجيهـاته .. وكثيرا ما تناول غذاءه مع أبنائه الضـباط والجنود فى السابعة مساء ..

وفى هذه اللقـاءات العامرة بشتى الموضوعات واخطـر التوجيهات ، كان يفضي بأسرار كثيرة الى المقاتلين .. أسرار خطيرة تتعلق بالقتال وقرب المعركة ، ولم يخرج سر واحد منها الى العلانية قبل ٦ أكتوبر ٧٣ ، ذلك لأن ثقته فى آلاف الضباط والجنود الذين كان يطرح أمامهم رؤيته للمعركة داخل سيناء ، ثقته فيهم كانت تطـاول السماء ..

وارتفع المقاتلون جميعا الى مستوى المهمـة المطروحة أمامهم ، ولم يردد مقاتل واحد مرة ثانية ما ذكره القائد الأعلى فى لقاءاته بهم من تفـاصيل ومعلومات سياسية وعسكرية .

وثائق ملفه العسكرى

نعود الى أوراق الملف العسكرى رقم ٢٢٧٤ ، فنجدها تقول ان صاحبها الملازم ثان محمد أنور السادات انضم الى الاورطة الرابعة مشاة كضابط مشاة ، فى فبراير ١٩٣٨ ، بمنطقة المكس بالاسكندرية ، وظل هناك حتى يوليو من نفس العام ، فنقل الى منقباد ، وهناك التقى مرة أخرى بالزعيم الراحل والملازم احمد اسماعيل ، وظل السادات بمنقباد حتى أول أكتوبر ١٩٣٩ ، وفى اليوم التالى نقل الى سلاح الاشارة ، وظل يخـدم فى منطقـة المعـادى برتبة ملازم أول حتى اغسطس عام ١٩٤٠ ، حينما ذهب الى الصحراء الغربية واستمر هناك عاما كاملا ليعود الى المعادى فى أول سبتمبر عام ١٩٤٠ ويظل

بها حتى أبريل ١٩٤١ ، فينقل مرة أخرى الى الصحراء الغربية فى ٢٥ ابريل ١٩٤١ ، الى ٢٧ يونيو من نفس العام وكان قد رقى الى رتبة ملازم أول كما ذكرت مع بداية عام ١٩٤٠ ، ونشرت الصحف اسمه بين أسماء الضباط الذين ترقوا من دفعته فى ٨ يناير عام ١٩٤٠ .

انضم الى سلاح الحدود ، والتحق بكتيبة اشارةالسلاح بالجبل الاصفر ، وبقى بها حتى ٧ أكتوبر ١٩٤٢ ، ليترك الخدمة بالقوات المسلحة بالرغم منه ـ تحت ضغط الاستعمار البريطانى والملك ، ويبقى بعيدا عن الجيش المصرى الى ١٥ يناير ١٩٥٠ ، حيث عاد الى سلاح الاشارة برتبة يوزباشى وكان قد حصل عليها قبل أكتوبر ٤٢ ، فى الوقت الذى كان زملاؤه يحملون رتبة « بكباشى » .

وابتداء من يناير ١٩٥٠ حتى سبتمبر من نفس العام، ظل ضابطا للاشارة بالقاهرة ، دخل خلالها امتحانين للترقى ، ونجح فيهما ، ورقى الى رتبة صاغ « رائد » الآن وكان ذلك فى ٢٣ سبتمبر ١٩٥٠ ، وقبل ترقيته بثلاثة عشر يوما صدر له قرار نقل الى القنطرة، وبقى بها حتى ١٠ أكتوبر ، ثم خدم بالعريش حتى نهاية مارس ١٩٥١ ، وأخيرا فى رفح ، حيث ذهب اليها فى ابريل سنة ١٩٥١ ، ورقى فى ٦ مايو ١٩٥١ ، الى رتبة البكباشى ، واستمر «برفح» كضابط اشارة بالفرقة الاولى مشاة حتى يوم ٢١ يوليو ١٩٥٢ ، حيث عاد الى القاهرة فى نصف اجازة ميدان ، وهى أربعة أيام ، ليقوم بواجبه الى جانب الزعيم الراحل فى ليلة ٢٣ يوليو الخالدة . . وكان الرئيس السادات قد ذكر فى حديث له ، ان «السيد حسن ابراهيم» عضو مجلس قيادة الثورة قد زاره « برفح » حيث التقى به بالمطار الحربى ، وأنبأه بساعة الصفر التى حددها القائد

الخالد عبد الناصر ، لتنفيذ الخطة مصر ثم عدلت الى نصر ، خطة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .
وكانت هناك معلومات أخرى قد أبلغت للرئيس السادات قبل أيام من وصول السيد حسن ابراهيم اليه، تفيد بأن موعد التحرك « سيتحدد وينفذ » خلال أسبوع، فاستعد لذلك ، كما روى من قبل رفاق السلاح الذين خدموا معه بالاشارة حتى صباح ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ، وهو يستقل قطار غزة عائدا الى القاهرة للقاء القائد الراحل جمال عبد الناصر ، والقيام بالثورة ..

تقاريره السرية

ذكر الرئيس السادات فى الاوراق التى حررها بخطه ، لضمها الى ملفه ، انه عند بدء تخرجه فى الكلية الحربية ، وأثناء دراسته العسكرية بها ، كان يسكن مع والده بالقاهرة بالمنزل رقم ١٨٣ بشارع القائد بكوبرى القبة ، ولا زال الشارع قائما يحمل نفس الاسم ، ولا زال البيت موجوداً ، وبه الآن مدرسة القائد الخاصة ، وان وظيفة والده هي كبير كتاب القسم الطبى بالمستشفى العسكرى العام بالقاهرة ، واسمه « محمد السادات » .
ثمة وثيقة أخرى حررها بخطه ، ويقول فيها : « انه يرغب فى دخول امتحان كلية أركان الحرب ، الدورة الثالثة عشرة ، وان اللغة الاجنبية التى يرغب الامتحان فيها هى الانجليزية — توقيع بكباشى محمد أنور السادات — الآى اشارة الفرقة الاولى — سلاح الاشارة الملكى — رفح — فى ٢٤ نوفمبر عام ١٩٥١»
وفى ملف الرئيس السادات عدة تقارير سرية ، وضعها قادته عن عسكريته وسلوكه .. جاء فى التقرير

السرى السنوى الاول ، وهو عن المدة من ٢ نوفمبر عام ١٩٣٩ حتى نهاية ابريل عام ١٩٤٠ ، وكان برتبـــــة ملازم أول ..

« الحالة الصحية ــ جيدة جدا » .

ناشيء يحترم نفسه جدا ويحترم رؤساءه ، يقدس واجبه الرسمى ويقوم به على أكمل وجه . على جانب عظيم من الاخلاق . هادىء الطبـع . يعمل فى صمت وسكون . كفايته الفنية والعسكرية تستوجب التقدير مكانته الشخصية موضع احترام زملائه ورضائى التام.

وفى تقرير آخر عنه وضعه قائد اللواء المشــاة فى ٢٣ مايو عام ١٩٤٠ ويبــدو أن السراى الملــكية كانت قد طلبت تقريرا سريعا عنه ، لان الفــارق الزمنى بين تاريخ التقرير السابق وهو نهاية ابريل عام ١٩٤٠ ، وتاريخ هــذا التقرير ٢٣ مايو عام ١٩٤٠ ، « ٢٣ » يوما ، لا تبرر اعداد تقرير سرى جديد عنه الا اذا كانت هناك تعليمات بذلك من وزير الدفاع أو الملك .. وفى تلك الفترة كان نشاط الملازم أول أنور السادات ضــد الاحتلال البريطانى ، قد بدأ يخرج من نطاق المجموعة الخاصة من الاصدقاء والزملاء ..

يقول التقرير :

أخلاقه حسنة ، نشيط ، ضابط جيد جـدا ومثالى قدير فى فنه ، ميال للضبط والربط ، أخلاقه حسنة ، مكانته متينة بين أخوانه .

وفى تقرير ثالث عن المدة من أول مايو عام ١٩٤٢ حتى نهاية سبتمبر ١٩٤٢ ويبدو أن بعض قادته شــعر بأن السراى لم تعد تطمئن الى نشاط هذا الضابط الذى يعمل بالسياسة ، فوضعوا فى تقريرهم كلمات مختصرة مثل :

« ضـــابط مؤدب ـ هادىء الطبـــاع ـ محترم من اخوانه ـ حسن المظهر والهندام ، كفاءته الفنيـــــة مرضـية » .

وكان « الرئيس أنور » فى تلك الايام برتبة يوزباشى ويعمل « قائد ثان » كتيبة لاسلـكى بسلاح الاشــارة ثم قرر « الملك » تلبية لرغبة القادة الانجليز اخراجـه من الجيش المصرى بدون تحقيق أو محاكمة ، ولم يكن قد حدث من قبل أن أبعد اى ضـابط بهذا الاسلوب الارهابى .. حدث هـذا فى ٨ اكتوبر عام ٩٤٢ ، أى بعد كتابة التقرير السرى السابق بأسـبوع واحـد ، وكان ابعاده عن الجيش بداية لسلسلة من المطـاردات البوليسية ، والزج به الى السجون والمعتقلات .. ولم تتوقف هذه الحملة الملكية الاستعمارية ضده حتى بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، الى أن اســـتطاع بفضل صموده ، ومعاونة بعض كبار الضباط الشرفاء ، العودة الى الجيش قبل منتصف يناير عام ١٩٥٠ .

ولـكن ماذا كتب قائده عنه ، فى أول تقرير سرى ، بعد عودته ضابطا !

كتبوا هذه الـكلمات « كفء » ، مطيع ، مؤدب ، نبيل الاخلاق ، معلوماته الفنية جيدة .

وفى عام ١٩٥١ ، جاء فى تقريره السرى عن ذلك العام :

متين الاخلاق ، حسن المظهر ، شخصيته محترمة وقوية ، كفء عسكريا واداريا ، ضابط مؤدب ومطيـع يمتاز بالرجولة الـكاملة ـ توقيـــع قائمقام محمود حسنى ، قائد آلاى الاشارة بالمشاة ، ثم توقيع آخر بالموافقة للأميرالاى محمد سيف ، قائد الفرقة الاولى مشاة ، تاريخ ١ اغسطس عام ١٩٥١ .

وفى آخر تقرير عسكرى وضع عنه كضابط بالجيش، ويحمل تاريخ نهاية ابريل عام ١٩٥٢ ، أى قبل قيام الثورة بثلاثة شهور ، جاء « ان البكباشي محمد أنور السادات ، شخصية بارزة ، أبرز صفاته الوفاء ، والامانة ، والرجولة ، موضع ثقة ومحبوب جدا من مرءوسيه ، نجح نجاحا تاما فى عمله ، وحصل على ثناء قائد الفرقة ـ توقيع قائمقام حسن محمد على قائد آلاى الاشارة » .

وفى الملف ايضا ، عدة شهادات نجاح بتفوق فى امتحانات فرق الشئون الادارية ، والاسلحة الصغيرة وقادة السرايا ، ولقد حصل على هذه الشهادات وهو برتبة يوزباشى ، واختصاصاته « اشارة » وكان قد قضى فور التحاقه بسلاح الاشارة فترة ليست بالقصيرة فى مدرسة الاشارة ، والتقى الاثنان مرة أخرى ، الزعيم الراحل والقائد الرئيس أنور السادات ، وكان الملازم جمال عبد الناصر يحصل على فرقة اشارة « كضابط مشاة » بمدرسة الاشارة وقتها .

ومضى هذا اللقاء الطويل بينهما يصنع كبقية اللقاءات التى تلته ، حلقة جديدة من حلقات الفكر الواحد ، والمشاعر الملتحمة ، والارادة التى لا تلين ، ولا يضيع الهدف يوما منها .. ولقد حقق الرجال بالفعل تلك الاحلام الوطنية التى راودتهم ذات يوم وهم يتقدمون بأوراقهم الى المدرسة الحربية ، وعاشوا من أجلها طلبة وضباطا ، ففجروا ـ بعد ١٤ عاما حافلة بالجهد والعمل والتعبئة والارهاب المسلط عليهم ـ ثورة ٢٣ يوليه الخالدة ، وقد دخلت الآن عامها الخامس والعشرين مليئة باليقين والمعارك المستمرة ، دفاعا عن الحرية والشرعية .

هذه بعض ملامح النسيج البشرى الفريد والاصـالة المصرية ، التى أنجبها الريف العظيم ، ريفنا الرائد الذى يعطى ويجود فى ثراء الأرض .

انه القــائد الأعلى للقوات المسلحة ، وقائد حرب اكتوبر الماجدة ، الرئيس أنور السادات .

بطل من جيل الألم

المشير الراحل أحمد اسماعيل على

من أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ـ والقائد الأعلى للقوات المسلحة ـ الى المشير أحمد اسماعيل على ، وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة .

تقديرا لرفيع مزاياكم ، ولما نعلم عنكم من ثاقب الرأى ، وواسع الخبرة ، وصادق الجهد فى خدمة القوات المسلحة ، يسرنا أن نمنحكم رتبة « المشير » اعتبارا من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

راجين تقديم دوام العون فى خدمة القوات المسلحة بجمهورية مصر العربية .

ويسرنا باعزاز تقديم هذه البراءة ايذانا بذلك .

القاهرة : » ١٩ فبراير ١٩٧٤ »

ان رتبة « المشير » التى حصل عليها القائد العام للقوات المسلحة المرحوم أحمد اسماعيل على — هى اكبر الرتب التى نالها قائد مصرى ـ عربى — خاض الحرب فى منطقة الشرق الاوسط .

ورتبة المشير التى أهداها القائد البطل الرئيس أنور السادات للمشير احمد اسماعيل على — هى الرتبة التى يحملها القائد الاعلى نفسه .

هذه هي قصة حياته ، سيرته العسكرية ، سيرة مقاتل أعطى أحلى سنى العمر ، للسلاح .. للميدان .. للوطن ..

لقاء وحوار فبراير ١٩٧٤

كان حركة دوران الحياة توقفت لحظة .. وفجأة تزلزلت الارض تحت أقدام المقاتلين ، وهم يعبرون الى قدس الاقداس سيناء ، فى لحظة ستظل محفورة بأحرف من نور فوق جباه شعبنا وأجياله القادمة ، الساعة ٢ من ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، الخالد على مدى التاريخ .

ان الأعمال العظيمة على مستوى الشعوب ، بل على مستوى الأفراد ، لم تكن أبدا وليدة يوم أو لحظة .. وهى لا تصدر بالتالى من فراغ أو تحت ضغوط الحاجة ، بل تبقى دائما ثمرة رؤى تبصر الأشياء بقدر احجامها الحقيقية ، ولا تخلط بين الصواب والخطأ ، ولا تلجأ الى الاعمال العفوية ، ولا تقبل الحلول الوسط .

ان استجاباتهم الفورية ، لنداء الواجب فقط .

تلك عمد نجاح كل الاعمال التاريخية العظيمة المتعلقة بمصائر الشعوب ، تفرزها نوعية من أقدر الرجال ، أبناء بيئة بالضرورة هى بيئة الصدق والشرف ومناخ الايمان وخشية الله ، وتربية الفكر الذى لايكف عن التقصى ، ولا يتوقف عن اقتحام المعارف ، يتزود منها بسلاح الثقافة والعلوم .

نصف اجازة

« لا المصادفة ، ولا خبطة حظ عشواء يمكن أن تحاق أمانى الجماهير .. »

جملة قصيرة عارضة ، قالهـــا البكباشي محمد أنور السادات ، فى رفح بعد منتصف ليلة ٢١ يوليو ١٩٥٢ ، وهو يقضي السهرة مع ضباط الاى اشارة الفرقة الاولى مشاة ، من رفاق السلاح ، استعداداً للسفر فجرا الى القاهرة مستقلا قطار غزة : لقضاء أجازة نصف شهرية « أربعة أيام » .

وقليل جدا من هؤلاء الرفاق كان يعلم أن البكباشي السادات ، ذهب ليؤدي دوره فى ثورة ٢٣ يوليو .

كان البكباشي السادات مسئولا عن خزينة النقود فى قيادة الفرقة ، وحين تصدق له بالاجازة الميدانية نصف الشهرية لزيارة أمه المريضة بالقاهرة ، تأكد لزملائه بعد ذلك انه خطط لكى يحصل على التصديق بالاجازة مساء ١٩ يوليو أو ٢٠ يوليو ، وقد حصل عليها فعلا يوم ٢٠ يوليو مساء ، ووصل القاهرة عصر يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ .

قبل مغادرته رفح ، بحث عن ضابط من رفاق السلاح يتولى عنه حمل أمانة خزانة الفرقة حتى عثر عليه ، « الصاغ جبران » وسأله جبران :

ـ « لماذا تترك لنا الخزينة بأكملها ، يكفى أن تعطينى مبلغا صغيرا من المال ننفق منه حتى عودتك بعد أربعــة أيام !؟ »

وقال البكباشي السادات :

ـ « قد يطول مرض أمي أو تموت ، وهنا سأطلب مد الاجازة .. من يفتح لكم الخزينة ساعتها ؟ » .

بعد قيام الثورة ناقش ضباط الفرقة الاولى مشاة هذه القصة ، وحين التقوا به بالقاهرة قال لهم :

ـ « لقد وضعت فى حساباتى لا قدر الله فشل الثورة والقبض علينـــا ، ولن يتورع أعوان الملك والاحتلال البريطانى عن التشهير بى مستغلين أمانة الخـــزينة

والأموال المودعة بها من عهـــدتى ، فأثرت ان أتخلص منها رسميا وأسلمها بمحضر ، لصديقى جبران .

***

رويت هذه القصة العديمه البسيطة ، لأدلل بها على تخطيطه لكل صغيرة وكبيرة ، ونظرته الاعمق لخطواته يقطعها على الطريق الذى اختـــاره الله منذ صباه ، وبعقلانية مدعومة بالايمان يأخذ قراراته ، ومن هنا كان النجاح دائما حليف خططه ونشاطه ، يزوده الخـــالق به على الاطلاق .

لذلك لم يكن من قبيل المصادفة اختيار القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات للمشير أحمـد اسماعيل على قائدا عاما للقوات المسلحة ووزيرا للحربية، بل لم يكن من قبيل المصادفة أن يسند اليه قبل هذه المهمة الوطنية الكبرى منصب مدير ادارة المخـــابرات العامة فى مايو ١٩٧١ .

ظل القائد الأعلى للقوات المسلحة منذ صباه يعتمد على التحليل والتخطيط ورسم الحســـابات ومناقشة الاوضاع وما يترتب عليها مستقبلا ، حتى فى أصـغر المشاكل الشخصية التى تواجهه .. هكذا يروى عنه زملاء الدراسة الثانوية ، وزملاء دفعة الكلية الحربية ، ورفاق السلاح ، كما كان يختار أصدقاء المناقشة والحوار بالوحدات العسكرية التى خدم بها ، بعد فحص دقيق لسلوكهم الشخصى ، وقـــدراتهم العقلية ، وتربيتهم الاخلاقية ، ثم يفضى اليهم بمشاكله ومتاعبه وأسراره ، وأحيانا تكون من صنع الخيال ، ليضعهم فى مهام اختبار ثلاث مرات ، قبل أن يقـــرر ضم هؤلاء الاصدقاء فى النهاية الى حلقات الضباط الاحرار .

من هذه الاصالة الصلبة فى اختيار الرجال ، والتكوين

البشري المنفرد الذى تحكمه قوانين وأخلاق وخصال ، لا تحيد لحظة عن خطها الصارم ، أستطيع أن اقول ان الرئيس السادات منذ تولى ولاية الوطن ، وعينه على الرجل المناسب ، ليعهد اليه بجانبه ، قيادة معركة تحرير سيناء .

لقد التقيا منذ سنوات بعيدة ، وتعارفا والتحما ، واختير كل منهما الاخر وهما في مرحلة الصبا .

ولد الرئيس السادات فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩١٨ .

وولد المشير أحمد اسماعيل على ، فى ١٤ أكتوبر عام ١٩١٧ ، بالمنزل رقم ٨ بشارع الكحالة الشرقى فى شبرا ، ثم عاش بالمنزل رقم ٢٤ بشارع بكتمر، فى أرض طوسون بالحي نفسه .

وفى عام ١٩٣٤ ، التقى الاثنان بحى كوبرى القبة ، وشبرا ، والسيدة زينب جمعهما السلوك المتقارب الاقرب الى خشونة الرجال منه الى لهو الصبا ، والاعتداد بالنفس والتعلق باهتمامات واحدة ، وكان لقاؤهما بدء صداقة طويلة ، كتب الله لها الاستمرار ، حتى أثمرت ٦ أكتوبر الخالد على مدى التاريخ .

محاكمة قوات الاحتلال

قال لى أحد أصدقاء هذه المرحلة من العمر :

ــ عشنا أحداثا أكبر من أعمارنا ، ولذلك كنا جيلا خشنا عرف الألم والمرارة مبكرا ، ومنذ طفولتنا والابناء لا يتحدثون فى البيوت الا عن « ثورة ١٩ » وشهدائها .. لسنوات طويلة كان حديث « ثورة ١٩ » هو الحديث الرئيسى الذى يشغل كل مصرى ومصرية ، وقد تركت المحاكمات التى قامت بها سلطات الاحتلال العسكرى البريطانى لجماهير الشعب فى أنحاء الوطن عقابا لهم

على الثورة ، تركت جرحا غائرا فى كل بيت !! ..

لقد أعدموا الرجال وسجنوهم وجلدوهم حتى ماتوا من التعذيب فى « القاهرة وأسيوط والواسطى وديروط وملوى والمنيـــا وفاقوس ورشيد وقليوب وبنى سويف وطنطا وكــوم امبو ودير مواس ومطـاى وأبو قرقاص واسكندرية ، وفى شبين الكوم والزقازيق وسوهاج » .

وظلت هذه المحاكمات تملأ خيالنا ، ووجداننا وعقولنا ، ولذلك لم يكن مستغربا أن تكون اهتمامات طلبة المدارس الثانوية فى الثـلاثينات والاربعينـات محصورة بالعمـل الوطنى ، وكان السادات واحدا منا غير أنه لم تكن له حياة خاصة كبقية أصدقاء عمره ، واشتهر بيننا بميله الى العسكرية والخشونة والجدية ، وكراهيتـه الهائلة لقوات الاحتلال ، وقدرته الشخصية على جذب الطلبة حوله ، وشحنهم دواما بالمشاعر الوطنية ، وكنـا نرى الطالب انور السادات والطالب خلوصى ، « المرحوم لواء خلوصى بعد ذلك ، والطالب احمد اسماعيل ، والطـالب السباعى ، الكاتب والوزير يوسف السبـــاعى ، معا يتحدثون ويلتحمون بالناس ، ولا يكفون عن الحديث فى الحرية والاستقلال وضرورة الرد على الانجليز » .

ولم يكن الطالب احمــد اسماعيل يختلف كثيرا عن الطالب السادات .

***

وجاء عام ١٩٣٤ ، وتقدم الطالب انور السادات وأحمد اسماعيل على ، الى الكلية الحربية ـ المدرسة الحربية ـ تلك الايام ، ورفضت أوراقهما لانهما من أبناء الشعب الفقراء ! .

والتحق الطالبان بكلية التجارة ، وخـــلال العام الدراسى الاول ، تقدما مرة ثانية الى الكلية الحربية ،

وأعيدت أوراقهما لهما لنفس الأسباب القديمة .
وانتقل الشابان الى السنة الثانية بكلية التجارة ، وكان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر قد رفضت أوراقه هو الآخر بالكلية الحربية فالتحق بكلية الحقـــوق .. لكن الثلاثة ظلوا يمسكون بالهدف ، وبكل العناد يعملون على تحقيقه دون يأس أو هزيمة .
كانت مصر تلك الفترة فى منتصف الثـــلاثينات تمر بمرحلة دقيقــة بالغــة الحساسية عبر تاريخ نضـــالها الطويل ، والجماهير مشحونة انفعــــالا وطنيا متأججا بمطالب الاستقلال ، تطرح بنوازعها الوطنية وبوحى من ضميرها صياغات ولدتها ثورة ١٩ ، وما خاضته من معـــارك ١٩٣٥ ، ودور الشباب المصرى خلالها ، ثم ثم ما أثمرته فى أرواح فتياتها ورجالها ، صلابة ونضج وتجربة وطنية واعية .. فى هذه الفترة جاءت مجموعات شابة من أبناء الشعب الثائر تسعى الى الالتحـــاق بالمدرسة الحربية ، جاءت من الكفور ، ومن أعمــــاق الريف الرائد العظيم فى الصعيد والدلتــا ، ومن قلب المدن الكبيرة الزاخرة بالمشاعر الوطنية ، مجموعات شابة مفطورة على قوة نفاذة محركة ، ولكنها مقيدة محبوسة فى كوامنهم ، وبالرغم من قيودهم عاشوا طاقات متجددة لا تهدأ ولا تفرغ أبدا .
كانت ملامحهم ولهجاتهم مختلفة تنبىء عن موطنهم ، ولكن ما يدور فى رؤوسهم ظل فكرا متقـــاربا ، تماما كأعمارهم ، ولذلك تآلفوا سريعا ، وكان هذا الفكر هو الرباط الوثيق الذى جمعهم ، ووحد كلمتهم وشـدهم بعضا الى بعض .
لم تكن الكلية ، أو المدرسة الحربية ، وهى ترفض قبول الطلبة من أبناء الشعب البسطاء حتى عام ١٩٣٥ ،

نقطة اجتذاب للارستقراطية المصرية أو الاسرة المالكة ، ربما التحق بها عدد قليل من الشباب يمثلون هذه الطبقة أو تلك الفئة ، حرصا من القيادة العسكرية الانجليزية على خلو الجيش المصرى من ضباط مصريين ووطنيين ، سيكون لوجودهم بالضرورة أسـوأ الأثر على أوضاع الاحتلال البريطـانى لمصر ، حتى وقعت أزمة الحبشة وايطاليا عام ١٩٣٥ ، وباتت هـذه الأزمة تهـدد الاستراتيجية الانجليزية فى الشرق الاوسط وافريقيا ، كما اقترن هـذا العـام بالحـرب الاهليـة فى أسبانيا ، وبتهديدات النـازية فى ألمانيا ، وتوقعت بريطانيا أزمة دولية أو مواجهـة عسكرية فتصورت أو خططت دورا للجيش المصرى ، يخدم مصـالحها وأهدافها ، وعلى الفور فتحت باب القبول بالمدرسة الحربية فى نهـاية عام ١٩٣٥ ، وقبلت عددا محدودا ثم عادت وفتحته مرة أخرى عام ٣٦ ، وكان الرئيس السادات بين من قبلت أوراقه ، والتحق بالكلية فى ٦ أكتوبر عام ١٩٣٦ ، وحين أعيد فتح باب القبـول مرة أخرى عام ١٩٣٧ ، انضم الطالب أحمد اسماعيل على فى ١٧ مارس ١٩٣٧ ، الى رفاق الشباب ، وكان الرئيس السادات بحكم الاقدمية « شاويشا » على الطلبة جمـال عبـد الناصر حسين ، وأحمد اسماعيل على .

وفى فبراير عام ١٩٣٨ تخرج الرئيس السادات وذهب الى سلاح المشاة فالاشـارة ، وفى أول يوليو من نفس العام ، تخرج المشير أحمد اسماعيل على ، وانضم الى سلاح المشاة .

والتقى الضـابطان الشابان مرة أخرى فى معسكرات منقباد والسودان والصحراء الغـربية ، ثم عادا الى سيناء ، وبقى السادات ضابطا مقاتلا برفح حتى مساء

٢١ يوليو ١٩٥٢ ، ليعود ويشترك فى تغيير مجرى التاريخ عام ١٩٥٢ ، ومرة أخرى عام ١٩٧٣ وبجانبه رفيق الصبا والشباب القائد العام المغفور له المشير أحمد اسماعيل على ، رجل أعطى العسكرية المصرية كل شبابه ورجولته ، فكانت ملهمته وفكره ووجدانه وشاغله الاول ، وقد كرس لها عمره ، بكل الحب والرجاء والايمان .

ولد المشير أحمد اسماعيل على ، لأب من ابناء حى باب الخلق وأم من حى السكاكينى ، تزوجا عام ١٩٠٠ ، وكان الأب يعمل مأمورا للادارة « أقسام الشرطة » ، وفى عام ١٩١٤ ، استقر بالعاصمة ، مأمورا لضواحى القاهرة، وأنجب أول أبنائه الدكتور محمد فؤاد عام ١٩٠٥ ، وكان « القائد العام » هو الابن السابع فى ترتيب الابناء الذين صعد بعضهم الى رحاب الله أطفالا ، ثم جاء محمود ، ومن خلال تعلق الشقيق الاكبر « أحمد » بالعسكرية ، والجيش ، التحق الشقيق الاصغر « محمود » بالكلية الحربية عام ١٩٣٨ ، وظل بالقوات المسلحة حتى أحيل الى المعاش منذ سنوات قليلة ، وهو برتبة لواء كى يتفرغ للعلاج .

قال لي الدكتور محمد فؤاد اسماعيل « ٧١ سنة » أمد الله فى عمره ــ الشقيق الاكبر للقائد العام .

ــ رأيت « أحمد » دائما ، جادا ميالا للصرامة والنظام ، دقيقا فى كل تصرفاته منذ صباه ، لا تشغله اهتمامات الفتيان فى الخامسة عشرة أو العشرين ، باحثا عن كتب التاريخ والسير ، وقادة الاسلام ، وفى المرحلة الثانوية اعتاد شراء الكتب التى تروى قصص القادة العسكريين ، وحروب القرون الماضية ، وكان يكتب أحيانا

تعليقـــــات على قراءته ، ثم يناقشها مع أخيه الاصغر « محمود » .

وكانت أسرتنا تضم عددا كبيرا من ضباط الشرطة ، ولكن « أحمد » صمم على الالتحاق بالكلية الحربية .

وبعد أن التحق بالتجارة أخذ يذهب ليلعب مباريات كرة القدم مع طلبة المدرسة الحربية . وعدة مرات فاز لكليته التجارة ، حتى أصبح اسما رياضيا لامعا ، بين لاعبى المدرسة الحــــربية ومدرسيها ، وبكل الاصرار والثبات حقق هدفه والتحق بالكلية الحـــربية ، تاركا التجارة التى نجح فيها بتفوق عامين دراسيين كاملين ، وقال أبوه رحمه الله :

ــ « كنت أعرف أنه لن يسكت ولن يقبـــــل رفض أوراقه ، بل كنت متأكدا أنه سيسعى دون كلل حتى يلتحق بالمدرسة الحربية » .

هو كذلك دائما ، عاش يبذل جهده حتى الحد الاقصى من الطاقة البشرية .

مقــاتل تشكيلات

منذ اليوم الاول لتخرج الملازم ثان أحمد اسماعيل على ــ ١ ــ يوليو ١٩٣٨ ، وهو يخدم ضابطا مقـــــاتلا بين تشكيلات الميدان بالصحراء الشرقية ، أو السودان أو الصحراء الغربية ، واخيرا سيناء ...

وطيلة عشرين عاما وأكثـــر قليلا وهو يمر بتسلسل متميز عبر مهامه العسكرية التىعهد اليه بها ، من ضابط استطلاع صغير بفصيلة مشاة الى قائد فصيلة ــ قائد سرية ــ رئيس عمليات كتيبة مشاة ــ قائد كتيبة ــ رئيسعمليات لواء مشاة ــ رئيسأركان لواء ــ قائد لواء ــ رئيس أركان فرقة مشاة فقائد فرقة ــ فرئيس أركان

للقوات البرية ، ثم قائدا للجيش بعد نتائج معركة ١٩٦٧ ، فرئيسا للأركان ، فقائدا عاما للقـــوات المسلحة ، يقودها الى معركة النصر .. أشرف وأغلى النصر ، فى حرب رمضان الماجدة ، وكان أكثر القادة الذين قاتلوا أعظم القتال خلالها ، ممن خدموا تحت قيـــادته فى تشكيلات القوات المسلحة بصحراء سيناء ، مع بداية الخمسينات .

عام ١٩٣٨ ــ التحق بالكتيبة الرابعة مشاة فى منقباد .. وهناك التقى مرة أخرى بالرئيس السادات القــائد الأعلى للقوات المسلحة وكان الزعيم الخـالد جمـــال عبد الناصر فى الكتيبة الخامسة مشـــاة بجوارهم ، ثم انتقلا معا للخدمة العســكرية فى السودان ، فالصحراء الغربية عام ١٩٤٠ ، وعمل المشير أحمد اسماعيل على ، ضابطا للمخابرات والاستطلاع فى منطقة الضبعة بالساحل الغربى حتى ١٩٤٢ .. وهناك وفى مواجهة القـــوات البريطانية وتحت قنابل ودانات الطـائرات والمدفعية الالمانية ، تأكدت النوعية القتالية للمقاتل المصرى ، لعديد من الضباط المصرية والجنود ــ وتحدثت التقـــارير السرية العسكرية الانجليزية ، عن أبنائنا ــ اقتـدارهم تحملهم للمشاق ، عسكريتهم الصارمة ، الضبط والربط لديهم ، نشاطهم القتالى ليلا ونهـارا ، طاقاتهم البدنية الهائلة ، تفاؤلهم ، قيـــادتهم لجنودهم ، حرصهم على تنمية خبراتهم الميدانية القتالية ، اقبالهم على التزود بالمعارف العسكرية المستحدثة ، ابتكاراتهم فى معـدات القتال ، سلوكهم الراقى ، تماســكهم الدينى ، وعيهم الوطنى .

وكان السادات ، واحمد اسماعيل على ، بين هؤلاء الشباب ابناء مصر وعقلها النابض وذراعهـــا المرفوع

بالحماية لأرضها وكرامتها وحريتها على مدى الاجيال .
وفى عام ١٩٤٥ ، ذهب « الضابط أحمد اسماعيل على» بين عدد من الضـــباط المصريين الى بعثة تدريب لدى القوات البريطانية فى « دير سنيد ، بفلسطين » وبعد انتهاء فترة الدراسة العملية أدى الجميع ، الضـــباط المصريون والانجليز ، اختيـــارا تحريريا وبيانا بالذخيرة الحية ، وكان احمد اسماعيل هو الاول بامتياز فى ترتيب الناجحين من الانجليز والمصريين معا .

الجولة الاولى

سافر بعد ذلك الى دورة تدريبية فى انجلترا ، وعاد ليلتحق بكلية الأركان عام ١٩٤٨ ، ومرة أخرى يحصل على ترتيب أول دفعتـــه ، ثم حارب الجولة الاولى مع العدو الاسرائيلى فى نفس العـــام ، وأقام خطا دفاعيا حصينا فى رفح ، كان محل اهتمـــام ودراسة صحف أوربية ، وقيادات عسكرية عالمية مختلفـــة بعد فرض الهدنة .
وعاد الى القاهرة ، وكضـــابط صغير حاصل على ماجستير العلوم العسكرية فى كلية القادة والاركان ، تولى رئاسة أركان اللواء الثانى مشاة ، بالقنطرة شرق .
وفى المدينة الخالدة ، يلتقى صديقا الصبا مرة أخرى ، الرئيس أنور السادات والمشير أحمد اسماعيل على ، ويعيشان فى حجرة واحدة ، ويتصل الحديث بينهما حول مصر وقضاياها .. قضايا شـــباب العشرينات وشاغلهم الاوحد فى الخمسينات ...
وفجأة يصدر قراران ، الاول ينقل الرئيس السادات الى رفح ، والثانى ينقل القـــائد العام مدرسا بكلية أركان حرب حتى عام ١٩٥٣ .

وفى عام ١٩٥٤ ، عاد الى تشكيلات القتال واشترك فى معركة « الصبحة » الشهيرة ، ثم ذهب الى الشط ، فأبى عجيلة ، قائدا للكتيبة السابعة مشاة ، حيث أنشأ قوات الصاعقة .. نواة الصاعقة ولقنها دورياتها .

وجاء عام ١٩٥٥ ، واشترك فى اعداد صفقة الاسلحة التشيكية الكبرى ، وفى وضع برامج استخدامها ، ثم وقع العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، وكان المشير أحمد اسماعيل على برتبة عقيد ، قائد اللواء الثالث مشاة ، فى رفح ثم القنطرة شرق ، وقد تقدم به الى وسط سيناء . وبين مهامه ــ تأمين وحداتنا المدرعة ، واشتبك فى عدة معارك تصادمية مع العدو الاسرائيلى ، ثم توجه الى مدينة بور سعيد ، فى نهاية ديسمبر ١٩٥٦ .

والتحق بأكاديمية فرونز العسكرية فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٥٧ حتى ١٩٥٩ ، وعاد الى الوطن ليقود « اللواء السادس تجارب » مطبقا حصيلة دراسته العسكرية ، على السلاح الروسى ، ثم انتقل الى الكلية الحربية كبيرا للمعلمين ، ليطبق مرة أخرى التنظيمات الحديثة ، ووسائل التدريب الجديد بين برامج الكلية .

وترك احمد اسماعيل الكلية الحربية ليعمل بهيئة العمليات ، بعدها تولى قيادة الفرقة الثانية مشاة حيث أعاد تشكيلها ، وكانت أول تشكيل مقاتل فى قواتنا المسلحة بالاسلوب العصرى ، وقد حققت هذه الفرقة فى حرب ١٩٧٣ ، أشرف الانتصارات ، بقيادة لواء حسن أبو سعدة .

وفى تلك الفترة تولى المقاتل احمد اسماعيل على قيادة منطقة سيناء ، ثم رئاسة أركان المنطقة الشرقية بالاسماعيلية .

وفى بداية الستينات وهو برتبة لواء أنشأ القيـــادة الافريقية العسكرية مع عدد ليس بقليل من ثوار أفريقيا خريجي المعاهد العسكرية الاوربية ،وعقد أول مؤتمر لهذه القيادة بالقاهرة ، وسافر الى «أكرا والكونغو» حيث قدم الخبرة المصرية لجيوش البلاد الصديقة المستقلة حديثا .

ووقع الاختيار عام ١٩٦٤ على اللواء أحمد اسماعيل على ، ليتولى رئاســـة أركان حرب قواتنا البرية ، ثم رئيسا لأركان الجبهـــة عام ١٩٦٧ وفى أول يوليو ١٩٦٧ تولى قيـادة الجبهـة ، وكانت مهمته من أشـق واقسى المهام . اذ وكل اليه بناء قوات الجبهة بتنظيم جديد أمام عدو أســكرته خمر النصر السريع وقد أخذ يفتح نيرانه على قواتنا كل يوم ..

وخطط القائد العام لمعركة رأس العش ، بداية معارك الصمود ورفع راية استمرار القتـــال ، واغراق المدمرة الاسرائيلية أيلات ، وقبلها هجوم الطيران المصرى على قوات العدو فى عمق سيناء يومى ١٤ و ١٥ يوليو ١٩٦٧ ، حيث الحقت طائراتنا قدرا كبيرا من الخسائر فى قوات العدو ، واستنجدت اسرائيل يومها بالامم المتحدة ، ثم معـــارك الجزيرة الخضراء وبطولاتها التاريخية .

عاد الرجل بعد ذلك ليتولى رئاسة هيئة العمليات ، ويضع أول خطة لقصف حصون خط بارليف بالمدفعية المصرية ، تلك الدشم الحصينة التى أقامها العدو للمرة الاولى وهدمتها مدافعنا وقواتنا المشاة فى معـــــارك الاستنزاف حتى أغسطس ١٩٧٠ ، وهى غير خط بارليف عام ١٩٧٣ ...

تولى بعد ذلك رئاسة أركان قواتنا المسلحة ، وفى نهاية عام ١٩٦٩ ، وقع خلاف بينه وبين مراكز القوى التى

تدخلت حتى فى تخطيط العمليات ، فآثر الانسحاب ومعه بعض القادة حتى أسند اليه القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس انور السادات ، فى مايو ١٩٧١ ، ادارة المخابرات العامة المصرية ، ثم قيادة القوات ووزارة الحربية قبل نهاية صيف ١٩٧٢ .

وقال القائد العام للقوات المسلحة فى ذلك اليوم كلمته الشهيرة .. « ان للقوات المسلحة واجبا وآحدا فقط ، ان تتلقى الامر بالقتال ، فتقاتل » .

وكانت كلمة قصيرة ولكنها بالغة الدلالة العسكرية .

وداعا أيها البطل

وحارب الرجل أبرز معارك العرب وأشرفها ، وحقق أغلى وأشرف النصر ، ومضى بالقوات المسلحة الى أرقى المستويات القتالية ، وظل المشير أحمد اسماعيل على ، كما يصفه « السادات » رمزا شامخا للعسكرية المصرية والشجاعة العربية .

ان الأعمال التاريخية العظيمة على مستوى الشعوب كحرب أكتوبر الماجدة لم تكن أبدا وليدة يوم أو لحظة ولم تصدر من فراغ ، بل تبقى ثمرة جهد بشرى يهزم أقصى العقبات ، ورؤى تبصر الواقع بحجمه الحقيقى ، ولا تخلط بين الآمال والحقائق ، ولا تلجأ الى الاعمال العفوية ولا تقبل الحلول الوسط .. ولقد كان المشير احمد اسماعيل على تجسيما حيا لهذه الخصائص ، لم يكف يوما عن التقصى والبحث عن المعارف العسكرية الجديدة ، وكان يعمل أحيانا ٩٦ ساعة دون أن تعرف أسرته أين هو ، بل ان شقيقه الاكبر الدكتور فؤاد اسماعيل قال لى فى ابريل ١٩٧٤ ، انه ظل أسبوعين يحاول الاتصال بشقيقه القائد العام دون أن يوفق فى رؤيته

وكان رحمه الله يبحث عن متاعب الجنود قبل الضباط في كل وحدة عسكرية يزورها ويشهد تدريباتها ، وقال لبعض الجنود ذات يوم قبل الحــــرب « أننا نعيش الاستعداد لأخطر الواجبات ، وهو واجب تحويل شعار « الصبر والصمت » الذى رفعه القـائد الاعلى الى حقيقة عملية ، حتى يصدر لنا الامر بالقتال فنقـــــاتل على الفور مستندين الى أكبر قدر من الثقـــــة فى امكانياتنا كمقاتلين وفى قادتنا وفى سلاحنا ولن يخذلنا الله اذا تزودنا بكل هذه الاسلحة .

لقد ترك المشير أحمد اســـماعيل على كما كان يردد دائما أعظم الرجال وانبل الرجال فى كل وحدات قواتنا المسلحة ، قادرين على تحرير بقية سيناء الأسيرة ، هم أبنــاؤه العمــالقة ... وبهم لم يمت البطل الشهيد احمد اسماعيل على ، الذى كان يعرف تفاصيل وخطورة مرضه فعرض تقديم استقالته الى الرئيس السادات لكى يترك مكانه لمقاتل آخر لا يشغله الصراع مع المرض ، ورفض القائد الأعلى قبول الاستقالة ...

لم يمت البطل العملاق فالأنهار لا تموت ، وسيبقى نبعا فياضا بالرجولة والشجاعة يجود ويعطى كالارض التى انبتته أسخى واغنى الأرض .

وداعا أيها المقـاتل العمـلاق البطل الشهيد القـائد العام ..

وداعا يا من قلت الســـــــلاح بالرجل وليس الرجل بالسلاح .. ولتبق فى وجدان الأجيال حيا وشهيداً ، تاريخا مضيئا متألقا للجندية المصرية ، بقاء اللغة والأيام وميلاد الانسان .

من البتانون
إلى عمق سيناء

« سأبدأ بتقديم زميلى الذى شاركنى واجب التخطيط للمعركة ، ساعةبساعة ، ويوما بيوم ، وكان له الفضل الأكبر فى التقصى والمنـــاقشة ، والبحث والوصول الى أنضج الخطط ــ اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات » .

كانت هذه كلمات المشير أحمد اسماعيل على ، فى مؤتمر القيادة العامة للقــوات المسلحة مساء يوم الاحد ٢٥ نوفمبر ١٩٧٣ ، واستمع المؤتمرون من المدنيين الى رجل عسكرى لاذ بالصمت طويلا ، وتحدث لأول مرة عن تفاصيل معركة رمضان الماجدة ...

انه واحـــد من أركان الصبر والصمت ، وثروتنـــا العسكرية العربية ، وأستاذ متميز للمدرعات بين أساتذة العالم ، رجل أنبتته قرى ريفنا الرائد العظيم ــ الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى ــ رئيس أركان قواتنا المسلحة ، ثم القــائد العام لها ، بعد رحيل المشير أحمد اسماعيل الى رحاب الله .

هذه هى قصة حياته ، من البتانون منوفية ــ حتى عمق سيناء .

لقاء وحوار فى مارس ١٩٧٤

للشدائد يتصــدى الرجال .. وأمام محن الأوطان ،

يتقدم الأشداء ، الاكثر ايمـــانا ، الاكثر صلابة وثباتا ، فيرتفعون بأوطانهم فوق الكبوات ، ويحفرون بأظافرهم وسط الصخور طريقا للنصر ، وتنطلق من صدورهم قوة خفية لا تفرغ طاقاتها ، كأنها الارض تعطى وتجود كلما دار النهار والليل .

وجاءت معركة رمضان الماجدة ، وتألق الجوهر الأصيل لشعبنا فى قتال أبنائه المقـــاتلين المصريين استطاعة واقتدارا ، وتجلت كالشمس فى كبـــد السماء مآثرهم البطولية خلال العبور والاقتحام وتطوير الهجوم .

لم تكن هذه الانجازات تستند الى قبض الريح ، ولم تكن نتائجها فى طيات الغيب ، أو تعتمد قواتنا على ضربة حظ عشواء .. كانت هنـــاك « خطة » وسعى جدى صامت متماسك دءوب مكثف ، لتحويلها الى واقع حى ، وتحول عسكرى جذرى شـــامل يمضى فى اصرار الى « هدف محدد » وضعه القـائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات منذ تولى ولاية هذا الوطن، وضعه امام قيادة عسكرية مؤمنة تصحح وتلفظ السلبيات ، وتخلق أمثل المناخ لاعادة فتح النيران وتحـــرير الارض الاسيرة ، وانتزاع النصر .

وكان بين عناصر هذه القيادة ، رجل برز بعلمه ، وعقله ونسيجه العســـكرى ، هو الفريق « محمد عبد الغنى الجمسى » ، رئيس أركان قواتنا المسلحة ثم قائدها العام واحد من أعلام قادة العرب العسكريين ، وأســـاتذة المدرعات فى العالم ، وبطل من أبطال حرب اكتوبر الخالدة على مدى التاريخ ...

بداية الطريق

ولد الرجـــل يوم ٩ سبتمبر عام ١٩٢١ فى قرية

البتانون مركز المنوفية ، وليس فى قرية جمصة دقهلية ، كما تخيل البعض نسبة الى اسم أسرته ، وكان هو الابن الخامس بين سبع أبناء لأب بسيط عمل فى تجارة الاقمشة بالقرية ثم تفرغ للزراعة ، وبجانبه ابنه الاكبر الشقيق الوحيد لرئيس الأركان ، وقد حذا حذو أبيه .

وحرص الأب على تعليم أبنائه ، وهو ايمان وسلوك يتميز به أكثر فقراء الفلاحين فى المنوفية ، والدلتا ، وفى عام ١٩٣٦ حصل الطالب محمد على شهادة اتمام الدراسة الثانوية بمدرسة المساعى المشكورة بشبين الكوم ، ثم اتجه على الفور الى المدرسة الحربية عام ١٩٣٧ .

قلت للفريق الجمسى :

لماذا المدرسة الحربية ، وكيف قبلت بها ؟ ..

ـ جاءت نهاية عام ١٩٣٦ ، والبلاد تغلى كالبركان والجماهير بين مؤيدة ورافضة لمعاهدة الاستقلال المشهورة بالعام نفسه ، وأرادت القيادة الانجليزية صاحبة السلطة الحقيقية أيامها ، امتصاص غضب الشعب على الاحتلال والمعاهدة ، ففتحت باب القبول بالمدرسة الحربية لأبناء جيلنا من الفقراء ، وكانت محرمة تماما علينا ، فالتحق بها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، والرئيس القائد الأعلى أنور السادات ، والمشير أحمد اسماعيل « رحمه الله » وعدد كبير ممن برزوا بأدوارهم أو قادوا مسئوليات الخمسينات والستينات بعد قيام الثورة عام ١٩٥٢ ..

كنت عاشقا للعسكرية ، وأذكر وأنا طالب بالسنة الثالثة، ثانوى غرامى بالكتب التى تروى سيرة حروب القرن الماضى ، ثم قرأت فتوحات الاسلام وقادته العباقرة، حتى بلغت نقطة أتوقف عندها قليلا ، وهى اهتمامى

بكل ما ينشر أو يكتب عن حرب الدروع مبتدئا بحصان طروادة ، حتى الحرب الهندية ـ الباكستانية .

وفى ١ نوفمبر عام ١٩٣٩ ، تخرجت فى الكلية الحربية، والتحقت بسلاح الفرسان . « المدرعات » بعد ذلك ..

وانضم الملازم ثان محمد عبد الغنى محمد الجمسى الى سلاح الحدود بشـــكل مؤقت ، وذهب للعمل فى الصحراء الغربية ، لكنه ظل بهـــا حتى عام ١٩٤٤ : واشترك فى الحرب العالمية الثانية متنقلا بين المنـــاطق العســـكرية المصرية والانجليزية بواحة سيوة ، ومرسى مطروح والسلوم ثم الواحات البحرية بعد ذلك ..

ولقد زادته تلك الاعوام وقسوة العمل فى الصحراء ، صقلا وجسارة وخبرة ، ورؤى جديدة لتطبيقات قوانين الهجوم والدفاع ، واقترابا مؤثرا من الدبابات الانجليزية والألمانية .. فقد عاش رئيس الاركان المصرى فترة دخول روميل ومدرعاته الى العلمين ، وكانت فرصـــة ذهبية لتدعيم معارفه العسكرية وثقافته الخاصة فى تكتيكات ومناورات الدبابات هجوما فوق رمال صحراء مكشوفة ، هى الصحراء الغربية المشابهة تماما لصحراء سيناء ، وقد شهدت عام ١٩٧٣ ، معركة من أبرز وأكبر واخطر معارك الدبابات على مستوى العصر كله .

قال لى رئيس الاركان « وكنا فى مارس ١٩٧٤ » :

ـ « تركت الصـــحراء آسفا الى ادارة المدرعات .. لقد أحببت حياة الصحراء الى درجة الارتباط النفسى الكامل بها ، لست وحدى الذى وقع فى غرامها ، بل كل العسكريين الذين يعشقون العسكرية،ستجدهم بالضرورة مغرمين بخدمة الصحراء رغم قسوتها وضراوتها ، انهـــا تمثل الخبرة والتـــدريب والتحصيل الجديد للضابط الحديث ، الذى لا يكف عن البحث والتقصى وتطـــوير

ذخيرته من الثقافة العسكرية .

وجاء عام ١٩٤٨ ، وذهب اليوزباشي محمد عبد الغنى الجمسي الى بعثة دراسية بأمريكا تخصصت فى الدبابات ، ثم اتصلت بها بعثة تكميلية أخرى عام ١٩٤٩ ، فى أمريكا ، أيضـــا ، وطـــار الى الوطن ليلتحق بكلية أركان حرب مباشرة عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، ومن بين الأساتذة الذين درسوا له ، المشير أحمد اسماعيل على ، خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة من عام ١٩٥١ .

عاد اليوزباشي الجمسي الى المـــدرعات بعـــد ذلك ، ضابطا بارزا بدرجاته وتفوقها ، ليشغل أركان حرب الآلاى استطلاع ، حتى قامت الثورة .

وفى جولة عام ١٩٥٦ وكان برتبة مقـــدم تولى قيادة الآلاى الخامس مدرعات بمنطقة القنال ، واجتــــاز بوحداته كوبرى الفردان متجهــــا الى سيناء ، عندما صـــــدرت اليه الاوامر بالانســحاب والعـــودة الى الاسماعيلية .

المشوار الطويل

وفى عام ١٩٥٧ تولى رئاســة أركان حرب ســــلاح المدرعات ، وأدخل على فنـــون التدريب اضافات بارزة فريدة ، وأخذ السلاح ينمو ويتدعم بأســـلوب عسكرى عصرى وبمستوى متقدم من المقـــاتلين حتى جاء عام ١٩٥٨ ، فعهد اليه بقيادة اللواء الثانى المدرع بمنطقــــة القناة ، وبقى هناك الى أن التحق ببعثـــــة مدرعات فى أكاديمية فرونز بالاتحاد السوفييتى عام ١٩٦٠ ، وعاد فى نهاية عام ١٩٦١ ، ليتولى قيادة أحدث مدرسة مصرية للمدرعات بمعدات وتكتيكات جديدة. وكانت بداية مشوار طويل أعطانا فى النهاية أقوى سلاح ، وقد تأكدت قدراته

الهجومية فى حرب ١٩٧٣ الماجدة ...

ظلت هذه المدرسة تحصل على كأس أحسن مدرسة عسكرية لمدة ثلاث سنوات متتالية ، وقد تخرج فيهـــا جميع ضباط مدرعاتنا ، وضبط الصف من المعلمين .

صدرت الاوامر بنقل رئيس الاركان بعد ذلك ، الى رئيس فرع المدرعات بهيئة التدريب ، والتحق بأكاديمية ناصر وتخرج فيها بعد عام ونصف عام ، فى يوليو ١٩٦٦ ، وكان المشير أحمد اسماعيل على وقتها برتبة لواء رئيسا لهيئة اركان حرب القوات البرية ، فاختاره ليتولى رئاسة هيئة عمليات القوات البرية ...

ومنذ ذلك اليوم تلازم الرجلان ، أخوة وصداقة ، يعززها ايمانهما المنفـــــرد بالعسكرية المصرية ، وزاد ارتباطهما حين أسندت الى المشير أحمد اسماعيل على ، بعد نتائج جولة يونيو ١٩٦٧ ، مهمـــة اعادة بناء وتنظيم وقيادة قوات الجبهة ، فعهد الى « الجمسى » برئاسة أركانه ، ووقف الرجـلان جنبا الى جنب يتصـــديان للشدائد ، ويتجاوزان المحنـــة ، ويستخدمان فى جرأة وثبات بعض أسلحتنا ووحداتنا الجريحة ، عبر مجموعة من معارك الرد على العـدو ، أبرزها معركة رأس العش الخالدة ، ولم يكن قد مضى على الهزيمة أربعة أسابيع .

كانت هذه المعارك التى خاضها المقاتل المصرى رغم الجرح النازف فى الصدور ومرارة العلقم فى الأفواه ، والألم المخيم على الارواح... كانت معارك يوليو ١٩٦٧ ، دليلا حيا على ارتفاع المقاتل المصرى فوق الكبوات ، واصالته القتالية الغالية ، واندفاعه للقتال بالأظافر اذا لم يتوفر لديه السلاح .. تلك العلامات التى أشار اليها القـــائد

الاعلى الرئيس أنور السادات أكثر من مرة ، وهـــو يقول :

« انني أعرف جيدا الجيش المصرى والمقاتل المصرى ، ولذلك فضماني الاول والاخـــير ، هو الشعب وأبنائه القوات المسلحة » ...

ووقعت معارك الجزء الاخير من عام ٦٨ ثم عام ٦٩ ، والجمسي رئيسا لهيئة عمليات قيادة قوات جبهة القناة ، ثم نقل نائبا لمدير ادارة المخابرات الحربية والاستطلاع حتى عام ١٩٧٠ ، بعدها تولى رئاسة هيئـــة تدريب القوات المسلحة ، وعاد بعد ذلك فى يناير ١٩٧٢ ، ليرأس هيئة العمليات ، وفى فبراير من نفس العام أسند اليه منصب نائب رئيس الاركان الى جانب رئاسته لهيئـة عمليات قواتنا المسلحة ، وظل يؤدى واجبه حتى قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وأثبتت وجهـــات نظرة وخططه العسكرية .. كفاءتهـــا ، وكان التخطيط الرفيع الذى شارك به فى عمليات ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم تطوير الهجـوم فى سيناء ، فمحاصرة الثغرة وضربها أعظم الاثار والنتائج الايجابية ، وقد أشاد بها القـائد العام ووزير الحـربية خلال مؤتمر عسكرى عقدته القيادة العامة وحضره الوزراء والصحفيون وعدد كبير من الفنانين فى ١٩٧٣/١١/٢٥ .

وفى بداية ديسمبر ١٩٧٣ ، أصدر القـائد للقـــوات المسلحة الرئيس أنور السادات قراره باسناد رئاسة أركان القوات المســـلحة الى اللواء الجمسي ، وفى ١٩ فبراير ١٩٧٤ ، بمجلس الشعب ، كان رئيس الاركان أول من نال رتبة « فريق » تقديرا لكفاءته وقيـــادته العسكرية التى قدمها فى حرب رمضان الماجدة .

المشاة والدبابات

سألته :

ـ تعد معارك الدبابات المصرية الاسرائيلية فى حرب ١٩٧٣ من أخطر وأكبر معارك القرن العشرين ، ورغم خطورتها فقد قال المعلقون العسـكريون ، ان المشاة المصريين انهوا دور الدبابة فى أية حروب مستقبلة ، ما هو رأيكم بصفتكم احد قادة المدرعات ، خلال الستينات ! .

ـ ليس تحيزا للدبابات التى انتمى بشبابى اليها اذا قلت ان الدبابة ستظل بتأثيرها القوى فى المعارك القادمة ، من حيث قوة نيرانها وخطة حركتها ، كما ستظل الدبابة هى القوة الضاربة للقوات البرية فى أى مكان فى العالم ..

غير أنني أحب أن أقول أن أنواع الدبابات وتسليحها سيتطور بالضرورة أمام نتائج ٦ اكتوبر .

لقد بدأت أمريكا فعلا فى تطبيق هذا التطوير ، وقد علمت أنها أخذت فى انتاج دبابة أخف وأسرع قادرة على مواجهة المدافع الصغيرة المضادة للدبابات ، التى يحملها المشاة وجنود المدفعية ، على ان الدبابة الجديدة نفسها ستكون مدعمة بصواريخ مضادة للدبابات أيضا ، كجزء من تشكيل المشاة .

ما هو تقييمكم كرجل دبابات لمقاتل المشاة المصرى ؟

ـ كان جندى المشاة المصرى بقتاله وسلاحه وتكتيكه هو المفاجأة التى قدمتها مصر للعالم أجمع ، مفاجاة وقفت كل الشعوب فضلا عن القيادات العسكرية أمامها بالتقدير والدهشة والاعجاب ..

عندما درسنا العدو ، مصادر قوته ، كل مصدر على حدة لكى نضع القوة اللازمة التى يجب توفيرها واعدادها لنتغلب بها على كل مصدر من مصـادره ، وجدنا أن

مصدره الأساسي هو عنصر الدبابات،وحتى نهزم الدبابات الاسرائيلية بالمدفعية المضادة لها ، وذلك يستلزم وقتا لنقلها الى الميدان عابرة للقناة فعمق الضفة الشرقية .. كان علينا أن نواجهها بأجسامنا ، بالمشـــاة بعد العبور مباشرة ، وبالتالي لا مفر من تزويد مقاتل المشاة بالسلاح الخفيف القادر على تدمير مدرعات العدو ، فحمل جنودنا المدفع الصاروخي الصغير « م . د . » وحقق المعجزة ، وكانت معارك اللحم ضد الصلب كما وصفها الصحفيون الاجانب .

استطرد رئيس الاركان قائلا :

ـ نعود الى مصادر قوة العدو ، ونقيس ما فعلنـاه مع دباباته على مستوى الاسلحة الاخرى ، الطيران ، البحرية ، حتي شرم الشيخ وتمركز قواته هنـاك ، حاصرناها باغلاق باب المندب .

كانت استراتيجيـة العدو مبنيـة على بعض الاسس المحددة ، وجاء تخطيطنا ليتغلب على هذه الاستراتيجية ويحولها الى اجراءات فاشلة ، ذلك أساس عملنـا ، التخطيط المبصر بكل الابعاد ، والقـائم على امكانيات حقيقية نملـكها ، وفى حدودها نعمـــــل ، فهزمت استراتيجيتنا جميع مصادر قوة العدو .

قلت لرئيس الاركان :

ـ بعد تخفيض قواتنا فى سيناء ، اليس محتملا أن يقوم العدو بهجوم مفاجىء ليسيطر على بعض المناطق التي حررناها فى سيناء ؟

أجاب الفريق الجمسي :

ـ ان قواتنا المسلحة التى قامت بعمليات اكتوبر عام ١٩٧٣ ، فى ظروف عقبة المانع المائى الفريد فى العالم امامها ، وامام تحصينات خط بارليف الهندسية القوية ،

وامام صعوبة اخفاء معدات العبور التى جهزتها قواتنا ما قبل اكتوبر ، واخفاء نوايانا فى الهجوم وهذا عمل شاق وصعب وخطير لم نشرحه بعد ، استلزم جهدا خارقا على مستويات عريضة عسكرية وسياسية ومدنية .. هذه القوات التى قامت بتلك العمليات قادرة ان ترد على العدو ، لو حاول القيام بضربة مفاجئة ، مستغلا الموقف السياسي الاخير ، أو محاولا استرداد ما خسره خلال حرب اكتوبر .

ان المصاعب الرئيسية التى كانت تواجه قواتنا قبل العبور ، لم تعد قائمة الآن ، فضلا عن استعداد مختلف أسلحة قواتنا الذى لم يتوقف تدريبا واعدادا بالسلاح ، وتقديرا لكل موقف جديد وطارىء ..

ان استراتيجية العدو كانت تقوم أساسا على توجيه الضربة الوقائية المسبقة وقد حطمنا هذا الاساس ليس على مستوى العام الماضى فقط ، بل على مستوى المستقبل .

زلزلة المفاجأة

سألت الفريق محمد عبد الغنى الجمسى ، وقد شهد عن قرب جنرال دافيد اليعازر رئيس الاركان الاسرائيلى السابق الذى عزلوه أخيراً من منصبه .. بعد التحقيق فى أسباب هزيمتهم ..

هل كان حقيقة من الضباط الاكفاء ؟

ـ لا استطيع الحكم عليه حكما سليما ، الا من خلال ما قرأته ودرسته عنه ، اننى أميل الى اعتباره ضابطا ممتازا ، ولكنه لم يكن وحده المسئول عما حدث لاسرائيل ، انه كبش فداء ..

كنا نعلم تماما ان القيادة الاسرائيلية اذا تأكد لها

تجهيزنا للهجوم لن يترك الفرصة وستوجه ضربة كبيرة لنا ، ولـكنها لم تتـأكد ، لو شـعر العـدو حقيقـة باستعداداتنا يوم ٥ اكتوبر لما وقعت المفاجأة بالنسبة له ، ربما يكون قد شعر بشيء صباح ٦ أكتوبر ، شاهد بعض نشـاط قواتنا ، ولـكنه كما قيل : : « رأى ولم يفهم » .

ــ ان ما حدث فى اسرائيل من تغييرات وتحقيقات ، وكل ما يحدث حاليا ومستقبلا فى قيادتها أو وزاراتها ، هو زلزلة المفاجأة المصرية ، واحدة من أبرز انجازات القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس السادات .

٢٦ سبتمبر ١٩٧٣

لقد أبعدت مراكز القوى هذا المقاتل العملاق قائد سادة البحرين الاحمر والابيض ، عن مسرحه العسكرى بعد ان اغرق المدمرة الاسرائيلية « ايلات » مستخدما الصاروخ البحرى لاول مرة أبعدوه عن قيـــــادته البحرية يوم ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٩ ، مع اللواء احمد اسماعيل رئيس الاركان أيامها ، ثم عاد الى قواته مكرما مع المشير احمـــــد اسماعيل على القائد العام للقوات المسلحة يوم ٢٦ اكتوبر عام ١٩٧٢ ، ليخـوض اشرف الحروب واعظمها فى اكتوبر ١٩٧٣ ، ولتمتـــد ذراعه بقبضتها المتحكمة عبر اربعة الاف كيلومترا أمام سواحلنا العربية ..

هذه صفحات فخار من معارك البحرية الخالدة على مر الايام ..

لقاء وحوار فى يونيو ١٩٧٤

قلت للفريق فؤاد ذكرى :

أعلن القائد الاعلى للقوات المسلحة ان قواتنا البحرية بدأت مهامها فى حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، قبل يوم ٦ الخالد بعشرة أيام ، ولم نفسر سبب ذلك للجماهير ..

ـ لقد تحركنا « مدمرات وغواصات وكاسحات ألغام

ولنشات » الى البحر الاحمر لغلق باب المندب ، مبكرا حتى نقطع المسافة بيننا وبين منطقة الهدف فى هدوء ، ودون ان يشعر العدو بنشاط يثيره ، وحتى تكون فى تمام الاستعداد للعمل ، ابتداء من ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣، فاذا جاء يوم ٦ اكتوبر ، كنا مالكين لجميع عناصر السيطرة على مداخل البحر الاحمر ..

والمعروف ان حركة الغواصات أبطأ من غيرها ..

ـ قبل الحرب ، هل أستطيع أن أقف على بعض ملامح الايام التى سبقت ٦ اكتوبر ، خاصة وان قرار القائد الاعلى بساعة الصفر أصدره الرئيس السادات فى قيادتكم هنا بالاسكندرية ؟

ـ منذ عام ١٩٦٧ ، وأيدينا فى النار ، غير ان عملية اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات بواسطة لنشات الصواريخ المصرية فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ ، رفعت معنويات مقاتل البحرية واعتقد كل أبناء قواتنا المسلحة ، بل جماهير الشعب العربى بأكمله .

ومرت الايام وبدأنا مهام مختلفة بعد ذلك ، وقدر كبير من التفاهم الشخصى بين القادة على مستوى القيادة العامة .. خاصة طوال العام الذى سبق الحرب، عبر بنا الى مناخ هائل من التفاهم العسكرى جعل الرؤية أمامنا واضحة ، وارتفع بحجم التعاون بين الاسلحة.. وعن نفسى كقائد بحرى فقد أسعدتنى هذه البيئة العسكرية التى كنا نعمل من خلالها فى واجبات التنسيق مع هيئة العمليات بقيادة الفريق محمد عبد الغنى الجمسى .

كان للبحرية نصيب كبير فى خطة خداع العدو ، بل خداع اى أجهزة مصرية وبالتالى أجنبية ولم يستطع

احد اكتشاف أهدافنا الحقيقية ، وهـذا عمـل عظيم بالمقاييس العسكرية .

لقدخرجت قطعنا البحرية لتقوم بمناوراتهاالسنوية، ولما كانت مناوراتنا بالذخيرة الحية دائما ، فقد قمنـا بنقل الذخيرة والصواريخ فى هدوء وطبيعية تامة ، غير انني أردت استكمال خطـة التمويه ، فقلت لمقـاتلى الوحدات البحرية المختلفة « هـذه المناورات اختبـار عمل لما سيتم فى العمليات ، اختبار أشبه بحرب فعلية وكان قولى هذا تبريرا لـكمية الذخيرة التى حملناها»

ولقد فهم كثيرون ان الحرب على الابواب .

هنا أحب أن أسجل ملاحظة صغيرة ..

قبل العمليات وفى اجتماعنا بالقـائد الاعلى الرئيس انور السادات نتدارس الخطة والتطبيق .. رأيتـه حريصا بالدرجة الاولى على تأمين الرجـال من أبنـائه المقاتلين خلال الحـرب وعلى حمـاية القطع البحـرية المختلفة من غارات الطيران الاسرائيلى ، ولم يكن حرصه هذا من خلال مشاعره فقط بل من خلال بحثه العملى فى ايجاد وسيلة ناجحة لذلك ، وادراجهـا ضمن بنود الخطة ، وكان له جهده فى تلك المهام من خلال اتصاله برؤساء الدول الشقيقة والصديقة لهذا الفرض .

لقد أرسلنـا بعض قطعنا البحرية الى ليبيـا والى باكستان ، وقبل فترة ليست بقصـيرة ، ذهبت لجنة من سلاحنا الى كراتشي وطلبت تصنيع بعض متطلبات الغواصات فى مصانع باكستان ، ودرسوا مع الاصدقاء الباكستانيين عملية القيام « بعمرة » لهـــذه القطع المصرية ، وكان من بنود خطة خداع العدو ، كما أعددنا برنامجا لزيارة بعض مدمراتنا لعدة دول عربية مطلة على البحر الاحمر ، وسرى نبأ هذا البرنامج الى الخارج ،

وهدفنا هو وصول المدمرات الى مدخل الخليج فى البحر الاحمر ، والتمركز أمام باب المندب ، بينما الغواصات على سطح الماء نهارا ، وفى عمق البحـــر ليلا تمضى الى هدفنا مع المدمرات .

سكت القائد البحرى قليلا ، وكأنه يســـــتعيد الذكريات ، ومال برأسه ناحيتى ، وقال وهو يضغط على كلماته :

ما يدعو الى الفخر هو أن ما خططنـاه ، نفـذناه حرفيا ، وهذا العمل يعكس صـــورة ممتازة للفكر والمستوى القيادى ، فى التخطيط والتنفيذ ، والروح التى تربط القوات البحرية ، بالاســلحة الاخرى فى القوات المسلحة .

لم نخطط شيئا غير قادرين على تنفيذه ، لم نحـلم أو نأمل ، بل كل صغيرة وكبيرة من الواجبات القتالية فى الخطة العامة ، طبقهـا المقـاتلون على الواقع بجزئياتها كلها .

البحرية وبترول اسرائيل

سألت أمير البحرين الذى اكتسب لقبه بجدارة عبر انتصاره المشرف فى حرب ١٩٧٣ :

للبحرية المصرية خطة استراتيجية الى جانب خطـة هجماتها التكتيكية .. هل نستطيع ان نقترب من هذه الخطة ؟

ـ باختصار كانت شغل العدو على أطول وأكبر مواجهة بحرية وفى وقت واحد ، مما يجعله عاجزا عن تغطيــة سلاحنا وانتشارنا فى كل هذه المناطق فيصـــاب بالتشتت فى طاقته ، فالبحرية ذات مسرح قتـــالى يختلف عن المسرح البرى وفى خطتنـا الاستراتيجيـة

عملنا على توسيع المسرح البحرى حتى بلغ ۲۰۰۰ كيلومتر فى البحر الاحمر ، ونفس المساحة تقريبا فى البحر الابيض ، وجهدنا فى البحر الاحمر كان له تأثيره الكبير بفضل جغرافية الوطن العربى ، وفى تلك المنطقة المطلة منه على البحر الابيض جنوبا فالعدو كان يعتمد على بترول يرد له من الخارج مارا بالبحر الاحمر عبر خليج العقبة ، الى ايلات ، ليضخ فى عسقلان بالبحر الابيض ثم يصدر الى الخارج بعد ذلك فعملنا على تلغيم خليج السويس ، وتجمد كل هذا النشاط الاسرائيلى على الفور وتأثرت أسعار البترول داخل اسرائيل بعد بدء العمليات الحربية بأيام قليلة ، ليست أسعار التصدير فحسب بل الاسعار الداخلية ايضا ، والبترول يدخل فى جميع صناعات اسرائيل .

حرمنا العدو أيضا من استغلال آبارنا البترولية شرق خليج السويس التى استولى عليها فى عام ١٩٦٧ ، وقد استطاع رفع قدرتها الانتاجية وكان مقدرا لها أن تصل هذا العام الى خمسة ملايين طن ، وبالتالى أصبحت اسرائيل بلا مصادر بترولية ، كما اضطرت لتحويل خطوطها الملاحية البحرية عبر افريقيا حول رأس الرجاء الصالح أو ايران ، وتعطلت خطوط العدو فى البحر الابيض بنسبة ٢٠ ٪ من كثافة خطوط مواصلاته ، ورفضت شركات التأمين العالمية تغطية خسائره فى الحرب .

وفى البحر الاحمر أغلقت المدمرات والغواصات واللنشات المصرية الف ميل تقريبا امام العدو الذى حوصر بموقف ونشاط البحرية السورية وقد ظل اتصالنا وتنسيقنا للعمل وثيقا ناميا فأغلقت البحرية السورية ـ المياه ـ شرق قبرص ، بينما تولت البحرية

المصرية واجباتها أمام قبرص وغربها .

سألت :

هل حاولت بعض السفن أن تتهرب من الحصار ؟

ـ فعلا حاول البعض فى البحر الابيض واصيب ، ولم يحدث اى تسلل أو تسرب فى البحر الاحمر .. غير قطعة بحرية واحدة فوجئت بالحرب وكانت بالمياه وأصيبت هى الاخرى ..

المهم .. استطعنا فى النهاية ان ننزع الشريان الحيوى لاسرائيل نزعا تاما ، وهو اتصالها بالخارج عن طريق البحر ، والملاحة الجوية لا يمكنها تعويضها ذلك الشريان المتمثل فى سفن الملاحة البحرية .

ـ تردد ان قواتنا البحرية كانت ستقوم بعملية ابرار بحرى ضد العدو ، على مستوى مشاة الاسطول .. ثم تأجلت هذه المهمة .

قال القائد البحرى :

فى خطة الخداع ، كان هناك ابرار بحرى ، اذ أرسلنا ناقلات جنود الى بور سعيد حتى نوحى للقيادة الاسرائيلية بذلك ، ولم يكن مدرجا فى الخطة مثل هذا العمل ، وحققنا خطوة هامة فى تشتيت طاقته القتالية حين نفذنا هذه الجزئية من مهام التمويه والخداع . .

قام الفريق فؤاد ذكرى الى البلكون الملحق بمكتبه ، المطل على البحر الابيض ووقف قليلا يتنسم رائحة السفن كأنه يتزود بشحنات جديدة من المعنويات ..

وحين عاد بعد دقيقة أو أكثر من الوقت .. قلت له هذا الخاطر ..

وقال القائد :

انها ليست رائحة السفن ، بل رائحة البحر ، ان البحر حبى ، ولقد تعلقت به منذ زمن طويل ، وكل يوم

عشته فوقه شعرت بسعادة أكثر ، ان من يخدم مائة عام فى البحر فسيرى فى كل يوم جديدا ..

الـكاب القديم

هل تعرف شيئا ؟

ان ضابط البحرية يفخر بأنه يرتدى كابا قديما فوق رأسه ، وقد خبت لمعية القصب بمقدمة الـكاب نتيجة الملح فى البحر ، معنى ذلك ان هذا الضابط من قدامى رجال البحرية ، ساقه تعودت اكثر على البحر ، داس البحر أكثر من غيره ، وامتلك خبرات أكبر.. فالبحرية ذات عراقة مع التاريخ .. ولولا تدخل الاستعمار لمـا فقدنا تلك الفترة ما بين انتقال الاســطول من خشب وشراع ، الى حديد وبخار ، لقد كان لنـا الاســطول الذى نفخر به أيام محمــد علي والمماليك ، والقـاعدة الجيدة لصناعة السفن الحربية ، والفـكر العسـكرى الممتاز المتقدم على عصره ، ثم تجمد كل هذا النشاط ، وأصبحنا دولة لا تنتج السلاح بل تستهلـكه فقط ، ورغم ذلك بقيت البحرية المصرية رائدة دائما بخبراتها وتطبيقاتها العملية وليست النظرية ، وهى تطبيقـــات ادت الى ارساء مبادىء جديدة فى فنون القتال بالبحر، اثبتت صلاحيتها وتفوقها .

كيف يا سيادة الفريق ؟

استخدمت البحرية المصرية أول صاروخ بحرى فى عملية اغراق المدمرة ايلات عام ١٩٦٧ ، وجاءتنا برقيات تهنئة ليس من العرب فقط بل من جماهير عديدة فى استراليا ، وامريكا ، وانجلترا ، ومن جامعات أمريكية ، واسبانية ، وفرنسية ، فضلا عن جماهير الشعب العربى فى أنحاء الدنيا وكانت فرحتى كبيرة ببرقيــات المصريين

البسطاء منهم فى الدرجة الاولى .. واذكر ان بائعا متجولا من أبناء الاسكندرية اشترى مصحفا كبير الحجم وجاء به يهديه الى قواته البحرية ..

هذا الحدث العسكرى البحرى يعادل انقلابا فى موازين وتخطيط المستقبل ، وثورة فى الفكر البحرى عالميا ، وفى رأيى انه يماثل الانتقال من مرحلة الشراع والخشب الى مرحلة البخار والحديد ..

ان البحرية المصرية اعلنت تطويرا عالميا فى فنون القتال البحرى يوم ٢١ اكتور ١٩٦٧ .

لقد تصارعت الوحدة البحرية الصغيرة والكبيرة ، وانتصرت الصغيرة ، وتبدلت نظريات الغرب وعملوا على تعميم الصاروخ البحرى فوق القطعة الصغيرة كسلاح أساسى للقوات البحرية.. ولكنى أعود وأقول ان هذا التطوير ينطبق عمليا على السواحل المصرية أكثر منها فى المحيطات .

وجاء عام ١٩٧٣ ، وقامت أول معركة بحرية تصادمية فى تاريخ البحار بواسطة اللنشات ، وأعطى أبطال لنشاتنا الصاروخية أروع صفحات الاقتدار والعلم والاستطاعة خلال عملياتهم فى حرب اكتوبر ، وطبقوا كل برامج تدريبهم بأرقى الكفاءة والاستعداد لاستيعاب الخطة واتقان تحويلها الى واقع حى بثبات ارادى حطم توازن العدو فى البحرين الاحمر والابيض .

عدت أسأل :

ـ كم من الاعوام مضى ونحن نستوعب حرب الصواريخ ؟

ـ مع بداية الستينات دخلنا فى بناء قاعدة فنية تكتيكية صاروخية ، وكان لا بد من فترة طويلة ليصبح لدى قواتنا قاعدة بشرية قادرة على سيادة السلاح ،

ان الصاروخ بلا المقاتل المدرب علميا ومدرب عمليا وتثقيفيا يصبح قطعة حديد خردة ، وسلاح البحرية فى اى مكان بالعالم لا يستطيع قطع طريق تطوره بخطوات سريعة ، ولقد أصبح للبحرية المصرية فى السبعينات تكامل فى نوعياتها وقوة متزنة فى أسلحتها .

قبضة اليد المتحكمة

وقال الفريق ، القائد البحرى :

ـ وهنا أحب ان اسجل تلك الاعمال العريضة ، والنشاط الضخم والجهد الجبار الذى قام به قادة آخرون ، تولوا قيادة قواتنا البحرية قبلى ، وأتيحت لهم الفرصة لانجاز أعمال عظيمة على المدى الطويل ، حتى بلغت قواتنا وهى تواجه اخطارا مستمرة فى السلم الى جانب اخطار الحرب هذا المستوى القتالى الذى قاتلت به حرب اكتوبر العظمى .

كانت أرواح مقاتلى البحرية ـ ابنائى العمالقة ، نابعة من عراقتهم ، من معنوياتهم العالية ، من شدة ايمانهم بالله ، من ترابطهم وهم فوق الوحدة البحرية صغيرة أو كبيرة ، من تدريبهم الطويل .. ان الفريزة كانت من أقوى أسلحتنا الضارية .

ان نشاط البحرية يظل نشاطا جماعيا دائما ـ الكبير والصغير يتحولان الى مقاتل واحد ، التقارب بين الضابط والجندى المشفوع بضبط وربط جيد يولد اقوى الارتباط والتلاحم ، ومن هنا يصبح طاقم المركب الذى اتقن واجباته ، كقبضة اليد القوية المتحكمة ..

لقد قلت لرجالى مشبها :

ـ ان القائد بمثابة كف اليد ، وانتم ايها المقاتلون اصابع هذه اليد ، والبحرية مثل بقية الاسلحة تمثل

بالتالى أصابع فى قبضة يد قواتنا المسلحة .. قبضة لها تأثيرها فى جميع المجالات ضد العدو .

نعود الى معارك البحرية فى حرب ١٩٧٣ .. ليلة ٨ و ٩ اكتوبر بدأ العدو يجمع وحداته من موانئه لشرق بور سعيد ليوهمنا بأنه سيقوم بابرار بحرى وكان ذلك فى حساباتنا ، ثم وقعت معركة الصواريخ التصادمية بين دمياط والبرلس وحققت البحرية واحدة من ابرز معارك البحار وأول معركة بحرية تصادمية بالصواريخ.

لقد ضربت لنشات العدو فى أحد أيام الحرب بعضها البعض ، وطائراته ضربت بعض لنشاتها نتيجة المناورة المصرية المتفوقة التى أصابته بالتخبط .. كان ذلك فى الخطة أيضا .

المدفعية الساحلية فى بور سعيد فتحت نيرانها على قوات العدو شرق البحر الابيض .

وضربنا مواقع القوات الاسرائيلية الاستراتيجية فى رمانة وبالوظة ثم شرق بور فؤاد ، وراس برون ، وعلى امتداد الساحل الى رمانة دمرنا له محطة رادار لتوجيه طائراته .. دمرناها بالمدفعية الصاروخية ، ثم استطلعنا بالقوة المنطقة بأكملها ، استطلاعا شاملا تستطيع ان تطلق عليه مسحا شاملا بالقوة .

هذا على مستوى الجيش الثانى ..

أما على مستوى الجيش الثالث ، فقد قامت المدفعية الساحلية فى ميناء الادبية بفتح نيرانها المعاونة على العدو ضمن خطة منسقة مع القيادة العامة وقيادة كل من الجيشين ، وكان لنا مدفعية ساحلية متحركة ، تعمل فى مواقع عديدة وتبادلية فعجز العدو عن قصفها ، وفى منطقة الخليج اشتبكت المدفعية الساحلية والمدفعية الصاروخية فوق وحدات البحرية مع قوات العدو ثم

قمنا بضرب المراكز البترولية فى الخليج ، وبعد ذلك دمرت الصاعقة البحـــرية والضفادع البشرية آبار بلاعيم ، ومخازن الوقود والذخيرة عبر تقاطع طرق خليج السويس ولغم هؤلاء الانتحاريين مداخل عديدة فى مراسى العــــدو البحرية وأهمهـــا مدخل الطور ، وانفجـرت قطـع بحرية اسرائيلية أمام عيون رجالنا،كما تولت اللنشات الصاروخية ضرب المواقع الفنية للعدو حول شرم الشيخ ومطاره الفرعى هناك وبعض مناطق اعاشة سواته ، ومخازن ذخيرة هـذه القاعدة الاسرائيلية المتقدمة للعدو فى البحر الاحمر .

ولقد حاولت ضفادعه شل حركة وحداتنا فى بورسعيد والغردقة ، ولم يخرج ضفدع بشرى اسرائيلى جاء الينا كل مسطحاتنا المائية تحت الحماية ، وجـاءت لنشـــاته تبحث عن ضفادعهم يوم ١٨ اكتوبر ليـــــــلا ، وفتحت مدفعيتنا الساحلية عليها نيرانها ، ثم نشرنا صورالضفادع الاسرائيلية وهم قتلى فوق أرصفتنا ..

ومن هنا بقيت الحركة الملاحية من والى الاسكندرية سليمة مائة فى المائة ، كما بقيت اقتصـــــاديات الدولة واستمرت تدعيمات المعركة بالسلاح .

سألت قائد قواتنا البحرية :

لقد صنعنا اللنش المصرى صناعة مصرية .

وقيل انه اشترك فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ بكفاءة عالية .

انني اطمع فى الحديث عن هذا العمل العظيم .

ـ كان العقل المصرى متفوقا داخل السلاح ، الابتكارات المصرية والاضافات التى قدمهـــا رجالنا أعطت نتــــائج متالقة فى مجال اللنشات .

بالفعل صنعنا اللنش المصرى ، وطورنا فى استخدامات الصواريخ والمدفعيات وكانت هـــذه المهام محل دهشـــة واستفســـار السوفييت والفرنسيين ، وأذكر انني قلت

لاحد القادة العالميين الذين زارونا هنا بعد الحرب :
ـ ليس النصر الذى حققناه مصدره سلاح معين ، أو نابعا من استخدامات حديثة للتكنولوجيا كما يعتقد الناس ، ان مصادر النصر فى حربنا المشروعة هى المقاتل المصرى بنسيجه البشرى ، وستظل أهميته متزايدة كلما تقدمت فنون التكنولوجيا والالكترون .
كان الجندى البحرى غير المتعلم رائعا وهو يقاتل فوق الماء وطيران العدو مكثفا فوقه ، لم يفكر فى حماية على الاطلاق .. وكان المصابون يعودون الى وحداتهم ويقاتلون من جديد رغم اصاباتهم .. كنا جميعا فى أشد الحاجة الى مذاق النصر وقد طال شوقنا له .

القائد الاعلى

السيد القائد ..
أحسست من حديثكم ان الرئيس السادات أعطى كثيرا من وقته لمعارك البحرية قبل ٦ اكتوبر، واستعدادا لهذا اليوم .. هل يمكن ان تحدثنى عن القائد الاعلى وهو يخطط للمعركة ؟
وكأن سؤالى أدهشه ، فقد قال لى متعجبا :
ـ وهل يتحدث قائد ما عن قائده الاعلى ، المفروض عسكريا ان يتحدث القائد الاعلى عنا ، لا نحن الذين نتحدث عنه ..
ـ من الناحية الانسانية .. انه لن يتحدث عن نفسه على الاطلاق فلا مفر من أن يتحدث قادته عنه الى جماهير شعبنا .
وكأن تفسيرى اقنعه ، فقال :
انه من الناحية العسكرية قائد أعلى بكل ما تعنيه الرتبة ، اقصد انه قائد أعلى كمقاتل ، لا كرئيس جمهورية

استمر يستمع الينا كثيرا ، فى الاجتماع الواحـد كان يستمع من ٣ ـ ٥ ساعات متصلة ، ثم يتكلم فيركز على نقاط لها تأثير سياسى وعسكرى وينبه اليها ، وهو كما يعلم كثيرون له ثقافته العسكرية النامية باستمرار، تلك احدى ميزاته ، وكل ما نبـه اليه يعكس اسـتيعابه للموقف العسكرى استراتيجيا ثم تكتيكيـا ، لم يطلب المستحيل من احد قادته ، بل طلب ما فى استطـاعة كل منا ، وثقته كبيرة جدا فى قادته ، جعلتنا نحرص كل الحرص على صيانة هذه الثقة ، وتنفيذ ما خططناه وصدق به فى أكمل صور التنفيذ ، وكقائد أعلى شـاركنا المسئولية العسكرية ، وهـذه المشاركة لها دلالة لم يهتم احـد بدراستها حتى الان ولذلك استمر جهدنا موجها الى تنفيذ المهام لا الى الحرص على حياتنا ..

ولقد قلت لابنائى ذات يوم بعد الحرب :

« لم أر عاشقا لمصر مثله ، لانه عبر عمليا عن عشقه » .

من هو قائد البحرية ؟

- من مواليد العريش ، ٨ نوفمبر عام ١٩٢٣
- عاش طفولته وصباه فى الاسماعيلية .
- تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤٦ .
- قضى عاما بالكلية البحرية بعد ذلك ، وكان التحاقه بها تحقيقا لرغبة شخصية .
- التحق بالمدمرات ضابطا للمدفعية .
- قضى عامين بين سفن الاسطول البريطانى فى البحر الابيض .
- حصل على بعثتين الى انجلترا ، درس فى الاولى جميع تخصصات البحرية ، ثم تخصص المدفعيـة والطوربيد .

ـ حصل على كلية الاركان من الهند .
ـ قام ببعثة قيادة مدمرات الى انجلترا مرة أخرى عام ١٩٥٥ .
ـ حصل على فرقة دراسة عسكرية سوفييتية داخل قواتنا المسلحة ، وهى فرقة قيادة وأركان بمستوى قائد تشكيلات ، عام ١٩٦٣ .
ـ كان فى مقدمة خريجى الدفعة الأولى بأكاديمية ناصر العسكرية العليا مع المرحوم المشير احمد اسماعيل على والفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى عام ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ .
ـ تولى قيادة قواتنا البحرية فى ١٢ يونيو عام ١٩٦٧.
ـ أخرجته مراكز القوى عام ١٩٦٩ .
ـ عاد الى القوات البحرية عام ١٩٧٢ .
ـ قاد أول معركة يطلق فيها صاروخ بحرى فى تاريخ العسكرية العالمية ، وهى معركة اغراق « ايلات » ٢١ اكتوبر عام ١٩٦٧ ، ثم أول معركة بحرية تصادمية بالصواريخ فى تاريخ البحر خلال حرب اكتوبر المجيدة .

المعركة التصادمية البحرية

أصبحت اللنشات الصاروخية تتصدر فنون القتـال الحديثة المتطورة فوق البحار ، وتوارى دور المدمرات أو القطعة البحرية الـكبيرة قليلا ، لتتقدم وتسود تلك القطعة البحرية الصغيرة « الزورق أو اللنش .. »

وفى حرب رمضان الماجدة أدار مقاتلو سلاح اللنشات فى قواتنا البحرية معاركهم بأرفع الـكفاءة القتـاليـة ، وأعطوا للوطن العربى باقتدارهم واستطـاعتهم ونوعيـة تدريبهم صفحات فخار وشرف فوق البحـرين الاحمـر والابيض .

فى احـدى هـذه المعارك ، واجهت « ٤ » لنشـات مصرية « ٨ » لنشات اسرائيلية ، تحميها مظلة جوية من الفانتوم و ٦ طائرات هليكوبتر حاملة للصواريخ ، واغرق عمالقة زوارقنا خمسة لنشات عدوة ، وأصابت السادس

هـذه بعض ملامح السيطرة والسيادة التى امتلـكها « سادة البحرين الاحمر والابيض قواتنا البحـــرية » بمختلف أسلحتها الضارية فى حرب اكتوبر .

لقد سجلت لنشات الصواريخ المصرية تأكيدات جديدة بارزة على التحول الفعلي فى معارك البحر الحديثة ، من القطعة البحرية الـكبيرة ــ الى القطعة الصغيرة ، وهى « اللنش » خلال حرب التحرير فى رمضان الخالد ...

ففي أكتوبر عام ١٩٦٧ ، ظهر للعـــالم أول هذه المؤشرات عندما اغرق احد زوارقنا ، المدمرة الاسرائيلية ايلات ، ووقع بعد ذلك انقلاب هائل فياستراتيجية القواتالبحرية غرب العالم وشرقه ، وتبـــدلت دوليـــا موازين وخطط ترسانات الاسلحة البحرية ، وجاء اكتوبر عام ١٩٧٣ ، وحققت قواتنا البحرية بوحدات اللنشات الصــاروخية ارقي الانتصارات ، كما قدمت لدول العالم وجيوشــها نموذجا عاليا فى كفاءة ادارة القتـــال التعرضى والمعركة التصادمية البحرية الـكبيرة باستطاعة وسيطرة ، وهى قابضة بذراعها الفولاذى على زمام القتال فوق البحر ، مالـكة لاحدث فنونه ، قادرة على توجيه أكبر حجم مؤثر من النيران ضد أجنحة العدو البحرية ، فى قتـــــال حاسم سريع ، تكرر كثيرا ، وأبرزها واحدة من العمليات البحرية التى وقعت لاول مرة بالعالم ، ودارت على مدى ليلتين وتلاحمت فيهالنشاتنا مع لنشات العدو ما بين البرلس ودمياط ليلتى ٨ و ٩ أكتوبر عام ١٩٧٣ .

فى هــــذه المعركة هاجمت اللنشات الاربعة المصرية تشكيلا معاديا يتكون من ضعف عدد لنشاتنــــا مدعوما باكثر من ٦ طائرات هليكوبتر مسلحة بالصواريخ ، ومظلة جوية من الفانتوم وقاتلت وحداتنا ببسالة .ورباطة جأش وطبقت بيانات تدريباتها ، وأصرت على تدمير العـــدو البحرى أمام سيطرته جويا ، واســتطاع مقاتلونا تدمير خمسة لنشات اسرائيلية ، وأصابوا السادس ، فى نهاية المعركة ، وقد أسقط مقاتلو المدفعية المضادة للطـــائرات فوق لنشاتنا ثلاث طائرات هليكوبتر ، وهربت الطـائرات الثلاث الاخرى حين ظهرت طائراتنا الميج ٢١ ، لتطـــارد الفانتوم الاسرائيلية فوق سماء البحيرة .

وعاد الرجال خلال اجازة قصيرة الى الميناء ، وذهبت اسعى اليهم والى بطولاتهم .

الترابط الاخوى

روى لى المقاتل ابراهيم :

ـ نحن فى اللنش كأفراد الاسرة الواحدة المتحابة ، فالقطعة البحرية الكبيرة أو الصغيرة مكان ضيق متنقل، وفوقه نتعرض لاخطار القتال البحرى بل واخطار البحر نفسه ، ولذلك يسودنا قدر كبير من الترابط الاخوى ، ويظلل علاقاتنا ضباطا وجنودا مناخ ثرى بالعاطفة التى تنشرها رفقة السلاح ، وتنميها المشاركة بالدم ، ويرتقى بها الى أغلى العلاقات البشرية الانسانية ذلك المصير الواحد الذى نواجهه جميعا نحن طاقم اللنش فوق الماء .

عندما غرق احد لنشاتنا بعد ان تعرض لهجوم جوى مكثف ، وصدرت الاوامر الى الطاقم بالنزول الى الماء ، وكنا جميعا صياما فى رمضان الكريم : شاهد القائد جاد جنديا يصارع الماء ، فقفز خلفه وحمله سابحا الى لنش أخر ، وضابط ثان حمل جنديا جريحا لمدة ساعتين فى الماء يحميه بجسده من انفجارات قنابل طائرات العدو ، بل خلع أكثر الضباط جاكتات الانقاذ وأعطوها للجنود الذين لا يرتدونها ، وكان مشهدا رائعا لا ترقى اليه الكلمة لتصفه فوق الورق على الاطلاق .

وفى جلسة حوار بين المقاتلين « شرين ، ويحيى ، ورضا ، وطارق، واسماعيل ، وفاروق ، وسمير، وأمير، وسيد » ، من عمالقة لنشات الصواريخ المصرية ، عدنا للوراء قليلا :

ـ ان اكثر مقاتلى اللنشات تمرسوا بالقتال الفعلى فوق الزوارق فى يونيو ، واكتوبر عام ١٩٦٧ ، وفى عام

١٩٦٩ وعام ١٩٧٠ ، وطوال سنوات الصبر والصمت التي نادى بها القائد الاعلى الرئيس انور السادات ، كان التدريب عمليا وعلى نطاق واسع فوق أطول خط قتال بحرى في الشرق الاوسط من اقصى الشمال الغربى على حدود ليبيا حتى بور سعيد — بالبحرالابيض — ثم شمال قناة السويس ممتدا الى نهاية حدودنا الجنوبية مجتازا البحر الاحمر .. وبذلك ، تمثل قواتنا البحرية أول خط هجومى — دفاعى — فى المعارك الشاملة أمام البحرين ، الاحمر ، والابيض ، وفوق هـذا الخط ١٦٠٠ كيلومتر كانت برامج التدريب الدموية تطبق بالذخيرة الحية ، وتحت كل ظروف وأجواء البحر المختلفة ، كى تزداد اطقم الوحدات اتقانا لمهامهم ، ثم تجرى المناورات لاختبار نتائج هذا التدريب .

وجاءت الايام الحاسمة القريبة من اكتوبر عام ١٩٧٣، وفى وقت مختار بعناية شحن الرجال صواريخهم واحتلوا اماكنهم دون ان تؤدى تحركاتهم الى كشف نواياهم ، وكانت وحدات العدو تتمركز فى موانىء اشدود ، وحيفا بالبحر الابيض ، وموانىء ايلات وشرم الشيخ ، ورأس سدر ، وأبو رديس بالبحر الاحمر ، ورجال الاستطلاع حولهم دائما ، يرصدون نشاطهم وأحجامهم وتسليحهم عبر ٤٠٠ كيلومتر ، هى مساحة ما تبلغه سواحل العدو بما فيها الارض المحتلة .

وفى يوم ٦ أكتوبر الخالد ، اشتركت جميع تشكيلات القوات البحرية بالهجوم على العدو .. مدمرات ، غواصات ، مدفعية ساحلية ، قناصات ، صاعقة بحرية ضفادع بشرية ، لنشات الطوربيد ، ولنشات الصواريخ حيث قامت الوحدات الاخيرة بتوجيه قصفات مكثفة الى مناطق شرق بور فؤاد ، ورمانه ، ورأس برم ، وشرم

الشيخ ، وميناء رأس سدر ، ووقعت المعركة التصادمية الشهيرة مع بداية يوم ٨ اكتوبر عام ١٩٧٣ ، أول معركة فى التاريخ البحرى تشترك فيها صواريخ - ضد صواريخ ، غير ان بطولة مقاتلى لنشاتنا لا تنحصر فى هذا اللون من القتال فحسب ، بل فى هجومهم المقتدر ضد لنشات العدو وهى ضعف لنشاتهم .

ليست معجزة !

ماذا حدث ، خلال القتال ؟

كيف دارت هذه المعركة التعرضية ، التصادمية بين البرلس ودمياط ، وكيف حقق عمالقة لنشاتنا هذا القدر من النصر التكتيكى ؟ !

يجيب الرجال :

- ليس فى الامر معجزة ، حقيقة كان الله حولنا يزودنا بالحماية ويلهمنا التصرف الحكيم خلال احرج اللحظات ، ولكننا جميعا نعلم أن الله يطالبنا قبل كل شىء بقسط كبير من الكفاءة ، ولم نكن لنملك هذه الكفاءة الا بالتدريب والدراسة ، والمران العملى على مواجهة مثل هذه المعارك ، والبقاء بكل اليقظة على تطور دراستنا لامكانيات العدو وامكانياتنا ، بأنضج الرؤيا وأصدقها عرفنا نقاط الضعف لدينا ونقاط الضعف لديه ، عملنا باصرار على معالجة أوجه القصور فى وحداتنا ، لم نترك صغيرة الا وواجهناها بشجاعة ، واستمر تحصيلنا لمعارف فنون القتال فوق البحر لا يتوقف أو يتجمد ، وحين نمل التدريب أو نشعر بطول مسافته ، نلجأ الى الله ليملأ صدورنا بالامل والثقة والتماسك حتى يأتى يوم لم يطرأ على بال أحدنا انه قد بات على الاطلاق ، فالصورة لدينا كانت تختلف عن

الصـورة التى يمكن ان تتراءى لخيال الجماهير ، كان الاستعداد للقتال بأقصى الاحجام المتوفرة لدى قواتنا ، هو شاغلنا وحاضرنا وغدنا .

ومن هنا دخلنا المعركة معززين بعوامل الثبات الانفعالى الارادى ، مزودين بأحسن الانجازات واثقين فى قادتنا ، مستعدين للعمل الجرىء الفورى وقد فرغنـا من رؤية العدو ، عملياته المحتملة ، تشكيلاته ، سرعات الحركة الممكنة له ، خط السـير حين يقوم بهجومه المضـاد ، خطوط انتشاره ، نقط ارتكازه ، صفات التمويه لديه ، سيكولوجيته وقراراته المتوقعة ، تربيتـه العسكرية ، باختصار كانت بين أيدينا كراسات خاصة بالعدو البحرى والجوى ، هضمناها جيداً ، بما يجعلنا قادرين على توجيه الضربات المدمرة لقواته فى البحرين الابيض والاحمر .. بل وفى عقر موانيه » .

كانت مناورات لنشاتنا اكثر من رائعة .. ان الصراع من أجل السرعة فى قتال البحر ، واحراز الســيطرة يتطلب ارقى فنون المناورة التى تعكسها برامج التدريب المتفوقة الجيدة وتستطيع اللنشات احراز هذا المستوى ، انه لا يقل أهمية أو خطورة عن صراع القـدرة الاعلى والوزن الاخف فى معارك الطيران ، وكما يقول المقـاتل القاضي ان نوعية تدريبنا تساعد القائد على أصدار قراراته الصائبة فى زمن قياسى ، والفروق الزمنية الصــغيرة تصنع بمعارك اللنشات الصاروخية فروقا عظيمة ، هى نتائج هذه المعارك وتأثيرها التدميرى .

لقد تلقى أحد لنشاتنا ١٢ قنبلة من طائرات الفانتوم وسكاى هوك ، و ١٠ صواريخ جو ـ أرض وقاتل لمدة ٩٠ دقيقة كاملة ، وناور طوال هذه الفترة انجح المناورة ودمر لنشين للعدو وعاد سليما برجـاله دون شهيـد

واحد أو جريح ، وبعد ١٢ ساعة راحة فقط كان طاقم هذا اللنش يقاتل مرة ثانية أمام رشيد ـ أبى قير .

علق أحد الضباط بقوله :

ـ كان الجنود يلقون النكات حول العدو أثناء القتال، ومعنوياتهم تفيض حماسة ونضارة وكأنهم يقومون بنزهة فوق الماء ، وفى احدى المهام طارت فوقنا طائرات العدو على موجات متتابعة ومن كل اتجاه حولنا ، ولم يطرأ أى تحول على مشاعر الرجال ، نفس البسمة والبأس والوقفة الجماعية الشامخة فهجومه المكثف بالطيران واللنشات علينا ، ومحاولته المستميتة لتحويل الليل الى نهار ، اذ كان يلقى عشرات القنابل فى اللحظة الواحدة من نوع « الفليزر » وهى مشاعل مضيئة لكى يفاجئنا بالصواريخ ، هجومه بهذا القدر لم يحقق أدنى مفاجأة لنا ، فكل هجماته حتى عدد قنابلها المضيئة المتوقع القاؤها فوق وحداتنا البحرية وهى تهاجم ليلا كانت مقدرة أمامنا من قبل ، وعلى ضوئها وضعت القيادة خطة العمليات المسندة الىاللنشات المصرية الصاروخية.

بطولة السيد

وروى الرجال قصص بطولات عديدة قام بها رفاق السلاح وقد علقت بذهنى قصة المقاتل بحرى « السيد » ابن المنصورة ، وكان فوق اللنش الذى التحق به حين ظهر هدفان معاديان فى الطريق الى منطقة أبى قير ، واستعد الطاقم للتعامل معهما ، وفجأة اكتشف «السيد» ان عطلا أصاب القاذف الصاروخي، وبعد ثوان اشتعلت النيران بالقاذف بعد ان سقطت بالقرب منه قنبلة اسرائيلية نتيجة غارة جوية ، ولم يتمكن من الاتصال بقيادة اللنش لانفجار مناطق المرور ، ولم يرتبك أو

يتخبط ، أخذ طفـــاية الحريق وبدأ يطفيء النيران ، فامسكت بملابسـه ، وسرعانما تخلص منها ، ليجد جزءا من الصاروخ وقد حشر فى القاذف فعطله عن العمـل ، وكان هـذا الجزء يهدد بانفجار اللنش ومن عليه فى اى لحظة .. ولم يهرب السيد ، بل واجه الموقف بشجاعة ، واستطاع هو وزملاؤه السيطرة على الحريق ، وتبـريد مخازن الذخيرة التى كادت تنفجر داخل اللنش ، وبدأ التعامل مع العدو ودمر الرجال الهدفين المعاديين .

يقول السيد :

ـ كنت اطفيء القاذف وملابسى مشتعلة بالنيران ـ وزميلاى يمسكان بطفايات أخرى يطفئان النيران الممسكة بى ، وحين أدركت ما يحدث ابتسمت وضحكت عاليا من منظرنا نحن الثلاثة ، وســاعدنى الضـحك على تحقيق السيطرة وحصار النيران ثم اخمادها .. حدث كل هذا فى ثوان ، ثم تفرغنا للنشات الاسرائيلية .

قال لى بعض قادة اللنشات المصرية :

ـ قبل اكتوبر عام ١٩٧٣ ، كان العدو يتلقى ضربات بحريتنا ، وفى اكتوبر وقع الالتحام والتصادم والاختبار لـكلينا .. لقد كان ظهور لنشاتنا أمامه هو كل المفاجأة التى لم تفقدها قط ، وفى كل مرة كنا نظهر فى المنطقة التى لم يتوقع أبدا أن نظهر فوقها ..

فى يوم ١٥ و ١٦ اكتوبر اقمنا عدة كمائن باللنشات على سواحل البحر الاحمر .

أول كمين أصيبت به ثلاثة أهـداف وغرقت تماما ، والرابع أصيب واستطاع الافلات منا ، ثم جاءت طائراتنا واغرقته .

وحين أصيب أحد لنشاتنا واشتعلت فيه النيران كان رجال اللنش يكافحون الحريق من داخل الحريق نفسه

وكل مقاتل حرص على معدات وأجهزة اللنش كحرصه على أبنائه ..

ان لنشات العدو لم تستطع طوال أيام الحرب مواجهة لنشاتنا الا اذا توفرت لها الحماية الجوية الكثيفة ، وليس معنى ذلك هو الاستهانة بامكانيات لنشاته المزودة بصواريخ جابرييل ومداها ١١ ميلا ، ولديه من اللنشات ما يحمل الواحد منها ٨ صواريخ واطقمة مدربة فى بلاد أوربية متقدمة .. واحقاقا للحق لا نقول ان العدو فوجىء بالسلاح المتطورالذى نملكه ، انه يعلم عنه كما نعلم نحن عن تسليحه ، ولكنه فوجىء بالمقاتل المصرى يتفوق عليه ، ويستبسل فى قتاله حتى الموت .

لقد قصفت لنشاتنا ميناء شرم الشيخ ، ورأس محمد بالمنطقة ، ومحطة رادار وانذار سطحى للعدو كان يكشف له عن نشاط بحريتنا ، وتدخل الطيران الاسرائيلى لمدة ثلاث ساعات ضد وحداتنا البطلة وأفلت رجالنا بمناوراتهم فوق الماء من صواريخ الطائرات وحين جاء العدو يوم ١٧ اكتوبر عام ١٩٧٣ فى عملية انتحارية جريئة لتوجيه قصفه ضد ميناء الغردقة مستخدما أربعة لنشات « برترام » الامريكية التى يستعملها كوماندوز البحر حاملين للمدافع الصغيرة، فوجىء برجالنا ينتظرون قيامه بهذه المغامرة بعد الخسائر الكبيرة التى أصيبت بها لنشاته واطقمها ، وفوق اللنش يعمل ما يقرب من ٣٠ فردا بحريا ، كان متوقعا ان يقدم على مثل هذا العمل الجرىء لتعويض خسائره ، واستعد له الكوماندوز المصريون وقد فاقوهم جرأة وهجوما ، وقضوا عليهم تماما ، وأرسلت صورهم قتلى الى اسرائيل ، ولم تتكرر المحاولة الاسرائيلية الجريئة مرة أخرى بعد ذلك .

تحية للابطــال

تحية للذين صــعدوا الى رحاب الله فدية للنصر ، وللأحياء الذين حملوا السلاح بجانبهم ولا زالوا فى وقفتهم على تمام الاستعداد للقتال مرة أخرى ، تحية للأبطــال سليم، وشبل ، وغنيم، ومحمود، وعدلى ، والسرساوى وعبد المحسن ، وعوض الله ، للذين التقيت بهم ، والذين حالت الظروف بينى وبينهم ..

لقد عاد جميع رجال لنشاتنا الى قواعدهم ووجوههم مزدحمة بالاصابات والجروح والشــظايا ، أذرعتهم ، سيقانهم ، كل قطعة فى أجسادهم كانت مزينــة بشظايا قنابل الفانتوم ، وصواريخ جابرييل ، ولم تخفت حدة اندفاعهم ، ظلوا أشــبه بالمــاء المنطلق بعد احتجازه خلف الســدود ، بكل اللهفة والشوق أداروا لنشاتهم ، فاتحين لنيرانهم ، رافعين لراياتهم ، محققين أشرف وأغلى النصر

أول طلقة فى الحرب

لقد قاد الفريق الماحى قوات المدفعية المصرية التقليدية والصاروخية فى حرب اكتوبر المجيدة ، وقال عنه القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات « انه رجل رهيب مثل مدفعيته التى لعبت أخطر الادوار فى الحرب ، ولكنه دائما الرجل الهادىء الصامت الذى يتحدث فى همس .. »

هذه قصة « البطل الماحى » واحد من ألمع أساتذة المدفعية فى جيوش العالم ..

لقاء وحوار معه فى يوليو عام ١٩٧٤

فى كل معركة ، الطلقة الاولى لها دائما ..

ان قذائفها هى اشارة البدء لكى تشتعل بعد فترة معينة من قصف المدفعية أرض ومواقع العدو بالنيران ، ثم تقتحم قوات المشاة حصونه ومراكز حشد دباباته وتجمع قواته .

انها المدفعية المصرية ، أول طلقة فى حرب أكتوبر المجيدة كانت لها ، لقد بدأت مدفعيتنا الحرب قبل الموعد المعروف وهو الثانية ظهرا بثلاث وخمسين دقيقة ، هى فترة قصف مدافعها بمختلف الاعيرة .. ثلاث وخمسين دقيقة من اخطر لحظات الهجوم ، حتى جاءت ساعة الصفر فعبرت طائراتنا مياه القناة ، وفوق الارض

كانت ارتال المشاة والقوات الخاصة تبدأ واحدة من ابرز معارك العصر ..

وفى العام الماضى قال الرئيس أنور السادات وهو يتحدث عن المعركة :

ـ ان المدفعية المصرية الرهيبة لعبت أخطر الادوار الى جانب الصواريخ . ان قائد المدفعية فى الميدان هو الفريق الماحى الذى يعمل معى الان كبيرا للياوران رجل رهيب مثل مدفعيته ، انه هادىء صامت يتحدث فى همس ، وقد تلقى منى التعليمات بضرب العمق فى اسرائيل اذا بدأت ، وكانت تعليمات تفصيلية حاسمة .. انه رجل رهيب فعلا .. كنا فى غرفة العمليات وكنت اصدر اليه الامر بضرب المواقع المحددة بألاف الاطنان من القذائف ويتلقى الامر فى هدوء ، ويعود لى بعد دقائق وفى هدوء هامس يتقدم بورقة صغيرة ويقول فى صوت غير مسموع : تم التنفيذ .. وينصرف وكأنه لم يفعل شيئا ، وكأنه لم يقلب مواقع العدو رأسا على عقب .»

١٩٥١ بجانب الرئيس

ان رجل المدفعية الاول قضى ٣٢ عاما بجانب المدافع، فهو من مواليد دمياط ـ اول فبراير عام ١٩٢٢ ، وحصل على شهادة الدراسة الثانوية فى المدرسة نفسها التى تخرج فيها الرئيس السادات « فؤاد الاول الثانوية » ثم تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤٢ .

وفى عام ١٩٥١ ، خدم بجانب الرئيس السادات فى الفرقة الاولى مشاة برفح ، وهناك كان اول لقاء لهما ، وقامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، واختير « الماحى » مدرسا بالكلية الحربية .

لقد قاتل الفريق الماحى اول معاركه بالمدفعية فى جولة

عام ١٩٤٨ ، شارك فى معارك دير سنيد وغزة والمجدل ، وعاد الى القاهرة ليتخرج فى كلية الاركان عام ١٩٥١ ـ بعدهاالتحق بالفرقة الاولى مشاة فى رفح حيث التقى بالقائد الاعلى الرئيس السادات .

وفى عام ١٩٥٣ ، أسند اليه الرئيس السادات دورا قتاليا فى عمليات الفدائيين ضد قوات الاحتلال البريطانى بالقنـــاة عامى ١٩٥٣ و ١٩٥٤ ، ومنح الرجـل نوط الشجاعة العسكرية .

وجاء عام ١٩٥٥ ، وذهب الى بعثة عسكرية فى انجلترا .. وعاد الى هيئة العمليات ، ثم تولى قيادة لواء مدفعية .. وظل يتدرج فى وظائف السلاح ، حتى أسند اليه الرئيس السادات قيادة المدفعية المصرية عام ١٩٧١ ، وقام بدوره فى حرب اكتوبر المجيدة ، وفى فبراير ١٩٧٤، اختاره الرئيس كبيرا للياوران تـكريما واعزازا .

عنصر السبق

قال لى الفريق المـاحي :

ـ ان المدفعية المصرية بأصالتها الموروثة ، وبأخطر مهامها التي أوكلت اليهـا ، ظلت متفوقة على المدفعيـة الاسرائيلية دائما حتى بعد أن تطورت مدفعية العدو فى مراحلها الاخيرة ، فان المدفعية المصرية ظلت تحتفظ بعنصر السبق عليها ، وأثبتت فى فترة حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، بل وما قبل ذلك خلال مراحل الصراع المسـلح منـذ عام ١٩٦٧ ـ الصمود والردع والاستنزاف ـ تفوقهـا الـكامل على المدفعية الاسرائيلية بفضـل وعي وكفاءة وتضحية أبنـاء السلاح ، ولقد شهد للمدفعية المصرية اكثر من معلق عسكرى أوربى فى كتب الامس البعيـد عن حرب عام ١٩٥٦ ، وحرب عام ١٩٧٣ ، ويحضرنى فى

هـذه المناسبة قول الـكاتب الامريكى كينث لاف فى كتابه « السويس ــ الحرب المتجددة » :

ــ ان المدفعية المصرية ظلت تقاتل ضد السفن المغيرة عليها وضد المدرعات والطيران المعادى فى وقت واحد ، حتى أمسكت النيران بكل شبر من الارض فى شرم الشيخ وأصبح من المتعذر اطفاؤها .

ولقد تطور أسلوب العمـــل فى المدفعية المصرية من الاسلوب الانجليزى الى الشرقى ، واســتطاع رجـال السلاح من المقاتلين الذين أعطوه أحلى سنى حياتهم استيعاب التطوير الذى أدخل على النواحى الفنيـــة وعلى السلاح الحديث ومتابعة التقدم العلمى عبر العالم تكنولوجيا حتى أدخلت المدفعية المصرية عام ١٩٧١ ، الاجهزة الحاسبـة الالـكترونية ، وواكبت بذلك تطور المعدات الفنية ، كما استوعبت التعديلات الاخرى فى التسليح من الصواريخ المضادة للدبابات الى الصواريخ أرض ــ أرض ليس على المستوى التكنيكى فحسب ، بل على المستوى الاستراتيجى ، واثبتت كفاءتها فى سيناء خلال الحرب بصورة متفوقة.

قلت :

ــ لقد تحدث الرئيس الســـادات عن صـــواريخنا الموجهة الى ثلاث مدن رئيسية فى اسرائيل اســتعدادا لضرب العمق الاسرائيلى اذا لجأ العدو الى الهجوم على العمق المصرى .. هذه المهام كانت من المهام الموكولة الى المدفعية المصرية .. اليس كذلك ؟

ــ نعم ، ومن هنا ذكرت لك أن حساباتنا كانت على المستوى الاستراتيجى أيضا ، ففى يوم ٢٢ اكتـــوبر ١٩٧٣ ، اطلقت المدفعية المصرية أول صواريخها الموجهة ضد العدو ، واعطى قوة تدميرية هائلة .

لقد قام الرئيس السادات بتعيين الاهداف فى عمق اسرائيل ، واستعدت المدفعية المصرية لضربها بالصواريخ اذا صدرت التعليمات بذلك ، ولما كان للمدفعية المصرية اليد الطولى فى المعركة ، والذراع القادرة على الوصـــول الى أى مدينة فى عمق اسرائيل ، فقد قرر القائد الاعلى ان تصبح مدن القناة عمقا هى الاخرى لجمهورية مصر العربية .

عدت أسأل :

ـ ما هى أنواع المدفعية التى اشتركت بها قواتـكم فى حرب ١٩٧٣ ، وكان لها هذا التفوق نوعا أو كما ؟

ـ لقد اشتركت المدفعية المصرية والصواريخ بمختلف الاعيرة فى مراحل الحرب المختلفة عام ١٩٧٣ وكان بينها اسلحة جديدة متطورة ، ولذلك استطيـــع ان اقول ان المدفعية قامت بأخطر الادوار فى هـــذه الحرب وشـكرا للقائد الاعلى الذى سجل هذه الحقيقة للسلاح قبل ان يتحدث احد عن دوره .. انه اعظم التقدير من رئيس الجمهورية لرجل المدفعية سواء من وحدات الصواريخ المضادة للدبابات التى ادخلت تعديلا كبيرا فى مفهوممعارك الدبابات فى الحرب الحديثة ... أو من وحدات المدفعيـــة ميدان فضلا عن الصواريخ التى قامت بمهام حاســمة خـلال الحرب على المستوى الاستراتيجى والتـكتيكى ، لقد نالت بما قاله الرئيس السادات عنها اعظم الاوسمة.

واحب ان اذكركم بأن المقاتل عبد العاطى بطل معـــارك الدبابات فى ١٩٧٣ ، وكان له شرف افتتاح معرض الغنائم حين دعاه القائد العام الى ذلك هو من جنود المدفعيـــة وليس المشاة كما ذكرت بعض الصحف ، خطأ غيرمقصود بالطبـــع .

عبور المدافع الثقيلة

متى عبرت المدفعية الثقيلة الى سيناء .. هل كان عبورها يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ أيضا ؟

ـ عبرت بعض أجزاء المدفعية الثقيلة المصرية الى الضفة الشرقية يوم ٦ اكتوبر فعلا حتى تتمكن من التعامل مع العدو بأقصى مسافات تسمح لها بمدى نيران مؤثر، واحتفظنا بجزء اخر فى غرب القناة كعمق للمدفعية يتعامل مع أسلحة العدو فى الوقت المناسب وتم تنفيذ عبور المدفعية بكامل أعيرتها طبقا للتخطيط الموضوع الا ان هناك بعض المواقف الطارئة التى اضطرتنا الى تعديل فى برنامج العبور وخاصة ذلك الموقف الطارىء الذى ووجه به الجيش الثالث فى الليلة الأولى للقتال ٦ ـ ٧ اكتوبر ١٩٧٣ ، حيث لم يتمكن من انشاء الكوبرى المخصص لاحدى فرق المشاة مما حال بين عبور وحدات المدفعية الثقيلة والدبابات الى الضفة الشرقية فى التوقيتات المحددة ـ وكان هذا الموقف يشكل خطورة على قواتنا التى عبرت واحتلت رءوس كبارى محدودة فى سيناء ، وظلت تواجه نيران الدبابات الأسرائيلية المكثفة فى بطولة أقرب الى المعجزات ، هنا صدرت تعليمات القيادة العليا بدفع احتياطى من وحدات الصواريخ المضادة للدبابات وتعاونها مع المشاة الى سيناء حتى تمكن المهندسون من انشاء الكوبرى وعبرت الدبابات والمدفعية الثقيلة الى المعركة ، وكان جنود المدفعية الصاروخية المضادة للدبابات قد حققوا الكثير من المفاجأة التى تحدث عنها العالم بعد ذلك ووصفوها باللحم ضد الصلب .

قلت لرجل المدفعية وبطلها :

ـ كيف كان الرئيس يعمل معكم ، اريد بعض الملامح من قريب لقيادة القائد الاعلى الرئيس انور السادات خلال الحرب .. ؟

ـ كان دائما فى مركز القيادة الرئيسى للعمليات يشاركنا كل صغيرة وكبيرة ، وهو يتمتع بهدوء أعصاب ورباطة جأش غير عادية كان لها فى الحقيقة وزن كبير خلال عملنا ... فهناك قرارات حاسمة أصدرها فى هدوئه وثباته غيرت من بعض نتائج الحرب وأدت الى النصر . كان دائما مع كل قائد بمشاكره ورؤيته فزودنا بالتفكير السليم ، ولم يكن يبخل بأى وقت ليلا أو نهارا يقضيه قبل الحرب بين المقاتلين يشجع أو يتقصى أو يرى بعينيه ولذلك كانت صورة مسرح العمليات بامكانيات قواته كلها فى ذهنه تماما عندما بدأت الحرب ، واذكر انه حين فقد البعض منا قدرته على التفكير السليم ان حزم الرئيس وثقته ورؤيته للموقف بكل الابعاد ، وقدرته على اصدار القرار السليم الحكيم ، كانت خلف استعادة الموقف والسيطرة على أرض القتال مما اعطى قواتنا فى النهاية طريق النصر .

كان الرئيس السادات يتدخل مع المدفعية حتى ابسط التفاصيل وكأنه ضابط متفرغ فى السلاح ، وقد حدد لنا الاهداف وأسبقيتها حيث يجب ان تتعامل معها المدفعية المصرية ، وراجعناها فوجدناها سليمة ١٠٠ ٪ وحين تم التنفيذ كبدنا العدو خسائر باهظة .

بارليف الاول

سيادة الفريق :

ـ لقد نسي الناس ان قواتنا المدفعية دمرت خط بارليف الاول ، وان حصون بارليف التى دمرتها قواتنا

عام ١٩٧٣ ، هى الحصون التى أقامها العدو للمرة الثانية .. هل نتكلم فى هذه العمليات ؟

ـ فعلا بعد عمليات ١٩٦٧ ، بدأ العدو فى اقامة خط حصين على طول شرق القناة ، منتهزا وقف اطلاق النيران ، وبمرحلة كسر وقف اطلاق النار بدأت المدفعية المصرية بمختلف أعيرتها فى التعامل مع هذه التحصينات ودمرنا اكثرها حتى صدر قرار وقف اطلاق النار فى اغسطس عام ١٩٧٠ ، وكانت هذه المهام ذات نتائج تدريب طيبة بالنسبة لنا حين عاد العدو واخذ ينشىء خط بارليف الجديد مستعينا بما حصل عليه أيضا من خبرات المرحلة السابقة ، وقد أقام هذه التحصينات بمستوى هندسى عال ، وبالتالى زاد العبء على مدفعيتنا وقبل الحرب استطعنا مع سلاح المهندسين ان نقيم نقطا قوية فى العمق المصرى مشابهة تماما لحصون بارليف ، حتى ندمرها ونصل بذلك الى المعدلات الصحيحة المطلوبة من قذائف المدفعية لتدمير النقط القوية الاسرائيلية ، وكانت النقط المصرية التى اقمناها تفوق نقط العدو من حيث القوة والمناعة والتحصين والاسلاك والالغام ، وبقى هذا العمل رغم تكاليفه هو السبيل الوحيد السليم لتدمير خط بارليف بالقذائف المصرية ، ومن هنا استمر قصف المدفعية يوم ٦ اكتوبر وقبل ٢ ظهرا ـ ٥٣ ـ دقيقة متواصلة للوصول الى النتائج المطلوبة ـ بعدها عبرت قواتنا وطائراتنا .

لقد قامت المدفعية أيضا ببعض المهام التى لم يكن من المعتاد أن تقوم بها كفتح الثغرات فى حقول الالغام والاسلاك على مستوى حصون بارليف ، وكان قصفا محكما نتيجة التدريب والتجارب والمعلومات التى حصلنا عليها حتى الدقائق الاخيرة قبل الساعة صفر من ٦ اكتوبر ، وبذلك

استطاعت قواتنا المشاة اقتحام هذه الحصون والاستيلاء عليها بعد أن أصبحت حصوننا غير صالحة للاستعمال ، وبقيت المعركة جندي مصري أمام جندي اسرائيلي وجها لوجه .. والنتيجة معروفة .

وأحب أن أضيف حقيقة عسكرية تغيب عن ذهن القارىء العادي ، وهي انه ما من قوة كبرت أو صغرت حين تواجه العدو في عمليات صغيرة أو كبيرة الا ورافقها رجال المدفعية لادارة نيران المدفعية ولتصحيح الضرب ، ولقد قدمت المدفعية المصرية خلال مراحل الاستنزاف وعبور بعض وحداتنا لتقاتل في سيناء ثم تعود الى الغرب اروع الامثلة في التضحية بالروح في سبيل الحصول على النصر حتى جاءت حرب عام ١٩٧٣ ، وكان للمدفعية دورها وشهداؤها الابطال .

انني اذكر مثلا واحدا من أمثلة البطولة والجراة خلال حرب الاستنزاف ، كانت وحدة مدفعية تفتح نيرانها على العدو ووجد قائدها انه في حاجة الى من يصحح له الضرب ، فاستقل طائرة هليكوبتر وطار بها الى الضفة الشرقية ، وقام بتصحيح ضرب مدفعيته لرجاله . قام بذلك وهو يعلم انه لن يعود ، فالعدو لن يترك هليكوبتر مصرية تدخل حتى قواته ويتركها تعود سالمة ، لقد قدم البطل حياته مقابل قصف سليم لمدافعه يعطي النتيجة المطلوبة في النهاية ولتذهب حياته مقابل هذا الثمن ، انه المقاتل المصري ابن هذه الارض الطيبة الثرية بمعدنها ورجالها .

ولقد تكررت هذه الاعمال البطولية عام ١٩٧٣ ، وقد رفض بعض المقاتلين ان يترك مدفعه حتى اقتحمته دبابات العدو دون أن يترك ابدا سلاحه أو يتخلى عنه مقابل نجاته .

أربعة الاف مدفع

سؤال أخير ..

ـ قيل ان حجم المدفعية المصرية فى حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، لم تصل اليه من حيث العدد والحجم أى معركة فى الشرق الاوسط من قبل .. بما فيها معركة العلمين.. هل هذا صحيح ؟ ..

ـ نعم كان عدد المدافع التى حشدت على طول المواجهة يزيد على اربعة الاف مدفع وقد قصفت العدو بواقع ١٧٥ قنبلة كل ثانية فى فترات القصف أو الدقائق الاولى من التمهيد بالنيران .

لقد كان حشد هذه المدافع على خط المواجهة عملا ممتازا تميز بالخداع الكامل للعدو .. هذه الالاف من المدافع وذخيرتها دخلت الى أماكنها دون أن يدرك العدو ماذا نفعل !

وكانت النتيجة اننا دمرنا نسبة كبيرة من الاحتياطى المدرع الاسرائيلى خلال الايام الاولى للحرب ، ذلك ان جماعات المدفعية المصرية التى قامت بالعبور يوم ٦ اكتوبر الى سيناء ومع الموجات الاولى للمشاة بعد ذلك قاموا بتوجيه ضرب المدفعية فى غرب القناة وتحققت اكبر مستويات الفعالية فى القصف المصرى داخل مناطق تشوين الذخيرة الاسرائيلية وحشد الدبابات فى عمق العدو ثم تقدمت تشكيلات المدفعية عابرة الى سيناء فاتحة نيرانها رافعة رايات النصر .

بـدأ الحـرب وأنهاهـا

لقاء وحوار معه فى اغسطس ١٩٧٤

كانت عين القائد الاعلى عليه منذ عام ١٩٦٩ .

ففى ابريل من ذلك العام تولى الفريق محمد حسنى مبارك رئاسة أركان قواتنـا الجوية ، وبعد ذلك بفترة بسيطة تصاعدت عمليات حرب الاستنزاف الى هجمات واعتراضات جوية شبه يومية ، أدارها الرجـل بكفاءة واقتدار ، والتفتت جماهير شعبنا الى أعمال بارزة مميزة قام بها طيارونا الشبان ضد قوات العدو الاسرائيـلى فى سيناء .

ومرت الايام ، وفى ابريل عام ١٩٧٢ ، التقى الرئيس السادات باللواء حسنى مبـارك ، ودار بينهما حـديث طويل حول الحرب ودور الطيران ، ثم أسند اليه قيادة قواتنا الجوية العملاقة ، ليؤدى البطـل دورا وطنيـا تاريخيا ، استرد به الشعب المصرى بصفة خاصـة ، والشعب العربى بصفة عامة كرامته وكبرياءه الوطنية ، حين خاضت قواتنا المسلحة أشرف وأعظم معارك العصر فى حرب رمضان المجيدة ، وكانت قواتنا الجوية أول من أطلق « الشرارة » الاولى فى الخطة .

لقد بدأ الطيران المصرى الحرب ، وهو الذى انهاها كما قال « الفريق عبد الغنى الجمسى » رئيس الاركان

وجاء عام ١٩٧٤ ، ومنذ بدايته وانا أحاول اقتناص بعض الوقت للقاء القائد ، واحد من ألمع نجوم العسكرية المصرية وقد خطط وقاد معركة جوية اعطت أرقى أشكال التفوق والابداع والسيطرة ، وكانت « اضافة » رجاله فى السماء أو فوق الارض من طيارين ومهندسين وفنيين طوال الحرب ، الى فنون القتال هجوما أو اعتراضـا اقرب الى الاعمال الخارقة ألتى تفوق امكانيات مقاتلى احدث اسلحة الطيران فى العالم .. فهدأت قلوب الجماهير القلقة اللاهثة فى الصدور ، وعادت البسمة الى الوجوه

ولقد انتظرت هذه الشهور بطولها حتى التقيت به فى صيف عام ١٩٧٤ ، ذلك لاننى أعلم ان الرجل لم يحصل على راحة منذ عام ونصف عام ، وان اعباءه اليوم أخطر وأكثف من أعباء الحرب ، فقد عاد الرجال الى التدريب، وبقيت العيون والعقول والاعصاب مفتوحة يقظة مشدودة الى مواجهة مختلف الاحتمالات .

قلت للفريق طيار حسنى مبارك :

وصفت بعض الاقلام عربية واوربية ، حرب رمضان بأنها حرب « الساعات الست » أليس هـذا التحديد الزمنى أجحافا بما قامت به قواتنا ، أو خطأ مقصود ؟

ــ هو كذلك فعلا، فحرب رمضان استمرت على مستوى الجو والبر والبحر ١٧ يوما ، شـــهدت أعنف المعارك الجوية والبرية والبحرية ضراوة فى سيناء وغرب القناة، والبحرين الابيض والاحمر ، ولكنى لا أعتقد انه خطـأ مقصود ، ذلك لاننا فى حرب عام ١٩٦٧ فقدنا السيطرة الجوية فى ساعات قليلة وطائراتنا فوق الارض ، وبالتالى تعرضت قواتنا البرية للابادة فى سيناء ، وفى حرب عام ١٩٧٣ أحرزنا السيطرة والسيادة الجوية ، كما أحرزنا التفوق المطلق رغم قوة طيران العدو، وهى قوة لايستهان

بهما من ناحية الكم والنوع .. أحرزنا هذه المعجزات فى الساعات الاولى من المعركة ، حطمت قواتنا المشاة خلالها حصون بارليف الهرمية ، فجاءت هذه التسمية التى أطلقتها الصحافة « حرب الساعات الست » لان العدو فقد توازنه خلال هذه الساعات .

ولكنها عمليا وتاريخيا حرب السبعة عشر يوما ..

ما قبل ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣

كيف علمتم بقرار الحرب ، ما هى المقدمات التى سبقت تحديد يوم ٦ أكتوبر ، وكيف كانت ملامحها ؟

طلبنى القائد الاعلى الرئيس السادات بعد أن أسند لى قيادة قواتنا الجوية ، وكان لقاء ذا طابع خاص ، فقد قال لى سيادته :

ـ سنحارب معركتنا ، والطيران هو فيصل الحرب ، وعليك منذ هذه اللحظة اختيار أسلوب جديد فى الهجوم ، أسلوب هو المفاجأة بعينها للعدو ، وفى الوقت نفسه يضمن سلامة قواتنا الجوية وقدرتها على الاستمرار واحراز النصر .

ساعتها أحسست بجسامة المهمة وخطورتها ومسئوليتها التاريخية ، وظللت ٧٢ ساعة دون نوم ، أفكر على الورق ، ثم عدت الى الرئيس بمشروعى ، وكان باختصار شديد بعيدا عن التفاصيل يتضمن العمل الجوى المركز بما يضمن تحقيق ضربة السيطرة الجوية بنجاح ، وقد وفقنا الله عز وجل الى ابتكار هذا التكتيك الجديد وتطبيقه فى أرقى أشكاله الهجومية .

وقبل الحرب بعدة أشهر ارتفع معدل التدريب وظللنا نعمل طوال النهار والليل مع الاحتفاظ ببعض النشاط الوهمى لتضليل العدو عن حقيقة نوايانا وقد استلزم

هذا النشاط جهدا وطاقة اضافية طوال عام كامل .

وفى افسطس عام ١٩٧٣ ، اعطانا القائد الاعلى قرار الاستعداد الكامل لساعة الصفر ، تحددت بعد ذلك بيوم ٦ اكتوبر ـ ٢ ظهرا ، وكانت حرب رمضان المجيدة وقد مررت على جميع قواعدنا الجوية ثلاث مرات قبل اسبوع من اليوم الخالد .

قيل عن حرب عام ١٩٦٧ ، ان الخدمة الارضية فى مطاراتنا كانت ضعيفة للغاية ، هل يؤدى ضعف الخدمة الارضية الى هزيمة الطيار المدرب جيدا ؟

ـ نعم ، ان الطيران ما هو الا طيار وملاح ومهندس وفنى واداري ، وكل طائرة تحتاج لجهود تستغرق مابين ٢٠ و ٢٤ ساعة لتحقيق سلامة مهمتها ، وحين بدأنا الاستعداد لمعركة المصير كان علينا التخلى عن الاساليب النمطية فى اعداد واصلاح الطائرات ، واستخدام وسائل بديلة مستحدثة مدروسة ، الفضل فى ايجادها يعود للعقل المصرى ، فأقمنا مدارس عسكرية خاصة لتأهيل كل الاطقم الفنية فوق الارض وفى السماء ، حتى يمكننا بعد ذلك ترجمة عمل هؤلاء الى قتال ناجح ...

ظل التدريب التعبوى يتم على هيئة مشروعات مشتركة مع بقية أسلحة قواتنا ، مع تدريب الطيارين ليل نهار على الطيران بارتفاعات منخفضة لتفادى الكشف الرادارى وأجهزة الانذار المبكر لدى العدو ، وتدرب الرجال على اطلاق المدافع والصواريخ بدقة وكفاءة عالية فى تمييز الاهداف والمناورة بميادين رمى مزودة بأهداف هيكلية ، كما تدرب الطيارون على الاقلاع بطائراتهم فى زمن قياسى ، وبالتالى استوعب التدريب أطقم الملاحة الجوية ، والتصوير الجوى وتفسير الصور التى تعود بها طائرات الاستطلاع ، مع رفع كفاءة الاصلاح الهندسى للطائرات .

واستطرد الفريق طيار حسنى مبارك قائد قواتنا الجوية فى حديثه ، وهو يستعيد صفحات الشرف التى حققها العمالقة من ابنائه نسور الجو ..

ــ لم يكن ما حققته قواتنا الجوية أملا قائما على المصادفة او المفاجأة أو ضربة حظ عشواء .. بل كان نتاجا لبرامج التدريب القاسية ، ولحسابات تحمل طابع الرؤية العلمية للمعركة وتصاعدها ، لما يملكه العدو وما نملكه نحن ، لتخطيط مبنى على معارف دقيقة بكل نقاط الضعف لدينا ولدى العدو من طائرات وطيارين ومدفعيات وصواريخ مضادة للطائرات ، ومن هنا جاءت حرب اكتوبر ودور قواتنا الجوية خلالها ، صفحة مشرفة للتخطيط والتجهيز والتسابق فى التنفيذ.

لقد كنا نعمل.وايماننا بأن النصر لايتحقق عفوا ...

ــ ان الزمن التقليدى على جميع المستويات لاى معركة جوية طويلة ، وبالقياس العالمى يتراوح بين ٧ و ١٠ دقائق ، وفى حرب رمضان قاد طيارونا معاركجوية استمرت ٥٠ دقيقة .

قلت :

فنيا .. كيف يتحقق ذلك ؟

ــ بتوفير الوقود لدى طائراتنا ، فبعض هذه المعارك وقع فى مناطق غير بعيدة عن مطاراتنا مما وفر كميات كبيرة من الوقود أطالت زمن القتال فى الجو ومنحت طيارينا حرية المناورة والسيطرة والتفوق على طائرات العدو ..

لقد قام طيارونا فى احدى المعارك باعتراض الطائرات الاسرائيلية وبلغ عددها ٧٠ طائرة اعترضوها فى معركة

مستقلة ، وكان عدد طائراتنا مماثلا ، واحدة من معارك الجسارة والاقتدار ، وقاتل الطيارون المصريون بمعنويات تكاد تعانق السماء ، وحقق كل منهم عملا بطوليا فريدا متميزا ، واستشهد البعض فدية للنصر وكان أداؤهم من أنبل واشرف الاداء .

طار الطيار المصرى على ارتفاع أقل من ثلاثة أمتار حتى ٤ أمتار ، وألقى صواريخه على دفاعات العدو ومناطق حشد مدرعاته ومطاراته بكل المفاجأة وابعادها.

حدد المعدل العالمى للطيران ، من ثلاث حتى أربع طلعات للطيار ، فقام طيارونا بست وسبع طلعات ، وبعضهم قام بتسع طلعات .

تدمير الدبابة الواحدة فى جداول التدمير العالمية يستلزم من هجمتين حتى ثلاث هجمات ، فجاء طيارونا ودمروا أرتال المدرعات الاسرائيلية فى سيناء بهجمة واحدة والصور لدينا دليلنا على ذلك .

فى معركة جوية قوامها ٨٠ طائرة لنا وللعدو ، أسقط طيار مصرى بطل خمس طائرات اسرائيلية ، دمر ثلاث طائرات بصواريخه ،ثم اقتحم بطائرته طائرتين للعدو ... وانفجرت الطائرات الثلاث فى الجو والبطل يهتف فى اللاسلكى « الله اكبر » ..

تشدقت اسرائيل بقدراتها فى اعداد الطائرة للاقلاع بعد تزويدها بالوقود والذخيرة واعادة الكشف على اجهزتها الالكترونية فى ٨ دقائق ، استطاع المهندسون والفنيون فى قواعدنا الجوية اختصارها عام ١٩٧٣ الى ٦ دقائق فقط .

كان المهندسون والفنيون يختصرون عمل أسبوع الى عشر ساعات .. وأحيانا اقل خلال فترة الحرب ، طوال ١٧ يوما حافلة .. ولم يتعطل مطار واحد من مطاراتنا

بعد قصفه بالقنابل الا ساعات قليلة فقط ليعود بعد ذلك الى حجم كفاءته العادية .

مهندس « برتبة عميد » قام بزيارة عمل لمطار من مطارات الدلتا ، وتصادف وقوع غارة جوية على المطار .. فأخذ المهندس يجمع بيديه القنابل الزمنية بعيدا عن الممرات . ! ؟

وهناك عشرات من قصص البطولة التى قام بها المهندسون والفنيون نشرتها الصحف والمجلات عقب الحرب ، وكلها تعكس اصالة المقاتل المصرى وارادته وتماسكه وقدراته التى تفوق كل تصور على البذل والعطاء .

لقد اخذ مساعد فى احد المطارات يدفع قنبلة سقطت امام باب دشمه طائرات بسيارته وهو يعلم تماما ان القنبلة قد تنفجر فى اللحظة القادمة .. وقد حدث ذلك فعلا بعد ان ابتعد البطل بالقنبلة الى أرض فضاء بعيدا عن الدشمه .

لقد استطاع المهندسون بالتعاون مع بعض مؤسسات القطاع العام انتاج « خلطات اسمنتية » لسد الحفر التى تحدثها القنابل فى ممرات الطائرات ، وكانت خلطة اسمنتية رائعة تعيد الممر الى حالته الاولى فى ساعات معدودة .

وقبل ذلك قام القطاع العام بدور كبير وخطير حين بدأنا بناء الدشم وانشاء المطارات الجديدة عديدة الممرات الى جانب قواعد الصواريخ التى اشار اليها القائد الاعلى اكثر من مرة .

نطح الصخر

عدت اسأل بطل القاذفات القديم ، وبطل حرب اكتوبر

عام ١٩٧٣ ، قائد قواتنا الجوية :

ـ بذلك نستطيع ان نقول ان اسرائيـل عجزت عن تقديم مفاجأة واحدة طوال حرب رمضان ضد قواتنـا الجوية على جميع المقاييس العسكرية ..

ـ هذا بالتأكيد ولـكنها بعيدا عن المقاييس العسكرية لجأت الى أعمال الخسة والغدر ، حين استعملت قنابل « الجوافة » أو قنابل البلى الممنوعة دوليا ، وهى قنابل ضد الافراد ولا يلجأ اليها الا من هو على غرار اسرائيل وتاريخها الاجرامى وليس العسكرى .

لقد فاجأنا العدو عام ١٩٦٧ بنوع معين من القنابل لم يكن مستخدما من قبل ، وهى قنابل الممرات ، شحنة متفجرة ذات حربة فى مقدمتها تطلق أثناء الطيران الغاطس أو من الطائرات حين تطير على ارتفاعات منخفضة جدا، فتحقق هذه القنابل واسمها « كابم » اختراقا فى الممرات وفجوات كبيرة بها ، وبذلك تعطلت اكثر مطاراتنا .

ـ عام ١٩٧٣ ، عجز العدو عن استخدام هذه الاساليب لان عنصر المفاجأة تحول ضده وكانت المبادأة فى أيدينـا باستمرار ، ونطحت طائراته رأسـها فى الصـخر وهى تهاجمنا ، اذ اصطدمت بجدار البالونات فوق كل موقع أو هدف حيوى وبيقظة المقاتلات المصرية تعترضـهـا وتسقطها وبحائط الصواريخ المضاد للطائرات ، فلجأت الطائرات الاسرائيلية مضطرة الى الطيران على ارتفاعات عالية جدا ، وكثيرا ما أسقطت حمولاتها فوق الصحراء.

قلت للفريق حسنى مبارك :

ـ قبل المعركة .. تحدث العدو عن النسور والعصافير ما تفاصيل هذه الاحاديث ؟ ..

ضحك القائد وقال :

ـ قبل المعركة ، قال العدو ان الطيران المصرى اذا

فـكر فى الهجوم أو الدخول مع الطـيران الاسرائيلى فى معركة جديدة ، فستكون أشبه بمعركة بين نسر وعصفور وبالطبع يقصدوننا بالعصفور ! !

انه أحد ألوان النشاط الدائم والحرب النفسية التى مارسوها ضدنا قبل معركة رمضان المجيدة .

ان الـكلمة مهما بلغت من قدرة التعبير لا تستطيع ان تصور مدى الشحن المعنوى لدى الطيارين قبل اكتوبر وطوال فترة الحرب المجيدة .

لقد قام أحد الالوية الجوية بـ ٢٥٠٠ طلعة خلال أسبوع ضد قوات العدو ومطاراته .

لواء آخر قام ب ٣٤٠٠ طلعة خلال ثلاثة أسابيع ، بل ان هناك « لواء » قام بخمسة الاف طلعة خلال ١٧ يوما هى فترة الحرب .

وكانت الطائرات تقلع من دشمها قبل مرور « ١٥٠ » ثانية وكثيراً ما أقلعت فى « ١٣٠ » ثانية ، يتخللها تلقى الانذار ، ثم تقويم الطائرة بالمقوم الكهربائى ، وفتح باب الدشمه ، وسيرها على الممر الأول ، ثم الممر الرئيسى ، الى أن تحلق فى السماء .

قبل هذا يظل الطيار مربوطا فوق مقعده بالطائرة داخل الدشمه حتى يتلقى الانذار ..

ــ ذكرتم فى حديثكم جدار البالونات ، وقيل أن قواتنا الجوية استخدمت فى حرب عام ١٩٧٣ وسائل المراقبة بالنظر .. أليست هـذه من أساليب الحـرب العـالمية الثانية ؟ ..

قال القائد الذى بلغت سـاعات طيرانه ما يقرب من ستة الاف ساعة :

ــ نعم ، وهى أساليب لها فعاليتها حتى الان ، ان جدار البالونات من انجح وسـائل الدفاع الجوى عن

المطارات ضد الطيران المنخفض ، ويمكن استخدامها فى الدفاع عن المنشئات الحيوية الهامة فى انحاء الوطن .

أما بالنسب للمراقبة بالنظر فقد كانت خير معاون للمقاتلات والدفاع الجوى ، بل انها تجاوزت فى بعض الاحيان امكانيات الرادار ، وبيانات جماعات المراقبين بالنظر ظلت تصل الى قادة الوحدات الجوية مباشرة ، وطوال أيام المعركة والحرب المجيدة ، قام هؤلاء العمالقة بواجبات ضخمة وفشلت جميع غارات العدو على مطاراتنا حين اعترضتها مقاتلاتنا فى اللحظة المناسبة ، نتيجة بلاغات المراقبين بالنظر الذين نالوا اقساطا هائلة من التدريب على تلك المهام .

لقد أسقطنا طائرات كثيرة للعدو قبل أن تتمكن من اسقاط حمولتها من القنابل ، وكم كان مضحكا حين يرى الطيار الاسرائيلى ــ الميج امامه ، فيلقى حمولته كيفما اتفق ليستطيع الفرار وقد خف وزنه .

الفانتوم والميج

معنى هذا ان الفانتوم تأكد عجزها امام مطاردة الميج ؟

ــ لقد جعلوا من الفانتوم اسطورة من ناحية التجهيزات التكنولوجية ، ولكنها عجزت امام الميج ٢٢ و ١٧ ، وقد اسقطها طيارو تلك المقاتلات ، ومن آبنائنا الابطال الذين تفوقوا على تفوق التكنولوجيا الامريكية ومعنى ذلك هو التأكيد على قول الله عز وجل :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ، باذن الله ، والله مع الصابرين » .

انه الطيار فى النهاية الذى يحسم الامر ، وليست الطائرة على الاطلاق .

وكما قيل فى الامس البعيد ، ليس المدفع ؛ بل الرجل الواقف خلفه ..

وبهذه المناسبة يحضرنى قول رائع للمشير المرحوم احمد اسماعيل على :

« السلاح بالرجل ، وليس الرجل بالسلاح » .

عدت اسال الطيار الاول فى وطننا العربى :

ــ هل يستطيع الطيـــــار المصرى ان يقود الميراج الفرنسيه بنفس الكفاءه التى يقود بها الميج الروسيه ؟

ــ لقد قادها بالفعل بنفس كفاءه الميج ٢١ .

سؤال آخر :

ــ ما مدى الاسهام الذى قامت به قواتنا الجوية مع الشقيقة سوريا ؟

ــ منذ البداية وطيارونا يؤدون واجباتهم هناك تحت قيادة القيادة السوريه ، وقد اشتركوا مع الاشـــقاء السوريين فى ضربه السيطرة يوم ٦ اكتوبر حـين قامت بها سوريا بجانبنا ، بل وقاتلوا العدو الاسرائيلى فى حرب « ال ٨٠ يوما » بعد ذلك ، ولنا شـهداء أعزاء قدموا الروح وهم يبذلون أقصى الطاقة والجهد ، حتى توقعت اتفاقية فك الاشتباك بين القوات السورية والاسرائيلية

ــ تردد أن عدد طائرات ضربة السيطرة يوم ٦ اكتوبر كان أكثر من مائتى طائرة ، وانه كان مخططا «لضربتين» وليست ضربة واحدة .. فما حقيقة هذا كله ؟

ــ بالفعل كان عدد طائرات ضربة السيطرة اكثر من مائتى طائرة ،وقد حققت الضربة الاولى أهـدافا كنا نأمل تحقيقها فى الضربة الثانية ومن هنا اكتفينا بضربة واحدة مركزة خير من مائة ضربة ضعيفة .

لقد دربنا الطيارين طويلا وبثمن غال جدا وبالذخيرة الحية فى ميادين تكتيكية ، ولذلك كان قصـفهم محكما

جسورا مرتفع الـكفاءة ، وحصلنــا على نتائج مذهــلة لم تحققها فى أعنف مستويات التــدريب وتلك اضــافة هامة أضافها الرجال الى فنون القتال .

وحين أصدرت الاوامر ببـــدء المعركة كان تنفيـــذها بأسرع ما يتخيله العقل والمنطق .. اننى اذكر انالسيطرة على الطيارين فى الدقيقة الواحدة بعد الساعة ٢ ظهرا كانت شاقة للغاية ، بل كانت شاقة قبل ساعة الصفر بوقت ليس بقليل أمام الشحن المعنوى والعقائدى بالحرب وشرعيتها .

قبل المعركة بأسابيع والطيارون يعرفون انها أتيــة حتما وبأسرع ما يتخيلون ، فبقى اكثرهم بالقواعد دون ان يسمح لنفســه بزيارة أسرته أو منزله وبعضهم كتب على ـصدورهم « لا اله الا الله » وبعضهم كتبها فوق غطــاء الراس ، وســجلوا أحكام القصــف مع تفــادى الــكشف الرادارى وأجهزة الانذار المبكر التى وضــعها العدو بكثافة فى الضفة الشرقية ، وبلغوا عمق سينــاء فدمروا قاعدة ومحطة « أم مرجم » رأس العدو، ومطار « المليز » أكبر المطارات التى استخدمها فى سيناء فظل متعطلا عن العمل اربعة أيام ، ومحطة « أم خشيب » التى تقوم بالشوشرة الالــكترونية .

مع القوات البحرية

سألت الفريق الطيار حسنى مبارك :

ـ هل لجأنا الى الطيران الليلى ؟

ـ نعم ، حين كنا نعمل مع قواتنا البحرية ليــلا فى ضرب لنشات العدو الصاروخية ، وقبــل ظهور أول ضوء دمرنا لواء مدرعا اسرائيليا كان فى طريقه الىالجيش الثانى الميدانى ، وقد ذكر اللواء فؤاد عزيز غالى قائد

الجيش هذه الحقيقة أمام السـيد الرئيس ، ودمرت طائراتنا أيضا ١١ عربة تحمل صواريخ س.س ، المضادة للدبابات ، وهى صواريخ فرنسية محموله على عربات ، كما قصفت قاذفاتنا ابار بترول أبو رديس ، وأهدافا استراتيجية جنوب وشمال سيناء .

وفى الثغرة ؟

ـ دمرنا ما يقرب من ٤٠٠ دبابة اسرائيلية وكان طيارونا يقومون بست هجمات فى الطلعة الواحدة ، والمعدل هجمتين أو ثلاث هجمات فى اقصى الظروف الى جانب معاونة الجيش الثالث البطل ، بطائرات الهليكوبتر

وفى الثغرة قام أبناؤنا بآلاف الطلعات عبر فترة لا تزيد على ٩٦ ساعة ، تكبد العدو خلالها خسائر جسيمة لم تكن فى حساباته على الاطلاق ..

وهذه الخسائر تحملها الافلام التى التقطتها طائراتنا أثناء القصف ، فى سجلات الحرب .

أحب أن أسر اليك بأن الروح المصرية العالية جعلت العقاب الذى يوقع على الطيار أثناء الحرب لمخالفة ادارية ارتكبها ، هو حرمانه من طلعة أو أكثر ..

قلت لقائد قواتنا الجوية معلقا :

ـ ان دروس حرب اكتوبر لا حصر لها .. فهل يمكن التركيز على بعضها .

واستطرد البطل :

ـ لقد غيرت كثيرا من المفاهيم العسكرية ووضعت علماء الاستراتيجية والتكتيك امام حقائق جديدة ، وكما قال القائد الاعلى « سيتوقف التاريخ طويلا بالفحص والدرس امام حرب السادس من اكتوبر » ..

ان حرب اكتوبر ليست البطولات التى تحققت ، وليست المعارك الضارية التى دارت فوق سيناء أو غرب

القناة فحسب ، بل هى برامج الاعـداد بكل احجامه ، والتخطيط بكل أبعاده والتدريب والتنسيق بين مختلف الاسلحة ثم التجهيز ، والتنفيذ فى النهـــاية ، لنعزف جميعا جوا وبرا وبحـــرا ، سيمفونيه مصريه لا نشاذ فيها .

ـ يعودنا حديثكم الى سؤال رددته مجـــلات الغرب العسكريه ، هل سيعتمد المستقبل فى الدفاع الجوى على المقاتلات دون النيران الارضيه ؟ . .

ـ رايى انه لا غنى عن العنصرين مستقبلا المقـــاتلات والصواريخ الارضيه ، كما يقول التحديد العلمى للدفاع الجوى، اذ يتشكل عنصريها من المقاتلات والصواريخ معا ، غير ان الطيار يخشى فى الدرجة الاولى الطيار الخصم ، لانه يستطيع الافلات من شبكات الرادار وضرب حوائط الصواريخ ، ولكنه قلما يفلت من طائرة معادية يقـودها طيار مقتدر ، لان الطائره تناور وتطارد ، وفرصة الافلات ضعيفة لدى الطيار الاقل ثقة وثباتا وخبرة .

وفى عصرنا الحديث انتقل العالم من المقاتلات ذات السرعات دون الصوتية الى المقاتلات سوبر سونيك ثم الى سرعات ١ و ٣ ماخ ، حتى أربعـة ماخ على مستوى المستقبل ، وقد بلغت سرعة احـدث الطائرات الان ٣ر٣ ماخ ، ثم ٨ر٣ ماخ ، ولابد من ملاحقة هذه الطائرات ذات السرعات العالية بوســـــائل توجيه جديدة ، وصواريخ مضادة تلاحق التطور الالكترونى والتكنولوجى فى هــذه الطائرات .

وحتى يتم ذلك ، سيبقى الدفاع الجوى قائما على الصواريخ والمقاتلات معا .

صناعة الطائرات

سؤال أخير :

ـ هل سيشهد جيلنـــا صناعة الطائرات المصرية والصواريخ المصرية خاصة واننا نملك تجربة سابقة حين انتجنا منذ سنوات الطائرة المقاتلة الصغيرة القاهرة ٣٠٠ بالاشتراك مع الهند ؟ ..

ـ لقد وضع القــائد الاعلى فى مخططاته وهــو صاحب المخططات الواعية المدعومة بحسابات ورؤى يقظة واقعية .. وضع بين برامجنا احياء صناعة الطائرات والصواريخ ولدينا الخبرات البشرية الفنيـــة التى تقف مع خبراء الخارج على مستوى واحــد ، قادرة على تنفيذ هـــذه المخططات ، وهناك دفعات للامام بوزارة الانتاج الحربى لست فى حل من التحدث عنها ، ولكنى أستطيع أن أقول بامكاننا مفاجاة العالم ذات يوم بصناعات مصرية حديثة للطائرات والصواريخ .. خاصة مع نمو حركة الانفتاح التى نعيشها بعد أكتوبر ٧٣ ..

ولأننى لا أستطيع الاستفاضة حديثا فى هذا المجـال فسأذكر لك جملة قالها الرئيس السادات ، ونحن نحتفل بيوليو شهر الثورة هذا العام « يقصد » عام ١٩٧٤ ..

ـ « ان عظمة الشعوب وأصالتها لا تتكشف وهى تمضى تحت أقواس النصر ، ولكن عظمتها الحقة ومعدنهـــــا الاصيل انما يتجلى وهى تتفوق على اقسى المحن وأشـــد الازمات ، ثابتة راسخة صامدة قادرة ، تنتزع الامل من ظلام اليأس » .

وتركت القائد البطل الشاب ، الى مجموعة صور ، جاء بها رفاق السلاح بعد أن التقطتها طائرات الاستطلاع، يضعونها مع تفسيراتهم وقراءاتهم الفنية أمامه .. وكان لحظتها يقول :

ـ « ان جيلنــا سيشهد بالضرورة قفزات جريئة ، كانت بالامس القريب ضربا من الاحلام .. »

الطيار محمد حسنى مبارك

تاريخه العسكرى

تخرج فى الكلية الحـــربية أول فبراير عام ١٩٤٩ ، بعدها التحق مباشرة بالـــكلية الجـوية ، وحصل على بكالوريوس الطيران فى مارس عام ١٩٥٠ .

منذ ذلك التاريخ وهو يخدم فى تشكيلات قتالية ، فطار على الطائرة الانجليزية « سبيت فاير » وهو برتبة ملازم .

عمل مدرسا بالكلية الجـوية منـذ عام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٩ .

قادة القاذفات الخفيفة اليوشن ٢٨ ، بعد ذلك ثم سافر فى بعثة دراسية الى الاتحاد السوفييتى .

فى منتصف عام ١٩٦١ ، قاد القـــــاذفات الثقيلة « تى ــ يو ١٦ » .

وفى عام ١٩٦٨ تولى قيادة الكلية الجوية ، حتى أختير رئيسا للأركان فى ابريل ١٩٦٩ ، وكانت ساعات طيرانه قد بلغت مايقرب من ستة آلاف ساعة .

فى ابريل عام ١٩٧٢ ، أسند اليه القائد الاعلى للقوات المسلحة قيادة قواتنا الجوية .

تزوج عام ١٩٥٨ ، وأنجب علاء وجمـــال فى المرحلة الاعدادية .

من مواليد مايو ١٩٢٨ ــ قرية كفر مصـيلحه ــ مركز شبين الكوم .

خفة الحركة الجوية

سيناء ـ اليوم الخامس للحرب ...

امتلك الطيارون المصريون والسوريون، عنصر السيطرة الجوية طوال صراعهم بالمقاتلات ضد طائرات ومدرعات العدو ومدفعيته الميدانية ـ وأداروا معـــاركهم جوا « بخفة الحركة المقتدرة » التى أثبتت المعركة الحـديثة ان القوات الجوية كالقوات البرية لابد من خفة الحركة ، لكى تظل مالكة للحرية الجوية فوق سماء سيناء .

لم يكن ماحدث فى سماء سيناء أو سوريا ، أملا قائما على الحظ الاعمى .. لقـــد خرر طيـارو المقـــاتلات الاعتراضية المصرية والسورية بقتالهم، ببسالتهم ، صفحة جديدة مشرفة فى تاريخ العسكرية العربية ، صفحة أو نتائج عملية ، هى التطبيق الواعى لحسابات قتالية أكثر دقة ، ولتدريب أحسم فعالية واعدادا كاملا للمهمة .

لقد قاموا بطلعاتهم الاعتراضية وقتالهم فى الجو عبر أقصى ظروف التشويش اللاســلكى ، وكان التشويش بالنسـبة لهم لا يشكل مفـــاجأة .. لانه أمامهم على شاشات الرادار ، وقد أتقنوا الوسائل التكنيكية لتنفيذ مهمة اعتراضهم لطائرات العدو على الوجه الاكمل .

ان معارك الطيران القليلة التى قامت بها القوات الجوية السورية الشقيقة أو قواتنا الجوية خـلال ســـنوات التدريب الماضية ، انما هو اختيـــار عمل لقـوة الارادة

والصلابة ، والذخيرة التى يملكها الطيـــار العربى من مهارة قتالية يحسب لها العدو أكثر من حساب ، لانها المعنويات العالية المدعومة بالايمان ـ تمنحه فى النهـاية طريقنا الاوحد للنصر فى معارك الطـــيران ، والقوات الاسرائيلية الجوية تملك التفوق العـــددى أمام قواتنا العربية ، كما امتلكت من قبل زمام المبادرة ، ولكنها لم تستطع قط أمام اقتدار طيارينا أن تحقق أهدافها رغم كبر حجم تشكيلات طائراتها القاذفة والمقاتلة التى تقذف بها فى كل معركة كى تخضعنا لارادتها .

ومنذ بدء معارك أكتوبر ١٩٧٣ أنزلت المقاتلات المصرية والسورية بالطائرات الاسرائيلية ضربات صاروخية محكمة فتحت أمامها الطريق لمطاردة العـدو ، وحققت لنـــا ولاشقائنا السوريين تنفيـــذا ناجحا للمهام الاعتراضية والهجومية الجوية ..

لا حسابات عشوائية

ان المعارك الجوية أو البرية ذات الرصيد المتميز لم تكتسب خصائصها لانها أديرت بمعدات أو طائرات حديثة فحسب ، بل لان مقاتليها يملكون أكبر قسط من الجسارة والعلم ، والتخطيط للنصر لا بحسابات عشوائية ، بل بتخطيط مبنى على المعرفة الدقيقة بالموقف بكل أمكانياته وجميع ثغراته ، فتحمل العمليـــات طابع الرؤيا العلمية لتكتيكات العدو ولسيكولوجيته القتالية هجوما ودفاعا ، ومن هنا جاءت قرارات القتال السورية خلال المعـــارك الاخيرة أو قرارات الهجـــوم والاعتراض المصرية وفق حسابات متبصرة للقوى والوسائل فى حوزة طيارينا وفى حوزة العدو ، ومراعاة يقظة للموقف النـــاجم عن فتح النيران .

ان النفاذ الى مصير القتال وتطور أشكاله أو التنبؤ بالاحتمالات الحقيقية هو بالمعنى التطبيقى يساوى الكفاءة والقدرة على الرؤية الصحيحة لتطور المعركة ، والوقوف سلفا على نشاط العدو ، وما قد يقوم به .

ان التنبؤ العلمى لدى القـــادة المدعوم بمعلومات الاستطلاع وأجهزة المخابرات الحربية يرسم شكل المعركة، ويصنع أهم عوامل النصر ، وكلما كانت عناصر التنبؤ آخذة فى الاعتبار لقوانين القتـــال العصرية ، مستنبطة استنتاجات واحتمالات مسبقة للاوضـــاع ، كقرارات العدو التقليدية والمتوقعة وأساليب خداعه حسم مقاتلونا نضالهم المسلح لصالحنا ، وتطور قتـــالهم بكل الثقة والاطمئنان ، وفتح أمامنا آفاقا جديدة لملاقاة العدو .

التفوق على الكم ..

ان الطيارين من أصحاب الكفاءات التكتيكية العـالية يستطيعون بعدد قليل منهم التفوق قتاليا فى معـــاركنا الجوية فوق سماء سيناء والقناة كما حدث فوق سوريا عبر المناطق المحتلة وأبطـال قواتنا والشقيقة السورية يقاتلون أرقى وأشجع معاركهم الانتحارية ضد الفانتوم والميراج وسكاى هوك ..

ان معارك الجو العصرية تتخذ عادة أشكالا متنوعة ــ والتكتيك العالى هو سبيل المناورة التى تنشر جو الارتباك بين طيارى العـــدو .. ثوان لا دقائق ــ تحرز قواتنا العربية خلالها ضمانات النصر الحاسم .. ينطبق هـــذا الموقف على المعارك الجوية الجماعية ــ أو معارك التشكيل الصغير ، انها كما يقول قادة الجو القدامى ، العـــلم الحديث للحركة الجوية ..

ان معركة اليوم غير معركة الامس القريب وفى كل

معركة قادمة ستحتاج فنون القتال لمتطلبات فنية عالية ـ وصلابة نفسية قـوية ـ هى والحمـد لله ثروة نامية باستمرار فى أرواح مقاتلينا فى الجو أو فوق الارض أو فوق صفحات البحر .. غير أن امتلاك العدو لطائرات مزودة بالتعـديلات المستحدثة والامكانيات الالكترونية الجـديدة ـ تجعلنـا ندخل التعديلات الايجـابية على أسلوبنا التكتيكي ـ لقد أصبحت المنـاورة لدى الطائرات فى المستوى الافقى أكثر امتـدادا ـ ولكن فى مقابل ذلك تزودت الطائرات بأجهزة التصويب الرادارية وارتفعت قوة دفع المحـركات بالنسبة الى وزن الطائرة ، وتطورت الى فعاليات هامة امكانيات ومهام نقط التوجيـه الجوى للطائرات وهى تقـاتل معـركتها على السماء ..

ان نجاح رجال التوجيه الجوى وهم فوق الارض يجعل مثلا طائراتهم الاعتراضية مالكة للمسافات التى تسمح لها باطلاق نيرانها ـ واصابة طائرات العدو ، والسيطرة على سماء المعركة .

ان المعركة الحديثة فى الجو أسندت الى هؤلاء الرجال خلف أجهزتهم فوق الارض ادارة المعركة جنبا الى جنب المقاتلين وهم فى اعلى طبقات الجو .. لانهم يضعون أمام الطيارين المقاتلين خط اعتراض الطائرات العـدوة ، ويضعونهم فى اللحظـة الحاسمة التى يطلقون عليهـا قذائفهم الصـاروخية .. وتسقط أسـطورة الفـانتوم أو الميراج أو السكاى هوك كما أسقطتها من قبل فعـالية الضربات السورية أو المصرية قبل وقف اطلاق النار ، وعبر جولات جوية بعد أغسطس ١٩٧٠ ـ وكانت محور أحاديث الجماهير العربية ، لانها عكست صراعا رهيبا من من أجل حرمان العدو تلك الحرية التى امتلكها لفترة ما

فوق سماء الوطن العربى . حتى قامت معركة ١٩٧٣ الخالدة .

ان المعركة الجوية الحديثة تمثل صراعا متشابكا متعدد الاطراف ، والطيار بيقظته ، بخبرته ، بقدراته ومعــارفه العسكرية وفنونه القتالية التى أجادها من قبل واعطته شحنات الثقة ـ الطيار هو العنصر البشرى الذى يعيش مواجهة الخطر أو النصر ، وعلى كل هذه العوامل ويمكن تلخيصها « بالكفاءة » وعلى مدى كفــاءته تتوقف نتيجة المعركة الجوية .

ان قدراته ونوعيته القتــالية وهو فى السماء لابد أن تساير سرعة المقاتلات النفاثة ومن هنا تتأتى خطــورة المهمة وخطورة نتائجها أو اهميتها فعندما تقترب طائرات العدو من المجال الجوى فى طريقها للهجوم علينا ـ وهو ليس هجوما مرتجلا وانما قد خططوا له من قبل ـ تكون كل أجهزة الانذار لدينا قد اكتشفتها .

واجب من أدق الواجبات يقظة ودقة وسرعة ـ وعلى القيادة الجوية أن تضع القرار الفورى للرد على هجــوم طائرات العدو يساندنا تجدد المعلومات أمامنا باستمرار ودون توقف .. ان قرار القيادة لابد أن يكون أحــد قرارين ـ مواجهة طائرات العدو بالصواريخ أرض ـ جو ـ وبالمدفعية المضادة للطائرات ـ أو يكون قرارها ـ اعتراض طائرات العدو بالطائرات المقاتلة ـ وربما بجمع القرار وهذا حدث كثيرا أن تكون مواجهة العدو بالطائرات والمدفعية م . ط . هذه هى رؤية القيادة وأسلوبهــا القتالى صراعا بين قيادتين جويتين وليس صراعا بالدرجة الاولى بين طائرات أو طيــارين ـ حتى يتحقق تعزيز الموقف ويصبح الجزء الاخير ، الجزء الفاصل فى المعركة معتمدا على كفاءة الطيار المقاتل وقدراته وتعاون الاجهزة

الارضية الموجهة من الارض له .. ان أى خطأ عفوى فى تقدير الموقف وتطوره من دقيقة لاخرى أو أى خطأ فى التوجيه الارضى يضع التشكيل الجوى أو التشكيلات الجوية التى تقوم بالاعتراض فى أحرج المواقف بل فى أخطر المواقف أمام الطائرات العدوة ، ذلك لانها قد تصاب بالاضطراب فى تنفيذ المهمة أو تطبيق الهجوم أو التصاعد به ــ وكل هذه القرارات تستغرق ثوانى لا دقائق بكل الثبات العقلى والذهن المتيقظ ــ والاعصاب الفولاذية ــ والايمان بالله .

وبعد ــ ان كل ما وقع من معارك جوية أو برية أو بحرية خلال السنوات « ٦٧ ــ ٧٤ » ورغم ضراوتها واستبسال مقاتلينا الاشقاء فى سوريا أو فى قواتنا الجوية فى قتالهم خلال معارك ٧٣ ليس الا مقدمات فقط ــ وقد تعكس تصاعدا بالطيران فى معارك قادمة ــ ولابد أن نتوقع محاولات متكررة من العدو لاجهاض قواتنا ولحرمانها من التقدم والاختراق فى معركة التحرير .ولكن ايماننا وعملنا هو وحده الذى جعل رجالنا يديرون صراع السيطرة وقد امتلكوا عامل المفاجأة والمبادرة والقدرة على حرمان العدو من امتلاك الحرية الجوية التى أسكرته فترة من الوقت تخيل بعدها انه لن يفقدها على الاطلاق .

ان الصدمات الجوية التى تلقاها ــ تعكس هى الاخرى موقفا لديه ــ لان طيارينا تلقوا جرعات عالية من التدريب والمعارك الحقيقية ، وحققوا معدلات قتالية فى الجو تشير الى صدام المعارك القادمة واحتمالاتها وأشكال قتالها ..

السيطرة الجوية

المعارك الحربية الكبرى فوق الارض تبدأ دائما من الجو ..

وفى معركتنا المجيدة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ – وما بعده من ايام حافلة بأشرف القتال ، اطلقت قواتنا الجوية « الشرارة » الاولى فى الخطة « بدر » .

لقد أعطى الطيارون المصريون ، بل وكل الاجهزة الارضية المعاونة لهم بقواعدنا الجوية ، قبل المعركة وطوال ايامها الخالدة ، أرقى اشكال التفوق والابداع والسيطرة من خلال العمل الجماعى الملحمى فوق سيناء ، وغرب القناة ، وكان اداؤهم من انبل وأعظم الاداء ، كما كانت اضافاتهم المتميزة الى فنون القتال هجوما أو اعتراضا من الجو ، اقرب الى الاعمال الخارقة التى تفوق امكانيات مقاتل العصر الحديث ، وقد تزودوا بكل التكنولوجيا والالكترونات ..

لقد اسقط طيار مصرى يقود طائرة هليكوبتر تحمل صواريخ – جو – جو – فانتوم اسرائيلية .

وقبل ان يحتوينى الانفعال – اعود الى ٦ اكتوبر المجيد ومدفعيتنا الثقيلة من غرب القناة تعزف سيمفونيتها فتدمر مرابض اسلحة العدو فى الشرق ، وتسكت مدفعيته ، وفى نفس اللحظات كانت القاذفات المصرية ، والمقاتلات القاذفة ، والمقاتلات الاعتراضية

بكل المفاجأة فوق سيناء تقصف بقنابلها وصواريخهـــا مطارات العدو وطائراته فوق مطـــار العريش ، تمادا الميز ، وتحرق مراكز سيطرته الالـكترونيه وأجهـــزة رداراته وخطوط مواصلاته وتشعل النيران فى محـــازن وقوده وتموينه ، وتجمعات قواته التعبوية والاستراتيجية فى عمق سيناء ..

فى نفس الوقت كانت المقاتلات المصرية الاعتراضية من طائرات الميج ٢١ و ١٧ تعترض فى الجو طائرات العـدو التى حاولت الوصول الى قواتنا البرية وهى تفتـــح خطوتها الامامية الاولى فوق مياه الفناة ، لتندفع قوات المشاة ثم القوات الميكانيكية عبر الجســـور التى أقامها مهندسونا ، الى تحرير سيناء من الاسر ..

فى نفس الوقت أيضا كانت القوات الخاصة تؤدى اعظم المهام الانتحارية خلف قوات العـــدو فى جنوب وشمال شرق سيناء ، وعلى الساحل الشمالى لها ..

صفحات من الشرف ، من نور ، مضيئـــة على مر الاجيال ، حررها عمالقة قواتنا المسلحة من الجو والبر والبحر وحفروها فى مقدمة التاريخ الوطنى لنضـــال شعبنا الذى انجب هؤلاء الابطال نسور الجو ، محطمى خرافة نوعية الطيار الاسرائيلى وتفوقه ..

ان بسالة الطيـــار المصرى وكفاءته الجســورة ، ثم اقتداره الهجومى واستطاعته القتالية البارزة فوق عمق سيناء أو القناة غرب ، وسيطرته على أرض المعركة طول الصراع المسلح ضد طائرات اسرائيل وهى تملك التفوق العددى أمام قواتنا وضد بطاريات صواريخه ، ومدفعيته المضادة للطيران ، ان هـــذه الذخائر البشرية المدعومة بالايمان ، والتى يملـكها الطيـــار المصرى لم تكن عملا أو أملا قائما على المصادفة أو المفاجأة أو الحظ على الاطلاق!

لقد كان امتلاك الطائرات المصرية للحرية والسيادة الجوية ، تطبيقا عمليا لبرامج التدريب الطويل فى سماء بلادنا وفى خارج الوطن ، لواجبات ضخمة عديدة مسبقة قبل ٦ أكتوبر ، لحسابات تحمل طابع الرؤية العلمية للمعركة وتصاعدها ، لتخطيط مبنى على معرفة دقيقة بكل امكانياتنا وثغراتنا ، وما يملكه العدو ، وما يلجأ اليه من خلال سيكولوجيته وعقيدته القتالية ..

الميج ١٧ ..

بين مفاجآت الحرب التى تلقاها العدو بجرعات كبيرة هى ظهور طائرات الميج ١٧ فوق مطاراته فى العمق واشتراكها مع القاذفات فى تدمير طائراته فوق الارض وهى ما يطلق عليه « ضربة السيطرة » ثم استدارتها لتفجر فى اشتباكها الجوى طائرات الفانتوم « ف ٤ » وسكاى هوك وميراج .

ان ضربة السيطرة كانت مؤثرة بحجم كبير ــ لقد استمرت داخل العمق من ٢٥ الى ٣٠ دقيقة ــ وبعد ذلك اخذ الطيارون يقومون بطلعاتهم من خمس الى سبع طلعات وكانت الطائرات تعد للاقلاع بواسطة المهندسين والميكانيكيين والملاحين والفنيين من رجال التسليح والوقود فى مسافة زمنية تتراوح بين ٦ و ٧ دقائق ــ وهذا ما يعتبر اعجازا فى مستوى الخدمة الارضية للطائرات المقاتلة القاذفة كالميج ١٧ و ٢١ ..

كان مقاتلو الميج ١٧ من فرط الحماس يحملون القنابل بأيديهم مع الميكانيكيين ليلحقوها بطائراتهم دون انتظار لوصول الاوناش التى تقوم عادة بهذه المهمة ، ومهندسو ازالة القنابل يطهرون ممراتنا من القنابل الزمنية ، وآخرون يعدونها للعمل فى ساعات قليلة ــ

وكان الله رغم كثافة طيران العدو فوق مطاراتنا ..
كان معنا دائما يقلل حجم الخسائر ويحمى الرجال ..

بعض طيارى الميج ١٧ ـ المقاتلة القاذفة التقى بأربع طائرات فانتوم ويشتبك معها ويسقط اثنين منها .

طيار آخر قاد ٤ فانتوم وسكاى هوك الى مدى بطاريات صواريخنا لتصطادها بأكملها ولم يكن هذا الطيار قادر على سحب هذه الطائرات لولا براعته فى المناورة وخفة الحركة .

طيار مقاتل أسقط سكاى هوك وميراج ودرجة حرارته ٤٠ ، وقد أخفى ذلك عن قائد السرب وطبيب القاعدة تستر عليه من فرط الحماس والشحنة القوية التى ملأت أرواحهم وجعلتهم جميعا فى شوق جارف للقتال ..

ملازم ثان طيار « نقولا » أسقط وهو الطيار الحديث طائرة ميراج بطائرته ميج ١٧ ..

المقاتل طيار « شريف » كان أول مقاتل ميج ١٧ يسقط الفانتوم يوم ٦ اكتوبر خلال ضربة السيطرة ..

المقاتل طيار « فكرى » والمقاتل طيار « يحيى » أسقطا الفانتوم فى سوريا خلال الساعات الاولى من المعركة أيضا ..

المقاتل طيار « وليم » وهو فى طريقه الى قاعدته بعد ان دمر هدفه اكتشف رتل مدرعات اسرائيلية فدمرها عن آخرها ـ وكان يطلق رشاشه على أفراد العدو الفارين من دباباتهم ولقد فعل الآخرون مثله على الطريق الساحلى لسينا وفى شرم الشيخ ورأس نصرانى وشرق البحر الاحمر ..

وفى احدى المعارك التى دارت بالقطاع الاوسط كان ابطالنا مقاتلو الميج ١٧ يقصفون مدرعات العدو فى مساحة لا تزيد على ٥٠٠ متر ـ فجاء القصف من «٨» اتجاهات

.. وقال احد ضباط المدرعات الاسرائيلية من الاسرى بعد ذلك :

« لقد وصفنا هؤلاء الطيــارين بالجنون ... كان اندفاعهم في قصفنا يفوق كل تصور .. لقد اطلقوا علينا صواريخهم ورشاشاتهم وهم فوق الارض بمسافة لاتزيد ارتفاعها على ٢٠ مترا » .

وقال الأسير « ان خسائرنا في الافراد بعد هذه المعركة بلغ اكثر من ٢٠٠ قتيل » .

٤ طائرات ميج واجهت ١٢ ميراج ـ وأسقط طيارونا اثنتين وفرت الباقي ـ وقام رجالنــا بتكملة مهمتهم ـ قصفوا اكبر مستودع بترول للعدو واكبر مخزن ذخيرة شرق رمانة ـ وتكرر قصفهم للمدفعية المضادة للطائرات الموزعة حول أهــداف العـدو الحيــوية ـ وبطاريات صواريخه الثابتة فوق الارض ومســتودعات الوقود وحولها كتيبة دبابات لحمــايتها من القوات المصرية الخاصة ـ والقيادة الاسرائيلية للمنطقة الجنوبيةفتدمرت تماما وقائدها بداخلها كما احترقت عدة أتوبيسات كانت تحمل مجاميع قواته الاحتياطية القادمة من انحاء اسرائيل لتشترك في القتال ضد قواتنا .

منصورة يا مصر

قال القائدان حسن وسعد :

ـ أحد الابطال وكان وقوده على وشك الانتهاء ويعلم تماما بذلك الا أنه عندما شاهد ٣ دبابات للعــدو ، انقض عليها فقصفها وفرغ وقوده فرشق فيها وفجرها بذخيرته وهو يهتف باسم مصر .

بطل آخر سقطت به طائرته وهو يقصــف مواقع الصواريخ المعادية ـ وأبلغ قائد تشكيله باستشهاده ،

ثم فوجئنا به يحدثنا تليفونيا من المستشفى ، لقد كتب الله له النجاة ، واستطاع رغم كسر ذراعه وامتلاء جسده بالشظايا أن يصل الى قواتنا فى سيناء ويعود الى القاهرة ..

كان الرجال يهاجمون من نهاية الشرق الى الغرب لا من الضفة الغربية الى العمق ـ حتى يتمكن كل منهم من تدمير اكبر حجم من مدرعات وصواريخ قوات العدو الميكانيكية ـ بما فيها عربات القيادة التى تقبع عادة فى المؤخرة ـ وعربات التموين والذخيرة والوقود بل وقواته الاحتياطية الاستراتيجية ..

الطياران «نور وسمير» عادا بطائراتهما وقد انصهرت الطائرات وتحطمت أجنحتها .. عادا بكل الثقة ، وبعد دقائق كانا يقودان طائرات جديدة ويشتبكان مع العدو ويسقطان الميراج وسكاى هوك .

لقد تدرب الطيارون المصريون طويلا على أساليب اختراق الدفاعات الجوية التقليدية والصاروخية للعدو فى سيناء وعمقها ، فضلا عن معرفتهم الهائلة بكل موقع اسرائيلى فوق الصحراء يمكن أن يفتح عليهم نيرانه ـ كما تحصن كل طيار مصرى بذاكرة قوية حفظت كل صغيرة وكبيرة فى مدى انتشار القوات الاسرائيلية فوق صحرائنا التقطتها طائرات الاستطلاع المصرية عبر أقصى الفترات حشدا للعدو .. حفظوها عن ظهر قلب بنسبة الف فى المائة ..

المقاتل نبيل ورجاله

ان الطيارين المصريين الاثرياء بكفاءاتهم التكتيكية العالية ، وبمناوراتهم فى المعارك الجوية الجماعية أو فى معارك التشكيل الصغير ، وبامتلاكهم معارف العلم

الحديث للحركة الجوية .. كانت ارصـــدتهم طوال أيام القتال المجيدة تسجل نتائج ومعدلات نامية باستمرار ، جعلت خبراء الطيران وأجهزة المخابرات فى حلف الاطلنطى بل فى الاتحاد السوفيتي الصديق يعقـدون الاجتماعات المتعددة لدراسة ابداع الطيـارين المصريين فى استنباط اساليب قتال تكتيكية جديدة وقـد منحتهم السـيطرة والحرية والسيادة الجوية فوق سيناء وعمق قوات العدو

فى لقاء مع الطيارين « نبيل ورجاله » وبينهم اطقم الخدمة الارضية من المهنـدسين والفنيـين ـ والحوار حول طلعات العدو عام ١٩٦٧ ـ وطلعاتنا عام ١٩٧٣ ، والحديث فى استطراد للطيار البطل :

ـ المعدل العالمى للطلعات ٤ طلعات فى اليوم ، الطيار المصرى قام فى الشهر الماضي بست وتسع طلعات ..

العدو عام ١٩٦٧ كان يقوم بتجهيز تشـكيل من ٤ طائرات للهجـــوم فى ١٥ دقيقة ـ استطاع المهنـدسون والفنيون المصريون اختصارها عام ١٩٧٣ الى ٧ دقائق

طائرة اصيبت ، كان اصلاحها يستغرق ٦٠ يوما . قام المهندسون المصريون باصلاحها فى ٥٤ ساعة .

عام ١٩٦٧ ـ اقلع الطيارون المصريون من المطـــارات وقنابل طائرات العدو تتساقط فوقهم والممرات مضروبه وأسقط طيارونا فى أقل من عشر دقائق وفى قــاعدة واحدة ٨ طارئات اسرائيلية لقد عشت هذه المعركه ـ والحديث مستمر للطيار نبيل ـ وكان طيارونا ما زالوا فوق الارض حين بدأ قصف طـائرات العـدو ـ واقلع الرجال بكل الجراة والبسالة والمهارة ـ وتصدوا للطائرات المغيرة واسقطوا منها كما قلت ٨ طائرات .

عام ١٩٧٣ حين هاجمت قاذفاتنــا مطـاراتهم ـ لم يستطع او يجرؤ طيـــــار اسرائيلى واحد أن يقفز الى

طائراته ويتصدى لنا ! ..

يوم ١٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ ــ اسقط الطيار مقاتل « ضياء » ٣ طائرات للعدو فى طلعة واحدة ..

الطيار مقاتل « انس » كان ظهره ملفوفا فى حزام من البلاستير وأخفى المه وطار واسقط الفانتوم ..

الطيار مقاتل « بهاء » طارد وحده تشكيلا للعدو ، وعاد ليقوم بخمس طلعات بعد ذلك ــ وحين سمع نبأ وصول مولوده الاول الى الحياة ــ رفض اجازة منحها له القائد لكى يذهب ويرى طفله ، واستمر يؤدى واجبه ، ولم يكن قد رأى زوجته منذ اكثر من شهرين ــ كانت القاعدة هى أسرته وبيته وكل حياته الخاصة..

الطيار مقاتل « علاء » كان يقوم بنقل طائرته من قاعدة الى اخرى وفجاة واجه طائرتين للعدو ــ اسقط واحدة ــ وهربت الثانية .

لم يكن مكلفا بهذا الواجب ، قاتل من تلقاء نفسه شأنه شأن المقاتل المصرى فى أى زمان ومكان .

الطيار مقاتل « باسيلى » اسقط ميراج وأصاب أخرى فى اشتباك واحد .

وأبطال آخرون حققوا أعلى المعدلات فى تحطيم طائرات العدو ــ عويس ورجاله ــ وعبد الصمد ــ ممدوح ــ ولدى كل منهم صور الطائرات العدوة التى أسقطها أثناء اصابتها المباشرة ــ أغلى ما يمتلكون فى حياتهم ــ والدليل الحى على استطاعتهم ــ تلك الميزة البشرية التى تتوقف عليها نتائج المعارك الجوية ..

ليت كل الاسماء تحضرنى فأذكرها ، لقد انزلوا بالمقاتلات القاذفة الاسرائيلية ضربات صاروخية محكمة، وقاموا بطلعاتهم الاعتراضية بين اقصى ظروف التشويش الالكترونى عليهم ، وكانت معاركهم هى مواجهة الموت

بكل ما تعنيه الكلمة ، وفى احدى العمليات واجهت ٤ طائرات ميج اعتراضية ٨ طائرات للعدو ـ سكاى هوك وفانتوم ـ واسقط طيارونا فى نهاية الاشتباك ثلاث طائرات ولم تصب لنا طائرة واحدة .

صلابة وارادة ومعنويات تكاد تعانق السماء نابعة من نوعية بشرية قتالية فريدة ـ هى باختصار ملامح الطيار المصرى قاذفا أو مقاتلا اعتراضيا ـ تلك الملامح التى مهدت أمام وحداتنا الضاربة آفاقا جديدة ، ومنحت القوات البرية فعاليات حاسمة فى قتالها الهجومى فوق صحراء سيناء وجعلتها بالغطاء الجوى المقتدر طوال الهجوم والهجوم المضاد ـ مالكة لعنصر المبادأة ـ ودرجات استعدادها غنية سخية بأكبر جرعات التجربة عبر معارك اكتوبر على مستوى الجو والبر والبحر .

القاذفات ..

ان الحديث عن القاذفات يعيدنا الى بناء قواتنا الجوية بعد ١٩٦٧ ـ اعتمادا على أكثر الاساليب العلمية المتقدمة المتاحة ـ ولذلك كان علينا ان نملك سلاحين للجو (سلاحا استراتيجيا) يستطيع تدمير مناطق العدو فى العمق بما يؤثر تأثيرا محسوبا وفعالا على قدراته الاقتصادية وامكانياته الصناعية والبشرية ـ ومن هنا قال الرئيس السادات أكثر من مرة موجها حديثه لاسرائيل « العمق بالعمق » ثم « سلاحا تكتيكيا » يستطيع العمل ضد أهداف تكتيكية محددة وفق خطة عمليات مرحلية فوق مسرح العمليات فى سيناء ويضم القاذفات التكتيكية التى يمكن أن تقوم بتدمير مطارات العدو ، والمقاتلات القاذفة والمقاتلات الاعتراضية التى تحمى القاذفات اثناء تأديتها لمهامها التدميرية ثم تتولى التعرض لطائرات العدو اذا

ظهرت فى سماء المعركة ..

ولقد كان الاهتمام كبيرا بالعنصر البشرى الى جانب الطائرات ، ثم التزود بأجيال جديدة من الطيارين والأطقم الفنية التى تعمل بجانبهم من فوق الارض ـ وخلال السنوات القليلة الماضية كان الطيارون الجدد فى مصاف المتخصصين بما اكتسبوه من خبرات ومهارات أجروا صقلها باستمرار ، كما كانت دراساتهم وتدريباتهم وافية ونشاطهم متزايدا أبدا وقدراتهم متنامية وطاقاتهم الشابة كماء البحار لا تفرغ أبدا .

ولقد رأيتهم أسرة متلاحمة فى كل قاعدة ، يؤدون عملا يوميا دمويا بعاطفة عميقة نحو الطائرات واخلاص وحرارة ودفء انسانى يشيع الامل والقوة فى كل خطواتهم واشكال المنافسة بينهم تتميز بالنبل الثابت فى روح كل مقاتل أو قاذف .. المنافسة على العمل البطولى والمبادرات المتفانية للقيام به والاحساس بالواجب الى درجة تأديته بالاسلوب الانتحارى .. هذا هو ما يتحلى به طيارونا..

أحدهم كان عائدا الى قاعدته وقد فرغ وقوده حينما علم بتشكيل مضاد فى الجو .. لم يتردد لحظة .. استدار وعاد الى الهجوم وهو يعلم أنه ينهى حياته بهذا القرار ..

وضابط آخر كان متألما الى حد الشكوى لان قائده يعطيه واجب حماية القاعدة من الجو ولا يدعه يشترك فى قصف العدو داخل عمق سيناء .

ان الالكترونات والتكنولوجيا مهما بلغت من التقدم ليست قادرة على احراز النصر فى الحرب ، انه الانسان بقواه الذهنية والروحية ، ببواعثه ، بمفاهيمه ، بايمانه، فيصبح قادرا على استخدام منجزات المعدات الالكترونية

المتطورة أمثل استخدام .. وبدونه تصبح آلات عديمة الجدوى ..

ان طيارة مصرية واحدة لم تصب وهي فوق الممرات، وكل خسائرنا كانت فى معارك الشرف وقد اشعلها ابطالنا صفحات خالدة من نور ، أضاءت طريق التحرير أمام قواتنا البرية والبحرية .

قال لي أحد القادة :

ـ أصيبت مقاتلة قاذفة وهى تقصف مطارات العدو وطائراته فوق الارض ـ ثم تأكد لقائدها البطل عدم قدرته على العودة بطائرة سليمة ـ ورفض ان يهبط بالمقعد القافز ـ بل ابلغ باللاسلكى موقفه وقراره وفى ثوان كان يقود طائرته الى قلب ثلاث طائرات فانتوم رابضة على أرض المطار فأشعل فيها النيران واستشهد العملاق

مدن لا تنام

ان قواعدنا الجوية أشبه بمدن صغيرة لا تنام ـ رغم ان أنوارها مطفأة طوال الليل ـ وهى ليست مكانا موحشا كما تبدو لاول وهلة ـ لقد نشر الطيارون والموجهون الارضيون والمهندسون وأطقم الخدمة الارضية جوا يغمره الحب والمرح ، ان طمأنينتهم وفورات حماسهم من حجم تدريباتهم ونتائج معاركهم التى تفيض بالكثير ومشاعر أبناء الاسرة الواحدة التى تسود حياتهم مستمدة من فنون القتال ..

لقد انضجت تلك المعارك من خبراتهم العملية التى اكتسبوها خلال عمليات ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ وزادت من ادراكهم العميق بطبيعة معارك الغد وما يخبئه من احتمالات ، وعزز برامج التدريب المستمر التى لم تتوقف لديهم على الاطلاق .

كل خطوة ، كل حركة ، كل تصرف صغير أو كبير محسوب ومخطط له ، والكل ملتزم بقواعد وواجبات محددة ، محكومة بخطة عمليات .. لا مجال للاجتهاد الفردى .. وللوقت ألف حساب .

ان القواعد الجوية تعمل بالثانية قبل الدقيقة ، ودرجات استعدادهم للاقلاع والاشتباك يخطط لها بالدقائق والثوانى .. لقد شاهدت طيارى الميج يقلعون بطائراتهم خلال دقائق قليلة وجزء من الثانية ـ ذلك المستوى هو ما جعلهم فى مصاف أبرع قاذفى ومقاتلى العالم .

ان أطقم المهندسين والفنيين الذين يعملون معهم هم العنصر الايجابى خلف تحقيق هذا المستوى ـ ان الميكانيكى بالنسبة لسلامة وكفاءة الطيارة لا يقل أهمية عن الطيار .

وبين هذه المجاميع البشرية الارضية الساهرة فى قواعدنا الجوية يتعاون مهندسو تسليح الطائرات مع مهندسى اللاسلكى والرادار والوقود والميكانيكا ـ فى اعداد القاذفات أو المقاتلات للعمل فى أقل فترة من الوقت ـ فترة محسوبة بالدقيقة ، وتحكمها خبرة وامكانيات هؤلاء الابطال ـ وعليها يتوقف عدد طلعات الطائرة ، وسلامتها ، وكفاءة قصفها واشتباكها مع طائرات العدو .

ولقد أعطى الرجال أغلى ما لديهم ، وتجاوزوا المعدلات القياسية والمأمولة ، واستوعبوا أحدث الاساليب العلمية وطبقوها فى معارك أكتوبر المجيدة أمثل تطبيق .

ـ « شاهدت ميكانيكيا يعدو خلف قنبلة زمنية ألقاها العدو أمام دشمة طائرات ، ويحملها ليلقيها فى الصحراء وتنفجر بعد ١٠ ثانية من التخلص منها » .

لم يكن هذا عمله أو اختصاصه ، ولكنها الروح المصرية التي تفوق كل تصور والارادة الموحدة،والتماسك البطولى والالتحام العظيم لابناء القاعدة طيارين وفنيين وأطباء ، ضباطا وجنودا ، مقاتلين وقذافين وميكانيكيين .

المناورة الراسية

من هذه البيئة وهذا المناخ ــ كانت ضرباتنا الجوية المكثفة ضد طائرات العدو ، وتجهيزات مواقعه الهندسية خلف المرات وفى عمق دفاعاته الاستراتيجية المدرعة ــ كانت هذه الضربات اختبارا عمليا عريضا لرجالنا ومعدنهم القتالي وتفوقهم العلمي واقتدارهم البشرى .

فى احدى العمليات الجوية أخذت طائرات العدو فى الارتفاع لركوب طائراتنا واتخاذ الوضع الملائم لكى تمتلك عامل السيطرة فى ادارة المعركة ، وكان ذلك فى حسابات طيارينا ، قادوا طائراتهم بكل الثبات الى وضع أكثر مهارة ، فعادت طائرات العدو الى المناورة الراسية ــ وهنا « الثغرة » التى لا يتبينها حتى يستغلها الطيار الاكثر يقظة ، الاكثر تدريبا ، الاكبر وعيا بسلوك عدوه ، وتكتيكاته فى الجو ــ ثغرة ــ استغلها طيارونا فى دقة بالغة وتعاون جماعى بين مقاتلي التشكيل ، فأطلقوا صواريخهم فى اللحظة الحاسمة المناسبة ــ جزء من الثانية وليس من الدقيقة وانفجرت ٤ طائرات اسرائيلية فى وقت واحد ولم تصب لنا طائرة واحدة .

معركة بارزة وما أكثر وقوعها طوال أيام القتال بهذه النوعية والسيطرة الجوية فى أدارة معارك الاعتراض ، وقد عادوا الى سماء سيناء متجاوزين كل السلبيات ، مالكين لاعظم المهارات ، فترجموا هذه الثروات عمليا الى أقصى انظمة التشغيل والارتفاعات وبأكبر السرعات ، محققين

عنصر المباغتة والقتال الساحق الكاسح ، بعيــــدا عن الإساليب والقوالب المتجمدة فى صراع الطائرات الإسرع من الصوت .

ان معركة الغد تحتاج الى متطلبات فنية جوية عالية وصلابة نفسية كالفولاذ هى احدى الخصائص النامية باستمرار فى أرواح طيارينا ـ غير ان امتلاك العــدو لطائرات مزودة بالتعديلات الالــكترونية المستحدثة تلك التي لم يستعملها الجيش الامريكى حتى الان تجلعنـــا بالضرورة تطبق تعديلات ايجابية فى طائراتنا ، تعـديلات ذات فعاليات جديدة لسبت فى حل من الكتابة عنها حتى الآن .

لقد انصهر الصلب وتدمرت الطائرات والاسلحة ، ولكن ارادة قواتنا المسلحة لم تلن ولم تضعف ، بل ازدادت صلابة ونموا وايقاع مقاتلينا صارم مطرد متين ...

وجاء ٦ أكتوبر وما بعده من أيام ، وقاتل الرجال وأعطوا أعظم العطاء ، وتكفل قتالهم بالنصر واسترد شعبنا ثقته بغده ومستقبله وجيشه البطل .

لذلك ستغمر بهجة انتصارات قواتنا المسلحة مآسى الماضى ، وسترتفع مآثر الباسلين الابطـــال من الشهداء والاحياء ، لتعلن أمام شعوب العالم ، أن مصر لم تصب أبدا بالعقم ، وان نضال شعبنا الموصول منذ فجر التاريخ، سيظل أخلد ملاحم الانسانية وأشرفها ، لان وقوده كان دائما من أبنائه الصناديد ..

العودة الى السماء

ان طيارينا بكل المشــقة والصمود والرجولة الفــذة يصلون الآن الليل بالنهار ، برؤى مشفوعة بالعلم والايمان ، بالتجربة القتالية المجيدة ، باكثف مظاهر التغيير الجذري

الذى تعيشه قواتنا الجوية ، ابتداء من ٦ أكتوبر المجيد، اخذوا أوضاع التأهل والاستعداد . ان الطيارين بجانب دشم طائراتهم منذ توقف اطلاق النار .. جاهزين لسماع القرار ، للتنفيذ ، للعودة الى السماء .

تحية لكم أيها العمالقة ، لقد انتفض الشعب العربى في أنحاء الوطن العربى لمعاركم ، لاقتداركم بكل التقدير والاكبار .

تحية لقتالكم ، ووقفة بالخشوع أمام سيرة شهدائكم الابطال الذين أعطوا أغلى ما لديهم ـ اعطوا الحياة ـ لكي تبقى لنا الحياة فوق سيناء المحررة .

القاذفات بدون مقاتلات

قامت « القاذفات المصرية » منذ اللحظة الاولى فى حرب آكتوبر ١٩٧٣ باجراء الهجوم العميق والقصف الضخم ضد قوات العدو الاسرائيلى المتمركز فى عمق سيناء ..

لقد طارت « القاذفات المصرية تى يو » فى بعض مهامها دون حماية من المقاتلات الاعتراضية ، أعظم المخـــاطرات المحسوبة المشفوعة بالاقـــدام الجسور ، وحققت أرفع الاهداف .

لذلك ستبقى معارك طيارى القـاذفات والمقـــاتلات الاعتراضية والمقاتلات القاذفة ، شعلة ضوء لا تنطفىء فوق تاريخنا ، فقد قاتل طيارونا ـ العدو وكانوا أساطير للبذل والفداء .

هذه هى رسالتى الثانية عن قواتنا الجوية فى حـرب رمضان التحريرية المجيدة .

استمع السائق « خليل » الى قائد سرب القـاذفات المصرية حين قال له :

ـ « لا تأت مرة أخرى الى هنا ، والاشتباك دائر » .

ولقد عاد السائق الشاب بسيارته الى دشم الطائرات مرة ثانيـة حاملا الشـاى والوجبات الخفيفة لطيارى القاذفات والمقاتلات الاعتراضية حين يهبطون من طلعاتهم ، غير عابىء بقنابل العدو تتساقط حوله .

وقال السائق للقائد ، معتذرا :

ـ « لم أستطع أن أبقى بعيدا عنكم بلا عمل » .

وكما توقع القائد ، أصيب « خليل » بشظية فى ساقه ، ولكنه استمر بكل العناد يؤدى واجبه جريحا يقطر دما ، حتى اجبروه على الانتقال الى المستشفى ، وقال « للطيار القائد » وهو محمول بين أيدى زملائه :

ـ « ألم تقل لنا أن النصر يتطلب التعاون الجماعى بين افراد المطار بلا استثناء .. سأعود سريعا ، أرجوكم .. لا تدع سائقا غيرى يأخذ مكانى » .

بيئة عسكرية تحمل كل الدلالات على رقى العلاقات البشرية التى تحكم دستور كل من ضمته قواعد قواتنا الجوية . طيارا كان أو مهندسا أو ميكانيكيا او جنديا كالسائق « خليل » .

ان الطلعات الناجحة التى قام بها طيارونا من قادة القاذفات والمقاتلين منذ اللحظة الاولى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، والتى بلغت تسع طلعات واكثر للطيار الواحد فى اليوم الواحد ، لا يمكن أن تبقى وتستمر الا اذا عكسها « الطابع الجماعى » فى كل خطوة عمل فوق الارض ، تؤديها الاطقم الفنية لاعداد الطائرة قاذفة أو مقاتلة ، لكى يصبح الطيار قادرا على اصابة الهدف ، وتحقيق المهمة أكمل تحقيق .

القاذفات

حين جاءت اللحظة الخالدة ظهر ٦ أكتوبر كان للقاذفات المصرية شرف توجيه أول الضربات الاستراتيجية للعدو الاسرائيلى ، تلك الضربات التى مهدت لقواتنا البرية أكبر قدر من حرية الحركة نحو العبور الى الضفة الشرقية ، بينما وحدات أخرى تقابل فى عمق سيناء بعد أن حملتها جوا طائرات الهليكوبتر .

لقد قصفت القاذفات المصرية « تى يو » مطارات العريش وتمادا والمليز بقنابلها الثقيله وضربت طائراتها التى كانت تستعد للطيران ، ودمرت منطقه « أم مرجم » شمال سيناء وكان بها غرفة العمليات الرئيسية لقوات العدو على مختلف أسلحته مما أصاب قياداته بالارتباك والتخطيط عدة أيام ، كما قصفت تجمعات دباباته فى مواقع الاحتياطى الاستراتيجى ، وألقت قنابلها فوق منطقه البترول فى « أبى رديس » فحولتها الى نيران مشتعلة .

لقد كانت الضربات التى أنزلتها القاذفات المصرية « تى يو » بالعدو الاسرائيلى لغزا كبيرا يحمل كل المفاجأة له ..

ان القاذفات طارت على ارتفاعات منخفضة جدا ، وهذا وحده من اجرأ واكفأ أشكال الهجوم بالطيران ، وبالنسبة للقاذفات فهو يعطى مؤشرات أكبر حجم من الجسارة والتحكم فى القاذفة الاشبه بالقلعة الطائرة ..

ان « طائرات تى يو » لا تتقيد بحالة الجو ولا بالطيران فى الظلام أو الضوء فى أى لحظة وفى أى ظرف تستطيع بكل الكفاءة أن ترسل قنابلها للعدو ، وان تطير عبر مسافات ضخمة جدا فى الشرق الاوسط ، مطبقة لاحدث أساليب المعارك الجوية ، ومن هنا كانت السعادة بنجاح مهام قاذفاتنا فى اليوم الاول للمعركة ثم بقية أيام الحرب غامرة، أعادت الدفء الى القلوب المجهدة ، والبسمة الى الوجوه القلقة طوال سنوات « الصبر والصمت » ذلك لانه كلما صعب تحقيق النصر ازدادت فرحة الانسان به .

ان الهجوم المنخفض الذى قامت به القاذفات المصرية من أصعب واخطر أشكال الهجوم من الجو ، خاصة اذا كانت الطائرات النفاثة هى التى تقوم به ، ففى عصر الطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت ووسائل الرادارالحديثة، وأجهزة الالكترونالمتطورة لكشفوتضليل

طيران الخصم ، وأدوات الرؤية الكاملة فى الطبقات العليا ، ومدافع العدو المنتشرة ذات السرعات الخارقة والمضادة للطائرات ، والصواريخ الموجهة من الارض للجو ، والمقاتلات الاعتراضية المالكة لاخطر الامكانيات العلمية وما أكثرها لدى العدو .

فى هذا العصر ، وفى ذلك الموقف الذى واجهته قواتنا الجوية بأدق الحسابات اليقظة ، يصبح ثمن النصر من أغلى الاثمان ، ولقد قدمه طيارونا العمالقة بتفوقهم على العدو فنيا وتدريبيا ومعنوية وروحيا ، فاستخدموا أجرا الاساليب فى توجيه الضربات الاستراتيجية والتكتيكية ضد قواته ، وأجبروه على تنفيذ الخطـة المصرية بفرض ارادة قواتنا عليه ، ودفعوه الى فقد الوقت الثمين هباء ، الوقت الذى كان يتعين عليه أن يهب لانقاذ مطاراته ومواقـــع تجمعات مدرعاته ومراكز دفاعاته الجوية الصـــاروخية ، وكانت قياداتنا الجوية بما أظهرته من ابداع ومبـــادرة وسيطرة مستمرة على سماء سيناء ـ وغرب القنـــاة ، ومرافقنا الحيوية فى أنحاء الوطن طوال القتال تؤكد المامها التام بتكتيكات العـــــدو بكل دقة وتفصيل ، ودراستها لاساليبه وامكانياته الهجومية والدفاعية ، وخصـــــائص طيرانه ، وجوانب قوته وضعفه ، والفجوات والثغرات فى قطاعات دفاعاته .. فأنزلت به الضربات المفـــــاجئة الكاسحة ، وكانت معدلات التدمير فى قواته تزداد ســاعة بعد أخرى ، ويوما بعد يوم دون اتاحة أدنى فرصة واحدة أمامه تهيئى له القيام بمناورة جيدة ضد طائراتنا ، ولذلك كان طيارونا الابطال يطورون قصفهم ونجـاحهم فى سرعة فائقة وتنسيق دقيق ، وقد تجلت روح الثقة التامة فى جميع معاركهم ..

٣ ساعات قصف

قال لى الطيار القاذف رضا ، واحد من المجامع الشابة قادة « الطائرات تى يو » :

ـ « احدى العمليات التى قمنا بها استمر قصفنا للعدو من ١٢ ليلا حتى ٢ صباحا ، وكانت معركة من أبرز معارك القاذفات المصرية المؤثرة فى سير الهجـوم فوق الارض ، وما كان فى امكاننا تنفيذ ذلك الشكل من الاستخدام الراقى لولا أعظم صور التعاون بين أطقم الخـــدمة الارضية فى المطارات وأطقم الطيارين والملاحين فى السماء .

ان المهنـــدسين والفنيين اختصروا « ثلثى الوقت » الطبيعى لاعداد القلاع الطائرة لكى تقلع وتؤدى مهـامها ، وكان عملا باهرا مثيرا للاعجاب لا للدهشة ، فلدى قواتنا الجوية جيل ممتاز من خريجى مدارس ومراكز التدريب المهنى التى أنشأتها قواتنا ، وقد تفوقوا فى تخصصاتهم المختلفة وأثبتوا هذه القدرة عمليا خـلال حرب أكتـوبر المجيدة .

وقال لى الملاح القاذف عفيفى :

ـ « أن تجهيزات الطائرات تى ـ يو ، عديدة ومعقدة ومن هنا يرتفع مستوى أطقم انجازات هذه التجهيزات . .

كل قاذفة لها حمولة من القنابل ، وكل حمولة تعـد حسب الفرض المعد له ، وما من واجب قام به الرجال فوق الارض الا وحققوه فى أوقات قياسية خيالية . . . حتى الاعطــاب الفنية التى أصيبت بها بعض قاذفاتنا أصلحوها فى زمن نموذجى لم يكن يتوقعه أحد بفضــل تعاونهم وتضحياتهم ، ونوعية تدريبهم فترات طويلة قبل الحرب » .

كانت شجاعتهم فى ذروتهـــا وما زالت ، وانطبع فى

عيوننا وقلوبنا تعاونهم من أجل سلامتنا وأداء واجبنا أمثل الاداء ، ومضات عظمة الانسان المصرى وعطائه من أجل الوطن ، ظلت مضيئة للطريق أمامنا ، فحققنـــا واجباتنـــا ، ولم يكن الخطـر أمرا مدرجا فى وعيننا أو حساباتنا » ..

لقد حقق عدد ليس بقليل من طيارى القاذفات « تى يو » وملاحيها ومدفعييها فى مؤخرة الطائرة ، بطـولات بشرية ستظل صفحات فخار وشرف للمقاتل المصرى أمام الاجيال القادمة ، وسيتوقف المرء عندها خشوعا وصلابة للبطولة وأغلى التضحية ، لقد واجهوا الخطـــر والموت واجتازوه فى أكثر المهام بفضل مهارتهم وثقتهم فى هــذه المهارة ، وكانت هجماتهم تفيض بالعاطفة حبا فى الوطن ، عاطفة فياضة مكتومة ، انطلقت يوم ٦ أكتوبر وما بعــده من أيام كما ينطلق الماء المحتجز وراء السدود فطاروا فوق سيناء يقاتلون بكل الجراة وبكل ما منحهم الله من طاقة ، فتحت أمامنا آفاقا جديدة ، وأشاعت النضارة والامل فى وجوه شعبنا .

القاذفات والمقاتلات

قال لى الطيار مقاتل حسن ، أحد قادة أسراب الميج ٢١ الاعتراضية :

ـ « ان طلعات القاذفات لابد أن تضم معهـــا طائرات مقاتلة اعتراضية كالميج ٢١ لحمايتها فى الذهاب والعودة .. أمر اساسى ومفروض لدى جميع القوات الجوية فى انحاء العالم، غيرأن طيارى قاذفاتنا قاموا ببعض واجباتهم بدون الميج، طلعات فدائية انتحارية حققوها بجســارة مذهلة .

وكان الطيارون والملاحون يتنافسون على طلعات القاذفة

« ثى يو » بدون الميج الاعتراضية ٢١ ، أعمال لا تصدر الا من مقاتل آمن بوطنه فأعطاه كل حياته ، وأضاف الجديد الى سجل نضال عسكريتنا وبطولات انسانها المصرى .

تحية لاصحاب المآثر الخالدة عبر الزمن، تحية للطيارين سرى ومحسن وآدم وناجى ، للملاحين نجم وحسن وراضى وعليوة ، لكثير التقيت بهم وضاعت منى أسماؤهم وأنا أستمع لبطولاتهم يرويها آخرون عنهم من رفاق السلاح ورحلة الخطر واحراز النصر .

لقد كسروا الروح القتالية للعدو الاسرائيلى ، ازالوا كبرياءه وغروره ، وخيلاءه وداسوا بأقدامهم وهم فى السماء فوق معنوياته وعسكريته التى تغنى بها طويلا ، ولم يكن ذلك سهلا بسيطا على الاطلاق .. كان بأغلى الثمن ، وبأغلى التضحية .

أجمل المذاق

ان المزايا القتالية التى امتلكها طيارو المقاتلات الاعتراضية والمقاتلات القاذفة وغرامهم بمهامهم وثراء تدريبهم ، واستيعابهم لكل ما قدمه طيارو الاستطلاع العمالقة من معلومات عن العدو وقواته فى عمق سيناء — ومهاراتهم فى المناورة وخفة الحركة الجوية هى التى جعلت هجمات قواتنا الجوية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ملحمة تاريخية عظمى توقف أمامها بالدهشة كلها قادة طيران وجيوش العالم ..

أحد أسراب الميج ٢١ الاعتراضية ، والحديث هنا لقائد طيار ... كان يعمل من أول ضوء حتى ما بعد آخر ضوء ، وبعد كل طلعة يهبط فى أقرب مطار له ليتزود بالذخيرة والوقود ، ويقوم بالطلعة الاخرى مختصرا دقائق قليلة من الوقت يلحق فيها بمعركة كبيرة مؤثرة ..

الطيار « اسكندر » أسقط بذلك الاقتـــــدار خمس طائرات للعدو فانتوم وسكاى هوك وميراج ..

الطيار « امام » أسقط ٧ طائرات مثلها ..

الطيار « صبحي » دمر ٣ فانتوم فى أقل من دقيقتين وكانت رابضة فوق الارض ..

الطيار « بشير » دمر طائرتين فانتوم فى لحظة خروجهما من دشمتها الثنائية .

الطيار « عاطف دمر بطارية صواريخ أرض جو للعدو ومخازن للنابالم والسولار ورتلا من دباباته : وفتح الطريق أمام الموجة القادمة من طائرات رفاقه .

طيار آخر « عاطف » أحدث الطيارين وأصغرهم سنا دمر ميراج للعدو ، وكاد طيار اسرائيلى آخر يقتاله لولا يقظة قائد السرب حول طياره الحديث ، يرعاه بخبرته أثناء الاشتباك فى الجو ..

الطيار « مجدى » دمر طائرتين سكاى هوك للعـدو فى طلعة واحدة وفى دقيقة واحدة .

الطيار صلاح ، الطيار هانى ، الطيار الحارثى ، الطيار بشارة ، الطيار خيرى ، الطيار منير ، الطيار نصر ، الطيار خطاب ، وقد عشت بين رفاق ســـــلاحهم أسمع عنهم ما يخاطب القلب والعقل والاذن ، وهم يتحرقون بعـد كل طلعة شوقا للقتال ، بقلق وغيرة ولهفة وشوق يعودون الى سيناء .. ان التضحية بالروح كما قال لى أحدهم فريضة مقدسة ، ولقد قاتلوا بأثرى الثقة والثبات المعنوى الارادى وبمهاراتهم تفادوا أى ارتباك أمام أشد الظروف حرجا .. ان طيارين واجها ٨ طائرات للعدو وأسقط الاول طائرتين وأسقط الثانى طائرة ، وفرت خمس طائرات للعدو مذعورة مرتاعة .. فوق عيون موسى ، وعاد الطياران « ماجـد وسامى » الى قاعدتهما سالمين .

قال لى قائد أول سرب اعتراضى قام من قاعدة جوية متقدمة الى سيناء يوم ٦ أكتوبر المجيد :

ـ شعرنا بارتباك العدو حين كنا نهاجم طائراته فى الجو واذا بصواريخه ومدفعيته المضادة للطائرات تنطلق فى الوقت نفسه ـ أكبر دليل على تخبط قياداته حتى ترسل طائراتها الاعتراضية وتفتح صواريخها ومدفعيتها فى الوقت نفسه وطيرانها فى الجو .

« ١٢ » طائرة عدوة جاءت لقصف مطارنا واذا بهـــا تلقى قنابلها على بعد ٥ كيلو مترات من القاعدة نتيجـة خوف وهلع طياريها ..

وحين كانت طائراته تصاب اصابة مباشرة ، وفى وسع طياريها القفز والنجاة ، كان الطيار لا يلجأ الى هـــذه الفرصة الوحيدة أمامه للبقاء حيا ، بينما نرى طيـارا اسرائيليا آخر يقفز من الطائرة وفى امكانه الافـلات بهـــا ـ وعندما تحققنا من الامر بدراسة طائراته المدمرة ، وجدنا الطيارات التى سقطت بطياريهـــا ممن لم يلجـــأوا الى القفز ، وخرطوشة المقعد القافز منزوعة منها حتى لايهرب الطيار من الطائرة ... وعرفنا أنهم الطيارون المأجورون من المرتزقة ، بينما خرطوشة المقعد مثبتة فى طيارة الطيار الاسرائيلى حرصا على حياته ..

تحية اكبار وتقدير الى كل بطل فى قواعدنا الجـــوية طيارا أو فنيا ، وتأهبهم النفسى لاخطـــر الاحتمالات القادمة لا يفرغ أبدا ، تحية لجهدهم الخلاق ، للابتكار ، للمعطيات الجديدة فى فن أعـداد الطائرة وفن القتـــال فى الجو ، تحية الى الذين عاشوا الموت وتجاوزوه بدأب ومثابرة واصرار على تحقيق الهدف الرفيع الذين وقف

الله برعايته معهم ليلا ونهارا يزودهم بالفطنة والمهـــارة والابداع .. تحية الى كل من اشـــترك فى نشر كابوس هائل الحجم سيظل طويلا مخيما فوق العدو ، وكانوا فى جميع طلعاتهم يسعون بالعقـــل الواعى والروح الطموحة والقوة الذاتية الى مزيد من الخطر .. لان النصر الذى يتحقق بعده ، له أجمل المذاق ، وأطول البقاء ، انه أشرف النصر .

الأم التى رفع القائد الأعلى أمامها يده بالتحية العسكرية

لقد تجاوزت قواتنا الجوية مرحلة البطولة الى تحقيق المعجزات فى حرب رمضان الماجدة وكانت قبضتها الفولاذية الطولى الى عمق العدو ، منذ لحظة ضربة السيطرة يوم ٦ أكتوبر الخالد على مدى التاريخ ، من قبضة الله ..

ان طيارينا فوق القاذفات الثقيلة ، أو الميج ٢١ و ١٧ ، أو فوق طائرات الهليكوبتر الهابطة خلف خطوط العدو ، أبدعوا وتألقوا بطائراتهم المقاتلة الاعتراضية ، وكانت معطياتهم واضافاتهم ومهاراتهم ، نابعة من سعى طموح وعقل واع وتدريب راق ، ومعارف جوية حديثة يمتلكونها وتزودهم بعنصر السيادة والمبادرة وخفة الحركة الجوية .. وقبل هذا كله ، كان الله ينشر حمايته فوقهم وهم فى السماء ، وفوقهم وهم فى طائراتهم بأرض الممرات وداخل الدشم والمطارات .

ان امتلاك الالكترونات واستيعابها تكنولوجيا وقتاليا مهما بلغت من مستوى متقدم مؤثر ليست قادرة على احراز النصر ، الا بالانسان وحده فى الدرجة الاولى ، الانسان المقاتل بايمانه ، وقواه الذهنية ، وبواعثه الروحية والعقلية ، وثروته العسكرية التى حققها فى برامج التدريب ، انه سيد المعدات المتطورة ، والقادرة على استخدامها أمثل وأكفأ استخدام فى جسد العدو .

لقد قامت بعض طائراتنا بأكثر من «٣٥٠٠» طلعة جوية ،

ما بين قتال اعتراضي وقصف جوى ، وفى خلال هــــذه الطلعات كانت المفاجآت التى أهداها طيارونا للعالم ، عندما أسقط البطل طيار « شريف » الحاصل على وسام نجمة سيناء طائرة فانتوم بطائرته الميج ١٧ ، لاول مرة فى تاريخ الطيران الحديث ، بعده أسقط البطل طيـــار « لطفى » بطائرته الهليكوبتر فانتوم أخرى ، ثم جاء البطلان الطياران « ضياء ووفائى » وأسقطا ست طائرات فى طلعة واحدة ، كل واحد منهما أسقط ٣ طائرات عدوة فى أقل من ١٤٠ ثانية ، وحصلا كلاهمـــــا على أعلى الاوسمة « نجمــة سيناء » .

وخلال الايام المحفورة فى تاريخ شعبنا البطل ، أسقط الطيار « اسكندر » خمس طائرات ، وجاء الطيار « البطل الشهيد على » وأسقط ٧ طائرات للعدو ، وقام البطـل « العوضى » بأربعين طلعة أو أسقط ٤ طائرات ، ثم هناك البطل « حسن محمد حسن » أحد الذين كرمهم القائد الاعلى بمجلس الشعب ، ممثلا لسلاحه الجوى ، وقـد قام ب ٣٢ طلعة ناجحة دون أن تتمكن طائرات اسرائيل من اصابة طائرته على الاطلاق .

لقد أسقط « نقولا » الطيار الحديث الذى لم يمض على تخرجه الا أيام قليلة وقامت الحرب ، أسقط بطائرته الميج ١٧ ــ ميراج ٤ ،واشتبك الطيار الصغير « وليم » ، وكان بجانب قائده الطيار « سعد » مع طابور مدرعات للعدو خلف ممرات سيناء فى طريقه لمواجهة قواتنا البرية المقتحمة المتقدمة بخط العـــرض كله ، ودمراه تماما ، وخسر العدو كما قال الاسرى لدى قائد احدى فرق المشاة المصرية ، أكثر من مائتى ضابط وجندى اسرائيلى فى هذه الطلعة الجوية البارزة .

ان بسالة الطيار المصرى ، وكفاءته الجسورة واقتداره الهجومى ، وقتاله المدعوم بالايمان والشرعية ، وسيطرته البارزة فوق أرض المعركة فى سيناء أو غرب القنـاة ، وتجاوزه العدد الهائل من بطاريات مدفعية وصواريخ العدو المضادة للطائرات ، وتدميره لها ، ليمارس قنصه الحـر ضد القوات الاسرائيلية الميكانيكية والمدرعة ومراكز قيادتها ومخازن ذخيرتها ومناطق تشوينها ، وبطاريات مدفعيتها الميدانية الثقيلة ، ومطاراتها وطائراتها وهى تغـــادر دشمها الثنائية والثلاثية والرباعية فوق الارض .. لم يكن أملا قائما على الحظ ، أو مفاجأة لقواتنا ، أو ضعفا وتهاونا لدى العــــدو ، وهو يملك التفوق العددى فى الطيارين والطائرات الالكترونية الامريكية المستحدثة والصـواريخ المضادة للطائرات والقنابل التليفزيونية التى أشار اليها القائد الاعلى ، فى أحد أحاديثه للشعب .

كانت عودة طيــارينا للسماء ، وامتلاكهم للسيــادة والسيطرة الجوية ــ ايمانا بالواجب المدعوم بالشرعية ثم تدريبا عمليا داخل وخارج الوطن ، وتخطيطا للامكانيات التى نملكها وكيف نستخدمها فى مواجهة امكانيات العدو ، وحسابات تحمل طابع الرؤيا العــلمية الواعية لتصاعد المعركة ، ومهام محسوبة محكومة بخطة عمليات وضعهـا أقدر قادة قواتنا الجوية ممن صقلتهم التجربة ومعـــاناة السنوات الطويلة الماضية خبرة ونضجا وتفانيا فى ســبيل التفوق على العدو .. ولقد امتلكناه فى النهاية ، وذراع الله تحوطنا بالرعاية ، وتزودنا بالحماية ، وتلهمنا الايقــاع الصارم المطرد المتين ، ايقاع طيارينا العمالقة الذين قاتلوا

حرب ١٩٧٣ ــ ١٩٧٤ مالكين لاعظم المهارات ، طاردين كل السلبيات ، مترجمين ثروات التدريب الى أقصى أنظمة التشغيل والطيران ، محققين عنصر المباغتة للعدو ، مجددين لاساليب الهجوم والمناورة ، راكبين طائراته ، مطلقين صواريخهم ، رافعين راياتهم .. رايات البطولة والاقتدار والاصالة مستبسلين فى قتالهم ، متألقين فى ادارة نيرانهم واسقاط طائرات العدو وكسر روحه العسكرية وازالة كبرياؤه وغروره وخيلاءه ، مسترخصين أرواحهم .. جادوا بها فدية وجزية للنصر ..

أننى أعرض اليوم قصة بعض هؤلاء العمالقة الذين صعدوا الى رحاب الله ــ من أبطال قواتنا الجوية ، وهم يمثلون بتوعياتهم ونسيجهم البشرى ، تلك القاعدة العريضة من مقاتلى السلاح البطل ، أحياء وشهداء .

ان الابطال لا يولدون أبطالا ، ولكنهم يصنعون فى بيئة الايمان والشرف والصلابة ، والمناخ الوطنى النقى ، فالبطولة تنمو مع عمر الانسان ، حتى تأتى اللحظة الخالدة التى يتوهج فيها البطل ، ويعطى اعظم وانبل العطاء ، يعطى الحياة ، لكى تبقى لنا الحياة .

زكريا وعاطف وطاهر

تميزت حرب ١٩٧٣ الماجدة بصورة فريدة لالتحام الضابط والجندى خلال مراحل القتال ، وتأكد هذا الالتحام فى تقدم الضابط لجنوده منذ اللحظة الاولى للهجوم وطوال العمليات ، على مختلف اسلحة قواتنا بأكملها وقبل الساعة صفر يوم ٦ أكتوبر الخالدة كان القادة يتقدمون الجنود فوق الضفة الغربية للقناة عبورا الى الضفة الشرقية تحت طلقات مدفعية العدو وأقواس نيران رشاشاته وقنابل طائراته التى ظهرت فوق بعض المناطق

بعرض الهجوم أثناء العبور ، وعلى مستوى التشكيل المقاتل الكبير من فرقة مشـــاة أو مدرعة أو ميكانيكية ، ومهندسين وصاعقة ، ومظلات ، حتى التشكيل الصغير فى حجم فصيلة تقدم القائد جنوده ، ولذلك كان لنا فى هـــذه الحرب التحررية العظمى عدد ليس بقليل من قادة الوحدات الشهداء ، وقد قادوا أشرف الهجوم التكتيكى الناجح الكاسح ، البارز فوق صفحات العســـكرية المصرية ، ويوميات الحرب المسجلة رسميا ، وكان لتقدم جنـودهم أثناء الهجوم أعظم الاثر الايجابي لدى المقـــاتلين الذين تحولوا الى موجات بشرية هادرة تصب نيرانا كالجحيم فوق مواقع العـــدو وجنوده ، لا يوقف زحفهــــا شيء على الاطلاق .

وكما حدث لدى القوات البرية فوق الارض ، حـــدث الشيء نفسه بين القوات الجوية فى السماء .

ان بطلنا الاول هو العقيد طيار الشهيد زكريا كمال ـــ قائد تشكيل البطـــل الشهيد عاطف السادات ، وقد استشهد القائد والطيار معا ، بعد عمليات قصف مكثفة بالصواريخ جو ـــ أرض أصـــابا فيهـــا العـــدو بالشلل التام ..

كان « البطل الشهيد زكريا » يقول دائما :

ـــ « ان المقاتل المصرى هو أكرم المقاتلين فى المعركة ، انه يجود بحياته ولا يبخل بها أبدا من أجل وطنه ، لقد رأيته كذلك خلال الاعوام التى قضيتها مقاتلا ارتدى هذا الزى » .

ولقد أنجبت زوجته « السيدة هدى برعى » مولودها الثانى بعـــــد استشهاد زوجهـــا وجاء ذكر فأسمته كريما » .

والبطل زكريا كمال محمد أحمد عثمان من مواليد عام

١٩٣٥ حصل على فرقة قادة الاسراب والرفوف الجوية فى معهد دراسات الحرب الجوية عام ١٩٧٠ ، قبل ذلك حصل على شهادة طيار « سوخوى » من الدرجة الاولى بمواصفات ممتاز « طيران ليلا ونهارا » كما حصل على ست شهادات فنية أخرى فى قيادة الميج وسوخوى ، وشهادة من قائده فى نهاية عام ١٩٧١ ، بأداء المهـــام والواجبات الموكلة اليه على أكفأ وجه .

كان « الطيار زكريا » نموذجا رائعا لعشاق الطيران ، والعسكرية المصرية ، قارئا متابعا ممتازا لكل ما يصدر من كتب ومعـــارف جوية ، مقاتلا وقاصفا فوق الميج وسوخوى ،محققا أقصى الاهداف ، مقتدرا بكفاءته وتدريبه ومعنوياته العالية ، قائدا بخبرته وثقافته القتـــالية الجوية ، وتجاربه السابقة فى الجولات الماضية مع العــدو الاسرائيلى .

وقد ظل الشهيد متقدما صفوفه فى الطيران وفى الرياضة بطلا بارزا فى السباحة والغوص وسباق المراكب الشراعية وصيد الغزال فى الصحراء ، والاسماك فى عمق المـاء ، والتصوير الملون ، واقتناء الكتب العلمية والدينية ، فهو ابن لأب عمل طوال حياته مشرفا على جمعية مكارم الاخلاق فى حى شبرا بالقاهرة .

وتزوج « زكريا » عام ٦٢ وأنجب « ايمان » بعد زواجه بعامين ثم « كريما » بعد استشهاده بأسابيع .

وفى ضربة السيطرة الجوية البارعة التى قامت بهـــا مائتا طائرة ضد العدو الاسرائيلى كان « البطل » زكريا وبجانبه البطـــــل عاطف السادات ومعهما البطل طاهر « يهاجمون مطار المليز ، ومحطـــات الردار به ، ومراكز التشويش الالكترونى التى تحميه .

وحقق الابطال مهمتهم ، ثم قصف الطيار البطل عاطف

مخازن النابالم والسولار بالقرب من مطار العدو ، واشتبك مع رتل مدرعات اسرائيلية ، وجاءت طائرات الميراج فى تشكيل مكون من ١٢ طائرة ووقع اشتباك جوى تابعته قيادتنا لاسلكيا والكترونيا ، وأسقط أبطالنا خمس طائرات عدوة ، وأصيبت طائراتنا ، ورفض الابطال الثلاثة « زكريا وعاطف وطاهر » القفز من الطائرات والوقوع أسرى فى أيدى العدو ، حاولوا العودة بها وهى مصابة ، وشاءت ارادة الله أن يستشهدوا وهم يقودونها ، مرددين نشيدهم الخالد الله أكبر تحيا مصر ، الله أكبر منصورة يا مصر .

وتقدمت قواتنا المشـــاة مطورة اقتحامها ماضية فى اكتساحها للقوات الاسرائيلية ، وقد امتلكت حرية الحركة والسيطرة التى حققها الابطال العمـــالقة زكريا ورفاق سلاحه من الطيارين المقتدرين ، المسترخصين أرواحهم فدية لعبور قواتنا الى سيناء .. فقلب العدو .

عمر عبد العزيز

بطلنا الآخر المقدم الطيـــار الشهيد عمر عبد العزيز اسماعيل ، ولد لاب من مهندسى الزراعة عام ١٩٤٧ .

قال لى والد الشهيد ، ورنة الفخر تملأ صوته :

ـ « كانت مصر كل حياته وغرامه وعقله ، ولذلك لم أندهش حين علمت بنبأ استشهاده بل قلت لحظتها ، انه قدم روحه فداء للهجوم ، انه يومه بل يومهم جميعـــا ذلك النهار العظيم من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ولن يكن ليقبل أقل من الشهادة » .

واشتركت الام والاخوة فى الحديث :

ـ « أسرتنا كلهـــا من مهندسى الرى أو الزراعة أو الميكانيكا ، هو وحده ومنذ طفولته رأيناه عاشقا للطيران ، وحين كانت تحلق طائرة فوق بيتنا يهرع الى رؤيتهـــا

ويتأملها فى حب ورغبة ، وكثير من أقاربنا تنبأوا له بمهنته التى اعطاها فى النهاية حياته » .

فى مرحلة الدراسة الاعـدادية ظهر تفـــوقه فى عالم الكهرباء حين اخترع جهازا للارسال اللاسلكى ، وأهدته مدرسة دمنهور الاعدادية وثيقة شرف لنبوغه فى هـذا العلم .

وفى المرحلة الثانوية حافظ على تفوقه الدراسى ، ثم انضم الى جمعية كشافة جوية للطلبة ، وقاد مجموعة من زملائه أعضاء جماعات الفتوة للتدريب عمليا على الطائرات الشراعية بمطار امبابة ، وكان اهتمامه بالطيران قد امتلك كل حواسه .

والتحق « عمر » بالكلية الجـــوية ، وكان مجموعه بالثانوية العامة يؤهله للالتحاق بالطب أو الهندسة مثل شقيقاته وأفراد أسرة أبيه أو أمه ، ولكنه آثر غرامه ، وتخرج طيـارا بارزا عام ١٩٦٦ ، وأسـقط فى طلعـــات انتحارية خلال حرب ١٩٦٧ من ٦ حتى ٩ يونيو ١٩٦٧ ـ سبع طائرات للعدو ، كما دمر المدرعات الاسرائيلية حول العريش ، وأسقط طائرتين يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ ، وفى حرب الاستنزاف اشتهر بالقنص الحـــر ، ضد الميراج وسكاى هوك وفانتوم العدو ، ولم تنل منه الطـــائرات الاسرائيلية على الاطلاق .

ان عمليات القنص الحر فى السماء « دخول منطقــة الهدف بدون حماية الطائرات » تعتبر من أقسى وأشــق واصعب مهام القتال الجوى ولقد دفع الطيار عمر حياته ، بعد أن أتم مهمته وفى عملية خالدة بالاصالة والعراقة لها . من أجل تلك الهجمات التى اشتهر بها البطل .

قالت لى السيدة أم المقدم الطيار العملاق عمر :

ـ « كان يصلى به وبأخوته « اماما » كلما جاء لزيارتنا ،

ان مجموع اجازاته التى قضاها بيننا منذ عام ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ ، لم تزد على ساعتين كل شهر ، وقته كله للتدريب ولزملائه الطيارين وقد حصل على رتبة رائد فى منتصف ١٩٧٣ ، وكان يصوم ثلاثة أشهر فى العام ، واستشهد بعد أن أدى صلاة الفجر ، صائما كعادته ، بل كان ينزل ، كما روى لى زملاؤه ، من الطلعة ليؤدى ركعتين صلاة شكر لله عز وجل ، ثم يقود طائرته ويعود الى السماء مرة أخرى .

ـ وطار المقاتل « عمر » وهو قائد سرب ست طلعات يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وقام فى اليوم الثانى بخمس طلعات، وقال لرفاق السلاح من الطيارين والمهندسين والملاحين ، قبل أن يقوم بآخر طلعة له :

ـ « لقد أصبحت حسودا ، اننى أحسد الان من نال شرف الاستشهاد قبلى » .

اسماعيل امام

البطل هذه المرة ، واحد ممن حققوا شهرة واسعة لدى قواتنا الجوية باقتداره القتالى ، بسيطرته الفولاذية على معارك الجو ، بانفعاله الارادى الثابت حين يلتقى بطائرات العدو ، بالسيادة الجوية التى ظل يمتلكها وهو فى السماء ، مسقطا لثمان طائرات اسرائيلية ، طائرتين عام ١٩٧٠ ، وست طائرات فى حرب ١٩٧٣ ، حتى أستشهد بعد ١١ يوما من القتال المتواصل .

انه البطل الشهيد رائد طيار مقاتل اسماعيل حسين امام ، من مواليد فاقوس سبتمبر ١٩٤٦ ، ولد لأب يملك مصنعا للبلاط وكان من ثوار ١٩٣٥ .

هبط اسماعيل من احدى الطلعات ليكتشف ان سيارته أصيبت بصاروخ واحترقت ، وكان قد تركها بالقرب من

المطار وابتسم البطل مرددا الحمد لله .. لانني لم اكن بداخلها !

وقال له أحد مهندسي القاعدة الجوية ـ « لا تهتم ، سأصنع لك سيارة جديدة ، من حطام الطائرات الاسرائيلية التي أسقطتها .

وعلق آخر :

ـ « أن الحطام الذي تتحدث منه يكفى لصنع خمس سيارات ، وليست واحدة فقط ! » .

قال لى الآب والفخار ببطولة ولده يحتويه :

ـ « لى شقيقة أكرمها الله بخمسة أبناء يقاتلون جميعا فى صفوف قواتنا المسلحة ، مشاة واستطلاع ودفاع جوى، وقاذفات تى يو وميج ٢١ . وكان ولدى « اسماعيل متعلقا بهم فعشق الطيران والعسكرية المصرية من خلال صداقته لهم وارتباطه الوثيق بحياتهم .

وبعد حصوله على الثانوية العامة التحق بالمعهد التجارى العالى فى القاهرة ، فظل به ٤ شهور ، وفجاة عاد وقال لى :

ـ « لا تحرمنى يا أبى أملى ورجائى ، أريد الالتحاق بالكلية الجوية » .

وتخرج اسماعيل بعد حرب ١٩٦٧ ، طيار مقاتلا للميج ١٧ ثم الميج ٢١ ، وتبعه شقيقه ابراهيم وتطوع مقاتلا بالقوات البرية عام ١٩٧٠ ، حين لم يستدعوه لاداء الخدمة الوطنية .

وفى عام ٦٩ ، اسقط اسماعيل طائرة للعدو ، وحاصرته ٣ طائرات اسرائيلية واصابت طائرته اصابة كبيرة فى مؤخرتها ، ولكنه عاد بها الى قاعدته ، اقتدارا واستطاعة .

وطار ذات مرة وقدمه مصابة ، ولم يفقد سيطرته أو كفاءته .

وتزوج البطل عام ۱۹۷۱ ، وانجب « داليا ومحمد »
وفى حرب اكتوبر الماجدة طار الى المعركة وظهره ملفوفا
برباط البلاستر ورفض أن يخبر طبيب القاعدة أو قائدة
بألمه واستطاع منذ ضربة السيطرة الجوية يوم ٦ أكتوبر
حتى ظهر ١٧ أكتوبر الخالد اسقاط ست طائرات فانتوم
وميراج للعدو ، وجاد بحياته وهو يقهر هجوما جويا معاديا
فوق بور سعيد .

صبحى الشيخ وبشير

بين النوعيات القتالية الراقية التى أعطت أبلغ صور
الاصالة الرائدة المتجسدة فى نسيج المقاتل المصرى ، يبرز
أمامنا عدد من المقاتلين على مستوى مختلف الاسلحة جوا
وبرا وبحرا .
وفى قطاع قواتنا الجوية ، يتقدم « الطيار المقاتل البطل
الشهيد طلال » الذى جاد بحياته عام ٦٩ ، يتقدم سلسلة
طويلة من البطولات الخفاقة .
لقد أسقط طائرة للعدو فى عمق سيناء ثم واجه تشكيلا
معاديا من ٤ طائرات أصابت طائرته ، واكتشف انه من
المتعذر أن يعود بها ، فأبلغ موقفه باللاسلكى ، ثم اقتحم
بالطائرة موقع صواريخ هوك اسرائيلى ليدمر البطارية
المعادية ، ويفجر طائرته داخلها ، رافضا أن يقفز بالمظلة
ليسقط أسيرا بين أيدى العدو .
وفى حرب ۱۹۷۳ ، فعل الطياران البطلان الشهيدان
صبحى الشيخ ، وحسين بشير ، نفس الشىء ، تجاوزوا
قوانين البطولة وارتفعا الى القمة حين فرغ كل منهما من
مهمته وقد أسقط « صبحى » طائرتين ميراج ثم أصيبت
طائرته فاقتحم دشمة رباعية لطائرات العدو ، فى اللحظة
التى تخرج منها ثلاث طائرات لتصعد الى الجو ، ويفجر

« صبحى » طائرته فى الطائرات الثلاث وهى تغادر دشمتها فوق الارض وتشتعل النيران فيها وفى القاعدة باكملها .

وجاء « بشير » واقتحم هو الاخر دشـــمة ثنائية لطائرات ميراج اسرائيل يدمرها ويدفع حياته ثمنا لتحقيق الهدف فى أعلى مستويات تحقيقه .

ان صبحى الشيخ نموذجا للمواطن المصرى الكادح ولد عام ١٩٥٠ بالاسكندرية لاب سائق فقير تركه قبل ميلاده واختفى تماما وظلت الام وهى « نوبية المولد ، السيدة فردوس فرحات » حانية راعية لولدها ، مارست جميع أنواع العمل البسيط الفقير الشريف لكى تحمى وحيدها من مصير مظلم ، ورفضت أن تتزوج مرة أخرى ، حتى تخرج صبحى طيارا متفوقا .

لقد تقدم الى الكلية البحرية والجوية ، وقبلته الكليتان ولكنه آثر الطيران ، وتخرج فى الكليه الجوية عام ١٩٦٩ ، وحصل على رتبة نقيب فى منتصف عام ١٩٧٣ ، لكفاءته فى ادارة القتال الاعتراضى بالميج ٢١ ضد الميراج الاسرائيلى، واسقاطه ثلاث طائرات للعدو منـذ نهاية عام ٦٩ ، حتى اغسطس ١٩٧٠ ، وظل نشاطه فى طلعات الاستطلاع بعد ذلك فوق مواقع العدو ومطـــاراته ناميا متطورا معززا بالخبرة والقيـــادة الواعية والتدريب على تطبيق فنون معارك الجو الالكترونية الحديثة ليلا ونهارا .

وتردد اسم الطيار المقـــاتل صبحى الشيخ فى جميع قواعدنا الجوية خلال الايام الاخرى لمعارك ١٩٧٣ ، وكان البطل جديرا بكل ما قيل عنــه ، وقد توج سيرته بأعظم النهايات ، تاركا فى جسد العدو خسائر واصابات لاتمحوها الايام ، مستشهدا كأبطال الاساطير الاولين ، هاتفا وهو يفجر طائرته فى طائرات العدو ، كما فعل بعده رفيق سلاحه بشير .. « الله أكبر الله أكبر .. منصورة يا مصر » .

كانت مصر آخر كلماتهما ، وظلت مصر آخر صورة فى عيونهما ، وفى خيالهما وقلبهما ، ومن أجلها بلغا ذروة المجد فى القتال والهجوم ، ومن أجلها أيضا جادا بأغلى الجود ، جادا بالحياة لتبقى لمصر الحياة .

وجاء أحد المقاتلين ليقدم « للسيدة فردوس » أم البطل العاملة البسيطة ، كلمات العـــزاء ، ونزلت دمعة من عينيه . وهو يتحدث عن صبحى ، وقالت الأم :

ــ « لا تحزن أيها الضابط من أجل ولدى ، لقـد حقق « الله » أمانيه كلها منذ اعتاد الصلاة والتحدث اليه قبل أن ينام لقد عاش وحيدا بلا أب يستمع الى أحلامه ، وكان الله بجانبه دائما ، فراح ينجح ويتفوق فى كل مراحل دراسته ، ويشفى من أمراضه قبل أن أجمع نقـــود العلاج ، وفى معارك ١٩٧٠ ، قال لى صبحى أن الله رفض أن يكرمه بالشهادة ، ولما قلت له ، وهل تتركنى وحدى ، قال مندهشا :

ــ « ان الله لن يتركك ، بل انه أعظم تكريم لقصـــة كفاحك معى ، يهـديه الله لك ، اذا قبلنى بين عـداد الشهداء » .

ولقد أكرمت الدولة أم البطل ، ووقف القائد الاعلى للقوات المسلحة يرفع أمامها يده بالتحية العسكرية حين نودى اسم ولدها فى مجلس الشعب ، صبحى على قطب الشيخ واحد من رواد القدرات الخـــارقة ، حماة مصر وعشاقها وذراعها المرفوعة بالحماية ، وقد وضع الله فى قبضتها من قبضته .

الخبير الأول فى الصواريخ

لقاء وحوار معه فى سبتمبر ١٩٧٤

قال عنه القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس انور السادات « لدى القائد المصرى للصواريخ الذى أستطيع أن أعتبره بلا مبالغة الخبير الاول فى العالم . لانه مارس عمليا حرب الصواريخ .

« ولدى أيضا أداة لحرب الصواريخ ، التى لم تدخلها بعد أى من القوتين الأعظم » .

هذه قصة « القائد » الذى تحدث عنه الرئيس السادات ، وقصة أداة الصواريخ المصرية ، أو السلاح الحديث العملاق ، سلاح دفاعنا الجوى .. وقائده الفريق محمد على فهمى ، الذى تولى بعد ذلك رئاسة أركان قواتنا المسلحة ..

لم يعد سرا ، ان الرئيس السادات أخذ على عاتقه مهمة تدعيم سلاح الدفاع الجوى ، منذ اصبح سلاحا رابعا مستقلا فى قواتنا المسلحة ، بينما القائد الاعلى وقتها كان نائبا لرئيس الجمهورية ، وقد انشغل تماما ببناء قواعد الصواريخ الشهيرة خلال أربعين يوما ، انفقنا عليها أربعين مليونا من الجنيهات .

ملحمة من ملاحم الشعب المصرى البطل ، اشترك فيها المدنيون بجانب العسكريين ، وجاد بالروح من أجلها

مقاتلون وعمال وفلاحين .. وعملت الصواريخ باقصى كفاءتها .

وفى أسبوع واحد تساقطت طائرات العدو كالذباب بعد أن دخلت كتائب الصواريخ المضادة للطائرات مسرح جبهة القناة غرب ، تطبيقا لخطة موضوعة ، كان للسادات دور فيها ، ونفذت تحت اشرافه ، بينما الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يقوم بزيارة سريعة الى موسكو .

ومرت الايام ، وبدأ ايقاع الدفاع الجوى المصرى يتصاعد الى السماء ، حتى بلغ الذروة فى حرب رمضان الماجدة .

وشرعت أكتب هـذه السطور ، وكان لابد أن اربط بالضرورة بين مفاجاة هذا السلاح فى أكتوبر ١٩٧٣ ، تلك المفاجأة التى حققت ارقاما خيالية فى خسائر طائرات العدو وطياريه ، فوق كبارى العبور ، وفى عمق سيناء ، كان لابد من الربط بين ايجابية المفاجأة التى قدمهـا السلاح بحجم نيرانه المؤثرة ، وبين الاهتمام غير العـادى الذى أولاه الرئيس السادات للسـلاح نفسه منذ عام ١٩٦٩ ، ومنذ قاد معركة ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ بين دفاعاتنا الجوية وطائرات العـدو ، بينما كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بالرباط أيضا هذه المرة ، وقد جاء العدو بـ ٢٦٤ طائرة مع انه جاء يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ بـ ٢٢٠ طائرة فقط ، وكانت خطة القيادة الاسرائيلية هى تحطيم كتائب الصواريخ المصرية التى أعطاها السادات وقادتنا كل كيانهم وطاقاتهم .. فى ذلك اليوم أصدر السادات قرارا جريئـا على مختلف المستويات العسكرية فقد أمر بنقل بطاريات الصواريخ وتغيير أماكنها قبل صباح اليوم التالى ، وكان عملا جريئا مقتدرا قام به رجالنا العمالقة من المقـاتلين والمهندسين والفنيين ، وحين جاءت الطائرات الاسرائيلية مع أول ضوء ، لم تجد البطاريات فى مواقعها وعنـد

استدارتها للعودة الي الشرق ، اصابتها الصواريخ المصرية من مواقعهــا الجديدة ، وقال « السادات » كلمته الشهيرة بعد ذلك :

ـ « ولم يحدث أن انكسر أولادنا أبدا .. »

ان ملحمة الدفاع الجوى هي واحدة من أعظم واشرف ملاحم نضالنا الوطنى المعاصر ظلت مسموعة بكل دقائقها وبطولاتها وعظيم تضحياتها الاقرب الى الاساطير لشعوب العالم أجمع ، لتكشف عن صلابة المقاتل المصرى واصالته، عن شموخه وايمانه فوق أرض ملتهبة بالنيران ، ورجال الدفاع الجوى بكل الثبــــــات والارادة الفولاذية فوق مدافعهم يسقطون طائرات العدو بينما قنابلها الالفى رطل تنهال كالامطار فوقهم، ويستشهد الرجال وأيديهم متصلبة قابضة على المدافع واجسادهم متفحمة فوقها .. صورة لا تستطيع الكلمة حتى الاجيال القادمة ان تبلغ من المعانى ما يمكن أن يرتفع الى قمة البطــولة والثبات والتضحية التى بلغهــا رجال بطاريات المدافع والصواريخ المضــادة للطائرات .. لا تستطيع الكلمة رغم ثراء اللغة العــربية أن ترقى الي عمل هؤلاء العمالقة وهم يستقبلون بأجسادهم كتلا ضخمة من نيران القنابل والصواريخ جو ـ أرض ـ وطلقات الفيــكرز ، ويبقى الابطال فى مواقعهم فاتحين لنيرانهم ، حاصدين للطــائرات ، مستشهدين بجانب أسلحتهم ، صانعين اشرف الايام المضيئة بقبس من نور ارواحهم ، خالدين بقتالهم .. خلود الشمس والقمر واللغة وميلاد الانسان ..

انني اكتب هذه السطور من خلال معــــايشة كاملة لبطاريات المدافع المضادة للطائرات طوال عامى ٦٩ ـ ٧٠ وخلال حرب ١٩٧٣ ، بقيت التحم بمقاتلى الدفاع الجوى فور وصولي جبهة القتال ولا اقوى على مغادرتهم منذ أن

شهدت بعيني رأسي جنديا فوق مدفعه ، وقد فصلت شظية من قنابل العدو نصفه الاسفل عن نصفة الاعلى ، وما أعظمك يا ربى مانح القوة والرحمة ، يبقى العملاق حيا صارخا بأعلى صوته وقد غطى على صوت تشكيل الطائرات الاسرائيلية .. منصورة يا مصر .. ثم يحمـــله رفاق السلاح أقصد يحملون ما تبقى من جسده ، ليسلم الروح بعد أن علم انه أسقط طائرتين ..

لحظات وأيام من الصعب أن يطلق عليهـــا الانسان أى مسميات ، صنعها نسيج بشرى حى خلاق هادر مقتـدر بالاصالة والخصوبة يعطى كالارض أعظم البطولات ، ويزود رجالنا بقوة خفيـة ترتفع فـوق الزمان والمكان وقدرات البشر .

القائد المصرى

وقامت حرب ١٩٧٣ ، وقال القـائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات فى نهاية ابريل ١٩٧٤ ، وصفه الرائع المشرف لدفاعنا الجوى وقائده ، خـــلال الحـديث الذى أدلى به الى « صـــحيفة الحوادث » اللبنانية :

ـ « هذا تاريخ يجب أن يكتب ، لدى اليوم أداة لحرب الصواريخ التى لم تدخلها بعد أى من القوتين الاعظم ، عندى اليوم قائد مصرى للصواريخ اعتبره بلا مبالغة الخبير الاول فى العالم ، لانه مارس حرب الصـــواريخ بالفعل ، واصبح لديه خبرة قتال فيها ، الآخرون عندهم صواريخ ولكن لم يستعملوها ، وليس لديهم خبرة عملية ، لقـــد اكتسبنا نحن الخبرة فى هذا السلاح خلال حرب الاستنزاف عندما كانت طائرات اسرائيل تضرب بعنف محاولاتنا لاقامة جدار الصواريخ الشهير ، يومها انهينا أسـطورة السيادة

الجوية المطلقة لاسرائيل فى الايام الثلاثة الاولى للقتال ، وخسرت اسرائيل أفضل طياريها وطائراتها على يد مقاتلى سلاح الصواريخ من أبنائى ،وامتلكوا الخبرة القتالية التى لا تقدر بثمن » .

لقد كان حديث القائد الاعلى للقوات المسلحة مدخلا لحديثى مع الفريق محمد على فهمى قائد سلاح الدفاع الجوى ، وأبرز قادة الدفاع الجوى فى جيوش العالم أجمع، وواحد من عمالقة العرب الذين أعطوا شبابهم وأحلى سنى العمر للمدفع المضاد للطائرات ، منذ نهاية عام ١٩٣٩ ، وحتى اليوم يعيش أسعد لحظاته حين يتواجد بجانب بطاريات م - ط ، أو وحدة صواريخ أرض - جو .

وقال القائد معلقا :

- ان حديث السيد الرئيس بهذه الصورة عن السلاح والرجال أرفع عندى من نجمة الشرف والنجمة العسكرية التى أتشرف بحملها .. لقد أدمعت عيناى وأنا أقرأ هذه الكلمات .. انه القائد الأب .

قبل الحرب بفترة قصيرة طلب منى القائد الاعلى ان أستعد لأصحبه فى زيارة لبعض الدول الشقيقة ، وتصورت انه مطلوب منى أن أدرس شيئا ما ، أو ان لى واجبا فى هذه الزيارة يتعلق بالسلاح ، وشعر الرئيس السادات بما يدور فى رأسى ففاجأنى بقوله :

- « اننى أعرف انك فرغت من مهام الاعداد للمعركة بأرقى المستويات ، ليس مطلوبا منك شىء آخر ، لقد أردت ان أمنحك أجازة اجبارية تعوضك عن مشاق الايام الماضية،حتى تدخل الحرب وأنت فى كامل لياقتك البدنية والمعنوية » .

- مرة أخرى ، انه القائد الأب الفياض بأذكى الرؤى وأذكى الحنان » .

والفريق محمد على فهمى من مواليد ١١ أكتوبر عام ٢٠ ومن أبناء مديرية الجيزة ، كان والده وكيلا لادارة مباحث السكك الحديدية ، وتوفى الأب ، والابن فى نهاية المرحلة الابتدائية . فرعاه شقيقه الاكبر الموظف مثل أبيه بالسكة الحديد أيضا وانتقلت الاسرة وهى مكونة من الأم وولداها وابنة واحدة ـ مستشارة اقتصاد منزلى بزارة التربية والتعليم حاليا ـ الى حى العباسية .

وحصل التلميذ « محمد على فهمى » على شـــهادة اتمـــام الدراسة الابتدائية فى مدرسة الحسينية بميدان الجيش حاليا ، والتحق بفؤاد الأول الثانوية ، حيث التقى بالرئيس السادات والســفير حافظ اسماعيل والمهندس سيد مرعى والاطباء أنور المفتى وعلى المفتى ، طلبة فى عام البكالوريا ، حين كان هو بالسنة الدراسية الاولى ..

وتفوق الطالب « محمد على فهمى » وانضم الى كلية الهندسة تحقيقا لرغبة شقيقه الاكبر ، وحصل على ربع مجانية لتفوقه الدراسى،ونجح فى اعدادى الهندسة،ولكنه ما لبث أن عاد وقـــدم أوراقه الى المدرسة الحربية ، ويتخرج فى عام ١٩٣٩ ، دفعة الفريق محمد عبد الغنى الجمسى ، رئيس الأركان .

سلم الخدمة

قلت له :

ـ لماذا .. لماذا لم تستمر بالهندسة ؟ ..

ـ انه الميل الشديد الذى عرف عن جيلنـا نحو العسكرية ، كانت نزعتى للعســكرية المصرية أقوى من رغبتى ونجاحى فى اعدادى هندسة ، وأيدتنى أمى رحمها الله ، ومنذ تخرجت وأنا ضابط مدفعية مضادة للطائرات

ولقد تدرج الفريق محمد على فهمى فى سلم الخدمة

العسكرية من قائد صف ، وهو ما يساوى قائد فصيلة الآن ، الى مســـاعد لاركان حرب آلاى ، فأركان حرب آلاى ، بعدها عمل معيدا بمعهد الدراسات للضباط العظام ، والتحق بكلية أركان حرب مع رفيق الدفعـــة الفريق عبد الغنى الجمسي عام ١٩٥٠ ودرس لهما المشير احمـد اسماعيل فترة من الوقت ، وكان برتبة بكباشي ، عاد بعدها ليتولى أركان حرب لواء مدفعية مضادة للطائرات ، مسئولا عن حماية سماء القاهرة ، وبعد قيام الثورة عين مدرسا بمعهد الدراسات للضباط العظام ، حيث قام بتدريس مادة المدفعية والدفاع الجوى ، لينتقل بعد المعهد الى هيئة عمليات قواتنا المسلحة .

وفى حرب ١٩٥٦ ، تولى أركان حرب العمليات لمنطقـة القناة ، وكان مفروضا أن يتقدم الفريق أول علىعلىعامر بقواته الى سيناء وتبقى منطقة القناة تحت قيادة الفريق فريد سـلامة ، ثم تبدلت الخطط وأسندت الى الفريق فريد سلامة مسئولية الدفاع عن سلامة العاصمة .

وفى عام ١٩٥٧ ــ عاد الى سلاحه الاول وتولى قيـادة فوج مدفعية ميم ــ ط ، ثم قائدا للواء مدفعية ، فرئيسا لاركان فرقة ، حين أختير ليلتحق ببعثة عســـكرية الى الاتحاد السوفييتى عام ٦٣ــ٦٤ ، أول بعثة مصرية تضم قادة الدفاع الجوى ، وقد درست عاما ونصف عام فى اكاديمية كالينين العســـكرية بين لينينجراد وموسكو ، وكانت دراستها تمثل مختلف مستويات أسلحة الدفاع الجوى وجميع عناصره ، من صواريخ ورادار ومدفعية الكترونية ومقاتلات .

وقبل ذلك ، عام ١٩٦١ ، كان الفريق محمد على فهمى رئيسا للجنة تنظيم وتدريب الوحدات المخصصة للعمل على الصواريخ ، وعملت اللجنة فى سرية شديدة ، ظهرت بعدها

فجاة تجمعات الصواريخ م ـ ط حول أهدافنا الحيوية .
وبعد عودته من روسيا عهد اليه بقيـــادة أكبر فرقة عسكرية للدفاع الجوى ، تقوم بحماية سماء القاهرة .
وقد أصدر الفريق محمد على فهمى ، عدة مؤلفات ، فكتب كتابا من جزئين من حملة فلسطين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ثم أصدر كتابا ثانيا بعنوان أحلاف وأحلاف ، وكتابا ثالثا « ألمانيا تهدد السلام » ثم أصدر جزئين لكتابه « ألمانيا بين الشرق والغرب » فكتاب القومية الافريقية ، بخلاف الكتب العسكرية الخاصة بتنظيم وادارة عمليات الدفاع الجوى عن الدولة . وهى كتب تصدر على مستوى القوات المسلحة فقط .

معركة ١٩٦٧

قال لى القائد ، وهو يتحدث عن معركة ١٩٦٧ :
ـ لقد خرجنا من هذه المعركة بدروس كبيرة ، كانت المنطلق لنا فى سنوات الصبر والصمت ، ثم فى تحقيق النجاح الذى أحرزناه عبر معركة أكتوبر ١٩٧٣ ، وتاثيرها العالمى .
وهناك قول عسكرى يحضرنى الآن .. « ان الحرب .. تعلم الحرب » .
ان نتائج يونيو ١٩٦٧ ، دفعتنا الى ايجاد العمل القائم على التخطيط ، التخطيط الذى يحقق لقواتنا نجـــاحا أكيدا ، نجاحا ليس مشكوكا فيه ولو واحد فى المائة ، نجاحا ليس عفويا ، نجاحا قائما على الاداء والايمـــان والتدريب الجيد ، وقد ظهرت بوادره فى معارك الدفاع ضد طائرات العدو خلال النصف الاخير من عام ٦٩٠ وعام ١٩٧٠ ، حين بدأنا فى حرمان العـــــدو من حرية الحركة والسيطرة الجوية التى امتلكها بعد ١٩٦٧ ، فوق سماء

سيناء أو غرب القناة ..

هامش :

« كان اللواء محمد على فهمى فى مرحلة حرب الاستنزاف رئيسا لاركان الدفاع الجوى ، وفى عام ١٩٦٩ ، أنشىء السلاح كسلاح مستقل بين أسلحة قواتنا المسلحة وأصبح الرجل أول قائد له » .

قلت :

ـ بعد أن تساقطت طائرات اسرائيل بالعشرات مع بداية النصف الثانى من عام ١٩٧٠ ، كتب صحفيون من الغرب يقولون ان سلاح الدفاع الجوى المصرى نشر احساسا رهيبا بالرعب لدى طيارى اسرائيل ، وان هــذا السلاح المصرى لم يهزم قط من قبل وانه يتمتع بكفاءة عالية .. منذ الاربعينات .

ولم يتركنى القائد لاسترسالى حين قال :

ـ عدد كبير جدا من كبار ضباط الدفاع الجوى عاش تجربة الحرب العالمية الثانية ، وهى تجربة غنية بالنسبة لنا ، كان الالمان يركزون هجومهم بالطيران على الصحراء الغربية والاسكندرية ، واشترك ضبــاطنا المصريون فى اسقاط الطائرات الالمانيــة يوما بعدآخر ، بل أذكر ان وحدتى كانت تتلقى يوميا خطاب شكر وثناء من القيادة البريطانية على العمل واليقظة والكفاءة التى نبذلهـــا ضباطا وجنودا فى افشال جميع هجمات الطيران الالمانى والايطالى أيضا ، وكانت المدافع التى نستخدمها بدائية « ٣ بوصة ثم ٣٫٧ بوصة » .

لقد كان لنا فى هذه الحرب شهداء ومصابين بعــاهات مستديمة ، وذلك لان المدفعية المضادة للطائرات هى السلاح المصرى الوحيد الذى اشترك اشتراكا فعالا وايجابيا فى فى الحرب العالمية الثانية ، وخرجنا بأحسن الخبرات .

ـ قبل عام ١٩٤٠ ، أين تدربتم ؟

ـ فى مدرسة المدفعية المصرية المضادة للطائرات حيث حصلت مع زملائى على فرقة عسكرية كاملة ، وكانت هذه الدراسة سبيلنا الى السيطرة والجهد والتضحية التى قدمناها ونحن نسقط طائرات المحور ، وقرب نهاية الحرب عام ١٩٤٥ ، حصلت على فرقة عسكرية دراسية لدى الجيش البريطانى فى حيفا ، فرقة قادة بطاريات مدفعية م ـ ط .

المثل والدليل

وفى حرب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، أستطيع أن أقول بكل الطمأنينة ، ان المدفعية المضادة للطائرات أدت دورها بأقصى الامكانيات المتاحة لها ، وكان اداؤها شرفا للعسكرية المصرية ، وفى حرب الاستنزاف ، أعطت المثل والدليل على اقتدارها وصمودها وكفاءة مقاتليها .

لقد قرأت مقالا لاحد الصحفيين الانجليز يتحدث فيه عن الدور البارز وفاعلية المدفعية المضادة للطائرات المصرية أثناء عدوان ١٩٥٦ ، فاذا به يقول ان قادة هذا السلاح من الضباط المصريين يتمتعون بخلفية متفوقة من امكانيات التدريب لانهم عملوا فى بداية حياتهم مع ضباطنا الانجليز بالصحراء الغربية أيام الحرب العالمية الثانية ، وحصلوا منهم على الخبرة الراقية ؟ ..

لقد عجزوا عن انكار سيطرة السلاح المصرى ، فاذا بهم ينسبون اقتداره للخبرات التى حصلنا عليها من ضباط عام ١٩٤٠ !! ..

صحفى آخر كان قد أشاد بالدفاع الجوى المصرى من قبل ، كتب عام ١٩٧٣ قبل حرب رمضان بأسابيع .. ربما فى مجلة نيوزويك ، على ما أذكر ..

كتب يقول :

ــ « ان قوات الدفاع الجــوى المصرى دون المستوى المطلوب لشن حرب ضد اسرائيل ، وحالة السلاح بعــد خروج الخبراء السوفييت اصبحت ضعيفة وسيئة للغاية ولذلك فمن المستبعد أن تقـــوم مصر بأى هجوم ، حتى لا تكتسح اسرائيل طول وعرض البلاد المصرية .. »

مثل هذه المقالات وهى جزء من الحرب النفسية المخططة ضدنا ، صدقها العـــــدو نفسه وقبع مطمئنا على ضوء تقـــديراته فى عام ١٩٦٧ ، وهى تقـــــديرات مبنية على افتراضات خاطئة ، ذلك لانه افترض أن الجيش المصرى حارب وانهزم .. وهذا لم يحدث ، وأصبح واضحا ان الموقف فى صالحنا فدعمنا كل الظواهر التى تشير الى عدم قدراتنا على الدخول فى حرب هجومية ونمت بذلك أفكارهم التى تقول بانتصارهم الاكيد ، مما ســـــاعدنا على تحقيق المفاجأة للعدو وللعالم أجمع ..

كان من عوامل النصر اكتشاف ودراسة أساليب وسلوك وحيل العدو فى سلاحه الجوى ، وبذلنا الجهد المتصل لاستنباط الوسائل المضـــــادة سواء بتطوير السلاح أو تطوير استخدامه ، وللحقيقة تعتبر مرحلة الاستنزاف فترة تدريب عملى واقعى تحت ظروف الحـــــرب الحقيقية بمعاركها اليومية مع الطائرات الاسرائيلية ، أرقى التدريب فعالية، فتطعمنا للمعركة الكبرى ، وامتلكنا خبرة التخطيط، وأثبت التخطيط فى عمليات صغيرة قمنا بها نجـــــاحا باهرا برز فيه عنصر الذكاء المصرى ، ومن هذه العمليات اسقاط معمل الاستطلاع الطائر « الطائرة ستراكوزا » عام ١٩٧١ وهى طائرة أمريكية من أحدث طائرات الاستطلاع ، ومن الصعب اصـــــابتها لما تقوم به من أعمـــال تداخل الكترونية ، ولم يكن اسقاط هذا المعمل محض مصادفة

بل نتيجة اعداد وخطة وكمين للعدو ، وقد أطلقنا عليها عملية ٢٧ رجب ، وأسقطناها فعلا فى هذا اليوم ، ومنحنى القـائد الأعلى فى سبتمبر عام ١٩٧١ ، وسام النجـمة العسكرية .

هامش :

مجلة « أفيشن ويك » العالمية نشرت فى عددها الصادر يوم ١٦ نوفمبر عام ١٩٧٠ ، احصائية ومقالا عن خسائر اسرائيل فى حرب الاستنزاف ، وعن المرحلة ما بين يناير ومايو ١٩٧٠ فقط ، قالت ان الطـيران الاسرائيلى خسر « ٦٦ » طائرة فانتوم وسكاى فى تلك الفترة ، فضلا عن الطائرات المصابة التى لم تسقط أو تنفجر فى الجو .

قلت لقائد الدفاع الجوى :

هل توارى دور المدفع المضاد للطائرات أمام الصاروخ مفاجأة حرب أكتوبر ؟ ..

لا .. لقد قام رجال المدفعية بمختلف أعيرتها بدور كبير أسقطوا خلاله طائرات العدو فوق الكبارى ، وفى عمق سيناء ، الصواريخ أصبحت أكثر تقـدما وأكثر دقة فى اسقاط الطائرات ، وستظل المدفعية نوعا من أنواع التكامل فى أسلحة الدفاع الجوى ، وان كانت قد احتلت المرتبة الثانية فيها .

غير أننى أحب أن أشير الى مسألة هامة ، وهى انه ليس المدفع أوالصاروخ بل الرجل الواقف خلف المدفع ، ان المقاتل المصرى هو مفاجأة حرب أكتوبر ١٩٧٣ ،بمستوى تدريبه واقتداره وايمانه .

صحيح انضم الى الدفاع الجوى منذ نشأة الصواريخ العنصر المتعلم تعليما عاليا وثانويا ، لمواجهة المعـدات الالكترونية وتفهم استخدامها ، فى النهاية لابد من تسيد هذا العنصر على المعدات الالكترونية بمستوى ايجـابى

رفيع : لابد من تسيد المقاتل على المعدة ، الصاروخ أو المدفع ، حتى نحقق المفاجأة والمبادأة دائما .. ومن هنا .. وبهذا الشكل المحدد من التخطيط المصرى البحت : سيطرنا على شرق القناة ومنعنا استطلاع العدو جـوا . ووفرنا لقواتنا البرية المنـــاخ اللازم لتعد تحضيرات الهجوم ، بعيدا عن ملاحقة طائرات الاستطلاع الاسرائيلية .

ولقد أعلن الامريكان فى « الصنداى تايمز » ولو ان عائلة سام .. يقصدون وحدات الصواريخ سام أرض ـ جو » أمكنها أن تحرم طيران اسرائيل من العمل ، الا أن أمريكا اطلقت القمر الصناعى « ساموس » يوم ٢٨ـ٩ـ١٩٧٣ وأمكن أن يكتشف تحضيرات الهجوم المصرى ، غير ان الامر انتهى الى ما صوره دكتور هنرى كيسنجر بقوله « كان من الصعب أن نكتشف النوايا ، رغم ما قدمته المعاونة الامريكية والقمر الصناعى »

سام ٦ و ٧

عدت أقول :

تحدث العالم عن الصاروخ الجـــديد المضاد للطائرات « سام ٦ و٧ » الصاروخ الصغير الذى حمله المقاتل المصرى فوق كتفه وسيطر به تماما على سماء سيناء وغرب القناة .. هل نستطيع أن نتحدث عنه بعيدا عن اعتبارات أمن السلاح ؟ ..

أجاب القـائد :

.. ـ كما قلت لك سواء كان الصاروخ الفردى أو الصاروخ الذى تقوم مجموعة من الافراد بتشغيله هو الذى اشترك فى حرب رمضان فانه لم يكن ليحقق هـذه النتائج بدون المقاتل سيد الصاروخ ، بثبات أعصابه ، بتدريبه ، بارادته

الحديدية ، بمستواه القتالي ، بشرعية معـــركته . ان الصاروخ الفردى يحتاج الى اكفأ الرجال لانه يتعامل به فى ثوان لا دقائق .

كذلك الأمر بالنسبة للصواريخ الاخرى ، لابد ان يكون الاداء فى مسرح المعركة قائما على سيمفونية أو هارمونية واحدة ، أى مقاتل يشذ أو يقـــاتل بمستوى أقل من الآخرين ، تظهر النتيجة فورا فى السماء .

لقد استخدمنا فى حرب رمضان جميع أنواع الصواريخ الخفيفة والثقيلة والمتحركة وبعيدة المدى ، وكان دفاعنا الجوى متكاملا وغطى جميع الارتفاعات ، ولم تكن هناك أدنى ثغرة .

فى مرحلة اقتحام القناة واحتلال رءوس الكبارى أمكن لوحدات الدفاع الجوى تحييد الطيران الاسرائيلى تحييدا تاما ، ووفرت بذلك الوقاية التامة للقوات البرية ، وحماية المعابر فتمكنت قواتنا من القيام بعمليات كاسحة على طول المواجهة ، وفقد الطيران الاسرائيلى خيرة طياريه خلال الايام الاولى للقتال .

لقد عبر مقاتل الدفاع الجوى قنـــاة السويس ظهر ٦ أكتوبر ليوفر الحماية بأقصى مدى فى شرق سيناء ، ثم دفعنا عناصر من السلاح عبر المراحل المتقدمة لرءوس الكبارى ، فى عمل الارض التى حررتها قواتنا .

وطوال الايام الاولى للقتال حاول العـــــدو تدمير مطاراتنا الامامية ، واسقطت دفاعاتنا الجوية طائراته، وقال احد الاسرى من طياريه :

ــ ان قيادتنا قررت عـدم الهجوم على مطـــاراتكم لـكثافة دفاعات الصواريخ م ــ ط عليها ، ولفشلنا فى غلق مطـار مصرى واحد .. كنا نبلغ بتدمير المطـــارات المصرية ونتصور اننا أغلقناها تماما ، واذا بها تعود للعمل

بعد ساعة زمنيــة واحدة أو ساعتين على الاكثر ، وتعود الطائرات المصرية للاقلاع عنها !

وقال الاسير أيضا : « ان خسائرنا التى لم نعوضها هى فى الطيارين ، وليست فى الطائرات ! !

لقد حاربنا وهاجمت طائراتنا القوات الاسرائيلية ، ومطاراتنا دافعنا عنها بأقسى الحماية بواسطة شبكات الصواريخ ، واكتشفنا ان العدو يجهل الكثير عن الدفاع الجوى المصرى ..

استخدم العدو جميع أنواع التداخل الالكترونى المختلفة ضدنا ، ورغم محاولاته ومعداته المتقدمة الا ان طائراته كانت تتساقط متفجرة ، فأخذت القيادة الاسرائيلية تتشكك فى فاعلية أجهزة التداخل التى تملكها ، وأعلنت امريكا بعدذلك انها ستجرى تعديلات وتحسينات على وسائل الاعاقة والتداخل التى انتجتها حديثا ، وقال وزير دفاع امريكا انه قدم تقريرا الى وزراء دفاع حلف الاطلنطى ، وتقريرا ثانيا الى اللجنة التخصصية فى البيت الابيض ، لتطوير الاسلحة الالكترونية على ضوء تجارب ٦ اكتوبر ..

قلب النظريات

عاد الفريق محمد على فهمى يقول :

ـ يمكنك ان تكتب ان مقاتل الدفاع الجوى المصرى قلب النظريات العسكرية التى نادت بها امريكا رأسا على عقب ومن بينها النظرية التى تعطى الاسبقية الاولى فى الدفاع الجوى للمقاتلات دون الوسائل الارضية من الصواريخ أرض ـ جو وان اسرائيل بنت قواتها معتمدة على الطيران والدبابات ، فاعددنا السلاح المضاد الذى حطم استراتيجية اسرائيل ، وعادت امريكا لتعترف بأن

النيران الارضية يمكنها تحييد الطيران أو النيران الجوية كما فعلت القوات المسلحة المصرية ، وهى النظرية التى فرضها مقاتل الدفاع الجوى بقتاله وتضحياته ..

ان قوات دفاعنا الجوى أجرت فى حرب رمضان أول اختبار عملى على السلاح الحديث ، لم يقم أحد من قبل باستخدامه ، حتى فيتنام لم تكن لديها هذه الكمية من السلاح أو هذه النوعية المتطورة منه ، فضلا من اختلاف المسرح العسكرى فى سيناء عنه فى فيتنام.

كانت تقديراتنا وتقديرات العدو مقامة وفق نظريات، وليس لها سابق تجربة .

غير ان الحروب الحديثة تأتى بنتائج حقيقية لتأثير السلاح .. فمعظم الاسلحة التى أنتجتها كبرى الدول يقومون بتجربتها فى ميادين الرماية العادية ، وقد تصوروا ظروف معركة ، وعلى أساسها يجرون التعديلات ..

ان الحروب الحقيقية تأتى بنتائج غير متوقعة . ليس من السهل التنبؤ بها أثناء التجارب الميدانية ، فالسلاح فى يد مقاتل يختلف فعالية فى يد مقاتل آخر .. كذلك من مسرح قتال لآخر .

وهذا ما اكده واعطاه فى معظم اشكاله ، مقاتل الدفاع الجوى المصرى .. العملاق .

الدفاع الجوى والمفاجأة

سيظل قتال قوات دفاعنا الجوى من بطاريات الصواريخ أرض - جو ، والمدفعية المضادة للطائرات الى جانب طيارى قواتنا الجوية ، مقاتلى الطائرات الاعتراضية والقاذفة ، فى حرب اكتوبر المجيدة ، ملحمة بطولية تتغنى بها الاجيال .

لقد تفوق العمالقة بايمانهم ، بتدريبهم ، بقدراتهم العلمية والالكترونية ، على طيارى اسرائيل واحدث معدات التسليح فى الطائرات الامريكية ..

وتساقطت طائرات اسرائيل منذ ظهر اليوم الاول للحرب ، وسقطت الاسطورة .. اسقطها العملاقان مقاتل الدفاع الجوى ، والطيار المقاتل فى أبرز معارك العصر ..

الدفاع الجوى بالمقاتلات ..

وكتبت الصحافة العالمية تعليقاتها عن فاعلية الدفاع الجوى المصرى « الغابة الكثيفة من الصلب » و« حائط الصواريخ الرهيب » . وقالت جولدا مائير فى الكنيست الاسرائيلى « ان الصواريخ المصرية كعش غراب مشئوم كلما ضربنا احداها نبتت أخرى » .

هذه التعليقات جاءت بعد أن حقق الدفاع الجوى المصرى مفاجأة مذهلة فى حرب أكتوبر أذهلت العدو وأفقدته توازنه واصابته بخسائر فادحة فى سلاحه

الجوى المتطور الذى وضعت فيه اسرائيل كل أملهـا وقد أطلق عليه موسى ديان « ذراع اسرائيل الطويلة » ..
لقد بتر دفاعنا الجوى هـذه الذراع .. ولم يكن ذلك بالطبع نتيجة للمصادفات بل جاء محصلة محسوبة لجهد الرجال وفكر العلماء المصريين .. ان وراء ذلك كله قصة رائعة توجت تاريخ العسكرية المصرية .

أول : هذه القصص تكمن فى بطولة الشعب كله لان الدفاع الجوى سلاح متطور علميـا وتكنولوجيا ولم تحصل عليه الا باصرار الشعب على امتلاك هـذه الاجهزة التى تمثل شبكة الـكترونية متكاملة وهذا يعنى ان بلادنا من الدول المتطورة فنيا واقتصاديا ، وهـذا الانجاز الضخم هو وفاء من القوات المسلحة للشـعب الذى وفر لها مثل هذه المعدات الحديثة .

وثانيا : فان الصواريخ سلاح الـكترونى معقد يواجه سلاحا جويا متطورا يملـكه العدو ويزيد من تعقيـد المواجهة تلك التعديلات المستمرة والتطوير الدائم الذى يدخله العدو على أسلحته الجوية وهى عملية سبـاق فى العلم والتكنولوجيا .. ولذلك دخلت فى هذا السباق كل مراكز البحث العلمى فى بلادنا التى وقفت الى جانب الدفاع الجوى برجالها وعلمائها وبحوثها .. ومما أعطى لهذه البحوث قيمة تطبيقية ذلك المقـاتل الواعى الذى استوعب تـكنولوجيـا العصر ..

ثالثا : ان الصواريخ المصرية كانت فى دشم حصينة من تصميم وابتكار العقل المصرى وبلغت قدرتها التحصينية حدا أذهل خبراء حلف الاطلنطى وحلف وارسو وسارع الخبراء فى الحلفين الى استخدام مقاييسها وتصميماتها فى اعادة بناءدشم قواتها سواءكانت للطائرات أوللصواريخ، وبهذه المناسبة فان كل مصرى يحنى راسه تقديرا واجلالا

لعمال البناء المصريين الذين بذلوا الجهد والعرق والدم لمساعدة المهندسين ورجال الاشغال العسكرية فى بنـاء هذه الترسانات الضخمة .

رابعا : اكتسب الدفاع الجوي خبرة قتالية بدأت بدرس الصمود الرادع الشجاع فى الجزيرة الخضراء عام ١٩٦٩ وهذه التجربة الناجحة اثبتت قدرة المقاتل المصرى على الصمود فى ظل أسوأ وأعنف الظروف لحماية قطعة أرض جرداء فى الجـزيرة الخضراء تحت كميات ضخمة من النيران .. والتجربة السابقة هى التى الهمت الرجال أعظم الصمود فى ظل اقسى الساعات خلال حرب رمضان المجيدة ..

حينما رئى اقامة شبكة الصواريخ استخدم اسلوب النطاقات أو المراحل وبدأت المرحلة الاولى سنة ١٩٦٩ للدفاع عن القاهرة وبعدها نطاق الجبهة ثم أقيم النطاق الثالث للحد الامامى لقوات العدو .

تمت هذه الجهود تحت قصف يومى مركز من العدو لدرجة انه كان يهجم باعداد هائلة ، وكما قال الرئيس السادات فى مجلس الشعب أنه كان يهجم بالطائرات على الموقع الواحد بأعداد تصل الى ٢٦٩ طائرة وكان يلقى بكميات خيالية من القنابل والصواريخ ولـكثافة القصف لم يكن فى حاجة الى التنشين ، وكل ذلك بدافع الاضطراب والخوف بعد اقامة هـذه القواعد . وكان صمود الخط الثانى من يونية ١٩٦٩ الى ديسمبر من نفس العـــام وعندما أمر الرئيس السادات وكان يومئذ نائبـا لرئيس الجمهورية فى ٢٥ ديسمبر بالمواجهة الشرسة لطـائرات العدو . فأسقطنا الفانتوم . بعد ذلك بدأت مرحـــلة جديدة الى يونية سنة ١٩٧٠ وهى مرحلة تساقط الفانتوم وأسر طياريها مما صدم العـــدو فبدأ قادته منذ يونية الى

توقف اطلاق النار فى تطوير سلاحهم الجوى واستخدام أساليب وأجهزة مستحدثة ومع ذلك أسقطنا له طائرة الاستطلاع الالكترونية « ستراتوكروز » وفشل هجـــوم العدو بصواريخ « شرايك » جو ــ أرض ــ وجن جنون العدو وأصيب بخيبة الامل فتحول من الخيلاء والغرور الى أسلوب جديد وبدأت سلسلة الشكاوى الى مجلس الامن من حائط الصواريخ المصرى الرهيب .. لقد حول دفاعنا الجوى تبجح اسرائيل وعدوانها الى الشكوى ..

وخلال فترة وقف وامتناع النيران بدأ المقـــــاتلون سباقا رهيبا مع الزمن لالتهام المعلومات الفنيـــــة والتكنولوجيا بثبـــات واصرار .. واكتملت حـــوائط الصواريخ .

وخلال فترة بناء هذه الترسانات الهائلة للصـواريخ كان هناك جهد آخر شاق وعبء دفاعى كبير على كاهـل ابطال المدفعية المضادة للطائرات لحماية سماء مصر .. والدفاع عن انشاءات الصواريخ أثنـاء التشييد وأدى الرجال واجباتهم بأمانة واقتدار خلال مرحلتى الصـعود والاستنزاف والى الآن وكما قال الرئيس الســـادات فى أحد مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى : « لقـد أدى رجال المدفعية المضادة للطائرات دورا تاريخيا خالدا فاذا ما انتهت الغارة كان يوجد الجندى وهو يمسك بمدفعه .. اذا احترق المدفع احترق معه » .

كل هـذه الجهود مكنت الدفاع الجوى من القيـــام بواجبـاته القتـالية والدفاعية بصورة اذهلت العـدو والصديق خلال حرب اكتوبر .. وكان من مهامه حماية المعابر ورءوس الكبارى للجيوش وقيـام دفاع جوى متحرك اثنـاء تطوير الهجوم لحماية المدرعات. ومن مهامه أيضا قيام دفاع جوى استراتيجى لحماية القـــوات

المسلحة فى الجبهة وحماية انحاء الوطن .

ونتذكر الان تصريحات قادة اسرائيل وموسى ديان عندما قال ان اسرائيل ستقضي على الهجوم المصرى فى ساعات وكان ديان يتحدث وهو يضع فى اعتباره اسطورة الطيران الاسرائيلى وبالفعل بدأت أسراب الطائرات الاسرائيلية تتابع فى موجات منذ يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ وتصدت لها شبكة الدفاع الجوى الحديثة بجميع اعيرتها ونظمها وتحطمت طائرات العدو .. وكما قالت الصحافة العالمية « تساقطت كالذباب .. »

ولا ينسى الرجال جرعات الامل الكبيرة وشحنات الحماس والتشجيع من زيارات الرئيس السادات لهم اثناء عمليات الاعداد الشاقة والتدريب القاسى ، وقد يبقى بينهم عدة أيام حتى اثناء الاعياد .. ولا ينسى الرجال احتضان الرئيس لقادة الدفاع الجوى ضمن قادة القوات المسلحة ومنحهم الامكانيات لتنفيذ أفكارهم مما جعل الدفاع الجوى يتألق عاليا فى حرب أكتوبر ..

عبور الصواريخ واحتلالها مواقع شرق القناة يعتبر فى حد ذاته قصة ممتعة وفى نفس الوقت قصة من أروع نماذج البطولة .. وخصوصا عندما نعرف ان الوحدة الواحدة من الصواريخ تتكون من عربات ثقيلة وجرارات يصل بعضها الى وزن دبابة وهى تسير على عجلات وليس على جنازير مما يجعل حركتها على الرمال وخصوصا رمال سيناء الناعمة أمرا صعبا يقارب المستحيل ..

كان من الضرورى ان يسبق يوم ٦ أكتوبر بشهور طويلة تقديم أفكار لعبور وحدات الدفاع الجوى .. وخصوصا الصواريخ وبالفعل وضع الفكر العسكرى المصرى كل تصوراته للمعركة وخلق هذا الفكر المبتكر أسلوبا جديدا وهو لم يكن بالامر الهين اذا وضعنا فى

الاعتبار قوة العدو الجوية الكبيرة المتطورة وطائراته الفانتوم الحديثة وطياريها المدربين على الطيران المنخفض الى ارتفاع يصل حتى ٣٠ مترا فقط .. هذا مع قلة الطرق فى سيناء ورمالها الناعمة .. واستلزمت هذه الظروف تعديلات وتجهيزات كثيرة واستلزمت تدريبا خاصا وقاسيا للقيام بمهامها المنتظرة ليلا ونهارا ..

كان المطلوب عبور وحدات الصواريخ الى الشرق من اتجاهات مختلفة وتوقيتات مختلفة .. وللحقيقة وللتاريخ كان قادة الدفاع الجوى الكبار جميعا على رءوس المعابر .. وكل قائد منهم على معبر يقوم بمهام مثل أى مقاتل فى التحميل والتفريغ والسير ..

وقصة العبور فى حد ذاتها تحمل عشرات المواقف البطولية الرائعة .

ركز العدو قذائف مدفعيته من جميع الاعيرة على المعابر التى كان مقررا أن تعبر عليها وحدات الصواريخ وكان ذلك اكثر تكثيفا فى الموعد المحدد للتحرك وزاد من تركيز قذائفه بجنون هستيرى وردت عليه مدفعيتنا لاسكاته وتحولت المنطقة كلها على شاطىء القناة الى كتلة مشتعلة من اللهب وكأنها الجحيم بعينه وفى وسط الجحيم بدأ عبور الصواريخ الاسطورى .

الى سيناء

حدث اثناء العبور أن أصيب الجزء الخلفي لاحد الصواريخ من مدفعية العدو المسعورة وتدفق السائل الصاروخى وأصبح الموقف فى غاية الخطورة انه يهدد بانفجار رهيب يؤدى الى نسف المعبر باكمله وبتدمير كل الوحدات القائمة بالعبور فى تلك اللحظة .. وببطولة خارقة تقدم أحد المقاتلين الى الصاروخ وفصل رأسه

المدمرة عن جسمه ويعـد هـذا العمل الفدائى معجزة تفوق شهرة اليابانيين فى الاعمال الانتحارية . ان مقاتلنـا البطل يدرك تماما وهو يقوم بعمله ان الصاروخ المشتعل يمكن فى اى لحظة ان يحدث انفجارا رهيبا .. ومع ذلك تقدم بكل ثبات وأدى عمله بنجاح ..

وحدث أثناء عبور الصواريخ على معبر آخر بالناقلات الطويلة ان تبـدد السكون المؤقت بدوى دانات مدفعية العدو مستهدفة المعبر ولم يتوقف مقاتل واحد .. بل استمروا جميعا باصرار عجيب فى تحركاتهم المرسـومة وكانت عناية الله تحرس الرجال وتؤكد ان الله لا يترك المؤمنين البواسل .. وتناثرت القذائف فى كل اتجاه .. وأصابت كل حجر فى المنطقة الا المعبر والالات الفتاكة.. ورأيت بعينى أبطالنا الشجعان وهم يهتفون بايمان رائع « الله أكبر .. الله أكبر » ورأيتهم يقومون بكل المهـام تحت رذاذ المـاء المتطاير وسحب الرمال وكل منهم يبتهل الى الله .. جنبا الى جنب كان الدعاء من المقاتلين الاشقاء المسلمين والمسيحيين ، وسلم المعبر .. وعبرت وحدات الصواريخ بأمان ..

وحدث على معبر ثالث أثناء عبور الصواريخ ان وقعت دانة على احدى ناقلات الصواريخ وأصابت عجلاتها .. فاحترقت تماما وبقى الصاروخ سليما من غير أضرار .. ولـكن قافلة العبور توقفت وأجريت محاولات لسحب الماكينة المصابة التى تحطمت عجلاتها وفشلت كل المحاولات وكان الموقف خطيرا لاستمرار قصف العدو على المنطقـة واحتمالات كارثة تسحق المكان تزداد مع الدقائق والثوانى فانفجار الصاروخ شىء مروع وخصـوصـا فوق المعبر المزدحم بقوافل فى الطريق الى سيناء مكان ضيق لا يسمح بالمناورة والتقهقر الى الخلف أو اجتياز الناقلة المصابة .

أى ان القوافل كانت تقف فى انتظار رحمة السماء ، وتقدم مقاتل ومعه معدات خاصة به وهى من ابتكاره الشخصى وتحت القصف المروع قام برفع الصاروخ الضخم وأصلح الناقلة وأعاد تحميل الصاروخ .. واستمر تدفق القوافل

البطل وفائى

نعود الى قواتنا الجوية ، وابطالها ـ ومنهم من حاز نجمة سيناء ـ الى احدهم ، المقاتل وفائى واحد من ابطال الدفاع الجوى فوق المقاتلات .

طيار بطل ، من ابناء الارادة المصرية جيل سنة ١٩٤٥ وأب لطفل فى عامه الخامس .

فى كل مطار ، كانوا دائما يشيرون اليه ، الى نشاطه المتوهج ، وطاقته المتجددة دائما ، وتفانيه فى أداء عمله، وابتسامته التى لا تفارق وجهه رغم قسوة الايام والظروف التى واجهها فى طفولته ، ومرارة الفترة التى عشناها وطعم العلقم يملأ أفواهنا ، والالم يعتصر قلوبنا ، ويمزق شبابنا ، وكان « وفائى » فى تلك الايام طيارا صغيرا ناشئا خلال حرب سنة ١٩٦٧ ، ولكنه مثل كثير غيره لم يتخبط ، لم يتجمد ، لم يفقد ايمانه وحماسته للرؤيا الصحيحة ، لم يجر وراء سراب الوهم أو خداع الفراغ ، ولم يقدم على خطوة واحدة تطيش فى غير الاتجاه السليم ..

بقى مؤمنا بأن المعركة لم تنته ، وعليه ان يعد نفسه لجولة اخرى ، ليس أمامنا غيرها بديل .

وبدا طريق الميلاد الجديد ، وقبول رجالنا وشبابنا من أبناء القوات المسلحة بكل مشاقه ومخاطره ، ولكم تحملوا وذاقوا من ألوان العذاب والقلق ، حتى جاءت اللحظة الخالدة ، وخلف القيادة الواعية المؤمنة قاموا

بحرب سنة ١٩٧٣ ، وكان قتالهم دليلا حيا على صدق دعواهم ، وجدوى استعدادهم ، فأحالوا العقم الى خصوبة ، والمرارة الى حلو الامل ، وعاش شعبنا فجره الجديد ..

شاغلهم الوحيد ..

اذا كانت عقولنا خلال السنوات الست الماضية قبل اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، قد ازدحمت بالام وأحلام الثأر وغسل العار ، فعقول قلوب مقاتلينا فى الجو والبر والبحر ، عاشت الثأر « كل لحظة » من هذه الفترة الطويلة ، كانت حياة كل منا الخاصة تشغله أحيانا عن المعركة والثأر ، ولكن مقاتلينا ، أبناءنا ، اخوتنا ، الذين ارتدوا الزى العسكرى ، أشرف زى ، كان التدريب والتحصيل ، والاستعداد للمعركة ، هو نهارهم وليلهم ، واجبهم وشاغلهم الوحيد .. القتال ولا شىء غيره .

يقول لى البطل طيار وفائى :

ـ قبل أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، كنت أخجل من زوجتى وأكاد أصاب بالشلل أمامها حين تسألنى :

ـ ألم يحن الوقت بعد ، لنلقن اسرائيل درسا ، وهى تعتدى بالطائرات والدبابات هنا وهناك ؟

وكثيرا ما فضلت البقاء فى القاعدة الجوية رافضا قضاء اجازتى القصيرة الممنوحة لى بين أسرتى ، حتى لا تقتلنى تساؤلات أبى واخوتى ونظراتهم لى .. كنت اشعر انهم يتعجلون القتال ، وأفهم جيدا لهفتهم على الثأر والنصر ، وكيف تنسيهم هذه اللهفة اننا لا نستطيع ان ندخل معركة سريعة لنخسر مرة اخرى ، وأن شعار « الصبر والصمت » الذى نادى به القائد الاعلى الزعيم الرئيس انور السادات ، هو حقيقة كبرى نصنعها كل

يوم فى الميادين العسكرية بالتدريب ، وامتلاك الاسلحة ، وقطع الغيار ، وتوفير الذخيرة ، والاستعداد للخطة المصرية ، وان بعضنا يدفع حياته فى برامج التدريب بالذخيرة الحية من أجل اليوم الذى انتظرناه جميعا ، الجيش والشعب .

هل تعلم شيئا ؟

ــ لقد ظل أبى طريح الفراش عدة سنوات ، واتذكره وهو يقول لى وأنا أودعه حين اغادر البيت الى قاعدتى الجوية ، وأوصيه بتناول الدواء ..

ــ لا تخف يا وفائى ، ان الله لا يرفض لى دعاء ، لقد دعوته حين أنجبتك وانا الموظف الفقير البسيط ، ان يجعلنى قادرا على تربيتك احسن تربية ، وحقق لى امنيتى ، بل مدنى بالعون على تربية اخوتك التسعة ايضا .. ومنذ مرضت ولازمت الفراش دعوته ان يمد فى عمرى حتى يحارب جيشنا وينتصر ، وحتى أراك وقد حققت انت وشقيقك بطولة فريدة كعهدى بكما دائما ، وانا واثق بأن الموت سيتركنى حتى يهدأ قلبى ويطمئن على مصر .

ومسح البطل دمعة تسللت الى وجهه ، وتحشرج صوته ، وقال وهو يعبث فى جيوبه :

ــ ولقدكرمه الله ، مات بعد ثلاثة أشهر من انتصارنا ، وكم كان سعيدا كالاطفال بالنصر الذى حققته قواتنا ، وبالطائرات الاسرائيلية التى اسقطناها فى معاركنا الجوية وبأخى المقاتل فى سلاح المهندسين ، بل ان النصر جعله يغادر الفراش ويسترد صحته عدة أسابيع ، ويبذل من الجهد ما كان يعجز عنه قبل عشرة أعوام ، كان فخورا بأبوته لاثنين من المقاتلين ..

نعم ــ أنجب ذلك الرجل البسيط ابن اخميم ، مركز سوهاج ، والموظف الصغير باحدى الوزارات ، والممتلىء

وطنية وايمانا ، والمزود بالشرف ، والمعتصم بالدين ، انجب بطلا ، مقتدرا ، وكان ولده هو ورفاق سلاحه عروقا من الفضة في ظلام الليل ..

لقد اشترك البطل طيار « وفائى » فى كل المهام التى أوكلت الى « سربه » منذ ضربة السيطرة التى قامت بها قواتنا الجوية الساعة صفر يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، حتى هذه اللحظة وما يليها من واجبات ، لم يتوقف عن اداء مهامه الاعتراضية ، نهارا أو ليلا ، فوق سيناء ، غير ان معركته البطولية البارزة الشاهقة وقعت فىالساعة الثالثة ظهرا من يوم ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، واستغرقت ثلاث دقائق فقط ، بينما المعركة بالنسبة للتشكيلالجوى الذى قاده « وفائى » استغرقت ٦ دقائق ، وهو وقت كبير ، ويعد من أطول معارك الطيران على المستوىالعالمى.

فى طلعة واحدة ، فى معركة واحدة أسقط البطل ثلاث طائرات للعدو ، كان تشكيل طائراتنا رباعيا ــ وقد واجه تشكيلا رباعيا للعدو ــ تدعم على الفور بتشكيل رباعى اسرائيلى آخر ، فأصبحت المعركة ٤ طائرات ميج ٢١ لنا ، ضد ٨ طائرات فانتوم وميراج .

واسقط « وفائى » أول طائرة بمدفعه الرشاش .. وكانت فانتوم ، ثم استدار بحركة مناورة بديعة ليهاجم قائد التشكيل الاسرائيلى وكان يقود طائرة ميراج ، فأسقطها بصاروخ جو ــ جو ، وفى بداية الدقيقة الثالثة، وبسيطرة تامة امتلكها هو ورفاق تشكيله أطلق مدفعه الرشاش على ميراج أخرى أشعل فيها النيران ، وبقى لديه من الذخيرة والوقود ما يكفى لتدمير طائرتينعدوتين أخريين .. غير ان العدو فر هاربا من سماء المعركة ، وقد تأكدت خسارته الجسيمة امام باقى طياريه .

هذه الطائرات المدمرة الثلاث ، واحدة فانتوم ، واثنتان

ميراج التى أسقطها بطلنا الشاب ابن اخميم مسجلة فوق فيلم التصوير فى كاميرا الطائرة ، تلك الافلام التى تلتقط الكترونيا كلما يحدث خلال معارك الاعتراض الجوى أو القصف الجوى بالقنابل فوق أهداف العدو ، وتسجل تدمير طيارينا للطائرات الاسرائيلية ، وتحصى عددها ، انها وثائق الشرف التى أهدتها قواتنا الجوية للوطن فى حرب رمضان المجيدة .

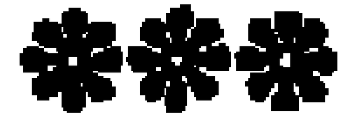
هناك ايضا فضلا عن هذه الافلام أوالوثائق ، وسائل أخرى لتسجيل اسقاط الطائرات العدوة ، وهى وسائل حديثة تعتمد على الالكترونات ، حتى انها تنقل للقيادة المحلية كل ما يدور بين طيارى العدو أثناء المعركة ، الى جانب رؤية الموجهين الارضيين الذين يسهمون بأعظم الجهد فى توجيه طيارينا نحو الاهداف الطائرة المعادية ، وعدة نقاط مراقبة أرضية فى سيناء أو غرب القناة وحول الاهداف الحيوية للوطن ، تحصى بكل الكفاءة واليقظة تدمير الطائرات الاسرائيلية بها .

اطقم الخدمة الارضية

قال لى الطيار البطل وفائى :

ــ ان الأسس التى أرسينا عليها نجاح معركتنا هى التعاون الوثيق بين الطيارين والمهندسين والميكانيكيين ، واطقم الخدمة الفنية فى قواعدنا الجوية ، ان أرواحنا وانتصارنا معلقان بجهد وابتكار وتفانى وحب رفاق السلاح من الفنيين الذين يعدون الطائرة أحسن اعداد ، لاستخدامها أمثل استخدام خلال المعارك ، ان بعض هؤلاء الابطال استمر يعمل أسبوعا كاملا بدون نوم ، ولم تكن أجسادهم فى حاجة الى النوم أو الراحة ، كان الانتصار يزودهم بالطاقة والقدرة والاداء المتكامل دون

خطأ بسيط على الاطلاق .. كان الله معنا يحمينا ويحمي كل خطوه نقوم بها .. لقد القى العدو على مطارنا ذات غارة ١٤٢ قنبلة ، زنة القنبلة الف رطل ، ولم يتوقف المطار عن العمل ، كل ما وقع كان محسوبا فى تخطيط الاحتمالات ، وقد أعددنا له البديل ، ولذلك لم يفاجئنا العدو ، وحقق الرجال معجزات فى اصلاح الاعطاب عبر زمن قياسى لم تحققه حتى فى برامج التدريب ، وفى غاره أخرى ، ومطارنا يتلقى قنابل العدو صعدت ٨ طائرات من طائراتنا وواجهت ٢٤ طائرة للعدو ، اسقطت منها خمس طائرات قبل مرور ٦٠ ثانية ، وفر الباقى عندما شهد طياروها بداية المعركة ..



تحية اكبار وتقدير ، ووقفه بالخشوع أمام جسارتكم .. أمام اقتداركم ، أمام معاركم الفياضة بالثراء والبطولة وأرقى أشكال البذل والتضحية ، التى توجت رأس شعبنا العربى بتاج الشرف ، تحية لمن جاد بالحياة لكى تبقى لنا الحياة حرة كريمة نقية ، للعمالقة ذراع مصر الطولى الصلبة القوية من رفاق السلاح وهم يجتازون بكفاءاتهم وانجازهم وسيطرتهم وسيادتهم الجوية التى نشروها فوق سماء سيناء وغرب القناة ، كل اقتدار للعدو ، فامتلكوا المبادأة دائما فى اطلاق صواريخهم وفتح نيران مدافعهم ، وأضاءوا بنوعية قتالهم شعلة نور أمام أجيال شعبنا القادمة .

انه نور رمضان المجيد .. نور النصر ..

قاتلوا وظهورهم لا تستند إلى حائط

لم تكن مهامهم يوم ٦ اكتوبر المجيد ـ هي المهمة الاولى لهم داخل سيناء ..

لقد واجهت قوات الصاعقة المحمولة جوا وبحرا .. والمقتحمة للعدو برا قبل ذلك اليوم ـ قوات العدو الاسرائيلى فى عدة معارك بارزة بمناطق تمركزها بالعمق جنوب سيناء ، وكانت معاركها المدعومة بأكبر قدر من المفاجأة بمثابة تدريبات حقيقية على دورها الكبير فى ملحمة الحرب التحريرية الخالدة عام ١٩٧٣ ، حيث قاتلت قوات الصاعقة المنقولة جوا ، أكثر المعارك ضراوة وجراة وظهورهم لا تستند الى حائط ، أخطر وأعنف أنواع القتال الهجومي القاتل الكاسح ، ورفعوا العلم المصرى فوق العمق فى سيناء ، وسيطروا على أرض المعركة طوال أسبوعين كاملين ..

ستبقى معاركهم تجسيدا حيا لبطولة المقاتل المصرى.

لقد صنعوا بأجسادهم سدا بشريا فى عمق سيناء ، امام تجمعات احتياطى العدو المدرع التكتيكى والاستراتيجى وابرزوا بقتالهم دور المحارب المترجل امام زحف الصلب ومواسير المدافع فوق مئات الدبابات امامهم ، فحالوا بينها وبين التقدم لملاقاة قواتنا المشاة ومفارزها الاولى تعبر القناة .

لقد انهار سد بارليف وحصونه فى ست ساعات ،

وظل السد البشرى الذى اقامته قوات الصاعقة فيجنوب وشمال سيناء ٢٣ يوما كاملا يقاتل بلا هوادة ، ويدمر دبابات العدو ومخازن ذخيرته وآبار بتروله فى بلاعيم ، ثم يستبسلون فى معاركهم غرب القناة حتى نهاية يناير عام ١٩٧٤ ، وقد جاد بعض العمالقة بالروح فدية وجزية للنصر ..

سينحنى الزمن اكبارا وخشوعا امام اندفاعهم الخلاق فى الهجوم واستبسالهم المطلق وهم يعطون المثل والقدوة .. وقدراتهم اليافعة كمياه الشلالات المنطلقة من خلف سدود مفتوحة .

انها فصائل الصاعقة ، تجاوزوا فى معاركهم امكانيات البشر وقدراتهم ، وكان لهم سبق الشرف بالشهادة .. فشهداؤهم دائما فى الطليعة والمقدمة ..

وقبل نهاية يونيو عام ١٩٦٧ ، عادوا الى سيناء يحرمون العدو من استخدام مخازن الذخيرة والوقود التى تركناها سليمة اثناء الانسحاب، وكانت بدء معاركهم التى لم تتوقف قط حتى اغسطس عام ١٩٧٠، فاكتسبوا خبرات عملية واسعة بعبورهم المتكرر الى الضفة الشرقية وهجماتهم الانتحارية على حصون بارليف وعلى دوريات العدو المدرعة ٦٩ ــ ٧٠ بشمال سيناء ، وكانت مهامها حافلة بأثرى الانتصارات الصغيرة ، أعطتنا تلك البيئة وذلك المناخ ، القاعدة البشرية التى انطلقت الى انتصارات قواتنا المسلحة فى حرب اكتوبر المجيدة ..

لقد اخذت الصاعقة مهامها القتالية فى هذه الحرب قبل ان تبدأ قواتنا الرئيسية اقتحامها لقناة السويس ، حين حملتها الطائرات الهلكوبتر الى عمق سيناء شمالا وجنوبا خلف قوات العدو ، وفى نفس الوقت انطلقت بهم زوارق سريعة فوق البحر الابيض والاحمر الى سواحل

سيناء بهدف اقتحام أهداف ساحلية للعدو ، ثم جاءت الساعة الخالدة وهم فوق زوارق سريعة فى البحر الابيض والاحمر عناصر عديدة منهـــا مع المشاة طلائع الموجات التى عبرت الى الضفة الشرقية لتفاجىء أفراد العــدو داخل حصون بارليف وليتسلل رجال منهــا الى الطــرق المؤدية لهذه الحصون يقطعونها ويعزلون الدشم عنها ، وفى ساعة زمنية وأحيانا دقائق أسقطت الصاعقة تلك الحصون الهندسية المنيعة التى أعدها العدو لكى تقاتل شهورا ، اعتمادا على ما حشده بها من وسائل ومعدات قتال واعاشة ..

لقد كان للصاعقة ومع الدقائق الاولى لاقتحام ســـــد بارليف الترابى حسابا قديما فى النقط القوية للعــــدو جنوب وشمال القنطرة شرق ، ولسان بور توفيق ، وفى منطقــة الـكيلومتر ١٠ والـكيلومتر ١٩ ، بالقرب من مواجهة بور سعيد ، ودارت فى هـــــذه المواقع معارك بالرشاشات والسلاح الابيض والقنابل اليدوية ، وذاق رجالنا أول رشفات الانتصار .

نابالم العدو ..

قبل هذا كله ، وفى آخر ضوء من يوم ١٥ اكتوبر عام ١٩٧٣ تحركت قوات الصاعقة لتفسد فى هدوء وصمت خزانات النابالم والمواد الملتهبة بالضفــة الشرقيــة وهى مقامة على مسافات متقاربة بحيث يستطيع العدو أن يدفعها فوق سطح المــاء ويشعلها ليتحول سطح القناة الى جحيم يحرق كل انسان أو قارب فوق المــاء ، ويستطيع العدو أن يتحكم فى استمرار نشر هذه النيران اذا عبرت قواتنا اليه .

ومن التجارب التى قامت بها قواتنا قبل العبور تجربة

اطفاء هذه النيران اذا اشعلها العدو ، واجريت عمليات فيمناطق شديدة الشبه بالقناة ، وظهر ان النيران ستبقى مشتعلة لاكثر من نصف ساعة اذا لم يتم تزويدها بكميات اضافية من النابالم مما يعرقل قواتنا العابرة لاخطار شديدة .

وقامت الصاعقة وعناصر أخرى من المهندسين باستطلاع هذه الخزانات ، ووجدوا أنها مدفونة تحت سطح الارض حتى يصعب تدميرها بالمدفعية ، وانها متصلة بمواسير تحت السطح يندفع منها النابالم الى سطح المياه. ولو أمكن اغلاق هذه المواسير قبل العبور فلن تشتعل القناة . وقبل يوم ٦ اكتوبر الساعة ٢ ظهرا ، قام بعض العمالقة بسد المواسير بالاسمنت ، وقطع بعض الخراطيم فى مناطق أخرى ، وامسكوا بمهندس اسرائيلى كان فى طريقه لاصلاح بعضها وجاءوا به أسيرا ، وقد تمت العملية بنجاح ، ولم تتمكن نقطة حصينة واحدة من اشعال أى حريق على سطح القناة ، واستولت قواتنا بعد ذلك على هذه الخزانات سليمة تماما .

عملية صغيرة ولكنها ذات أهمية كبرى بالنسبة للعبور وهى أول مهام الصاعقة فى حرب أكتوبر ، قام بها الرجال بأرفع الكفاءة والسيطرة والاقتدار ، ولم يشعر بهم جندى واحد من جنود العدو ..



قلت للعميد نبيل شكرى قائد قوات الصاعقة :

ـ ما هى المهام التى قامت بها قواتك فى عمق العدو وكان لها نتائج طيبة علىالضفة الشرقية ثم رءوسالكبارى التى اقامتها قواتنا المشاة والمدرعات ؟

ـ مهام رئيسية على الطرق المؤدية من عمق سيناء الى القنطرة والاسماعيلية والسويس ورأس البر ، وفى

وادى فيران جنوب سيناء وفى الخطة ان العدو سيعمل على دفع وحداته المدرعة من الاحتياطى التكتيكى ثم الاستراتيجى الى انقاذ سمعته على الضفة الشرقية قبل أن تنتهى قواتنا من الاستيلاء على نقطه القوية على طول المواجهة وقتل وأسر أفراده بها ، وواجبنا هو منع هذه الوحدات الاحتياطية من الوصول الى قواتنا ، واجبارها على الارتداد شرقا لتستمر قواتنا فى هجومها الكاسح وانشاء رءوس الكبارى دون تدخل كبير من العدو .

ولقد نجحنا فى ذلك ، وكان أفراد الصاعقة يعتلون ظهور الدبابات التى تفلت منهم ليلقوا بداخلها قنابلهم اليدوية وهم يعلمون انهم سيموتون مع تدمير الدبابة ، وتكررت هذه النوعية عدة مرات ، حتى لا تمر دبابة اسرائيلية سليمة من بين أذرعتهم .

وفى مضيق وادى فيران بجنوب سيناء دمر رجالنا بقيادة المقاتل زيادة اوتوبيسين كان بهما ٦٥ طيارا وملاحا اسرائيليا فى طريقهم الى قاعدتهم الجوية عبر كمين أقامته مجموعة قائدهم المقاتل كمال .

ـ كم بلغ عدد مجموعات الصاعقة التى قاتلت فى حرب اكتوبر المجيدة ؟

ـ خمس مجموعات ، مجموعة المقاتل هيكل مع الجيش الثانى ، ومجموعة المقاتل بسيونى مع الجيش الثالث ، ومجموعة المقاتل الشرقاوى فى رأس سدر بسيناء وشرق البحيرات ، ثم فى جبلى شهابى وعتاقة خلال الثغرة ، ومجموعة المقاتل أسامة وقاتلت فى الطاسة ورمانة بسيناء ثم غرب القناة ، ومجموعة المقاتل كمال بجنوب سيناء والبحر الاحمر .

قلت لقائد الصاعقة :

ـ استمرت معارك مضيق رأس سدر ١٦ يوما كاملة

.. هكذا نشرت بعض صحف الغرب .. هل نقترب من هذه المعارك ؟

بين رأس سدر ورأس مسلة مرت طائرات الهليكوبتر حاملة جنود الصاعقة وضباطها شرق وغرب المضايق .. وأذكر أن رجال البطل الشهيد رفعت عبد الوهاب عامر هبطوا فى منطقة أخرى ، وقطعوا ثلاثين كيلومترا على اقدامهم معتمدين على لياقتهم البدنية العالية ووصلوا الى منطقة الهدف وقاتلوا معاركهم بكل البطولة .. ففى الحرب يمكن أن تقع مفاجآت عديدة .. المهم هو امتلاك القدرة على تجاوزها .

لقد أصيب أيضا قائد احدى الكتائب بعد ابرارها جوا ، وأصيب بعده مباشرة رئيس عمليات الكتيبة ، واحدة من مصادفات أو مفاجآت الحرب .. وهذا موضوع فى تخطيطنا ، ولا يشكل أدنى مفاجأة للوحدة المقاتلة ، بعد ذلك قاد الكتيبة ضابط برتبة نقيب وحقق أعلى مستويات التنفيذ .

عندما أصيب البطل محمود ، قائد الكتيبة ثم البطل عادل رئيس عملياتها حاول رجالهم حملهما والتقدم الى منطقة هدف أخرى ، لكن البطلين رفضا ذلك ، وطلبا الى الرجال تركهما والمضى الى المعركة وهددا باطلاق الرصاص على نفسيهما اذا حاول أحد حملهما عنوة ، وتحققت رغبتهما ومضى الرجال الى مهامهم وبقى معهما طبيب وممرض .

لقد بقى رجال هذين البطلين مسيطرين على محور رأس سدر ـ رأس مسلة طوال ١٦ يوما ، حاول العدو بوحداته المدرعة اختراقه فى عدة هجمات مضادة ، ولكن الصاعقة منعته ودمرت له الكثير من دباباته وقتلت العديد من افراده ، وأقاموا له عدة كمائن ناجحة . فاستعان

بالطائرات ، ولم يستطع رغم طيران الهليكوبتر والفانتوم وقصف المنطقة أكثر من مرة أن يمر أو يستخدم المضيق حتى أخلاه رجالنا بأوامر قيادتهم بعد ايقاف اطلاق النار تاركين خلفهم كميات ضخمة من الالغام والشراك ..

لقد دارت معارك الصاعقة فى مضيق رأس سدر ، وكانت شبه يومية ، افراد لا يستر ظهرهم شيء على الاطلاق ، لا مدفعية ، ولا دبابات ، ولا طائرات تحمى نشاطهم ، وهم يواجهون عشرات من دبابات العدو وطائراته الهليكوبتر القاذفة لصواريخ جو ـ أرض .

فى هذه المعارك أستشهد البطل رفعت لانه صمم أن يستر آخر جنوده ، وهم يتنقلون من منطقة لاخرى حتى لا يصبحوا هدفا سهلا لطائرات العدو ، واستشهد معه البطل رقيب الشربينى ، والبطل الشهيد العريف حداد وكانا قائدهما البطل رفعت وقد واجهوا ثلاثتهم قولا مدرعا اسرائيليا ، دمروه عن آخره ، ثم تعرضوا لقصف جوى ، وصعد الثلاثة الى رحاب الله وأسلحتهم فى أيديهم .

وأنا أتحدث عن الشهداء هناك اذكر البطل شومان الذى دمر ٨ دبابات اسرائيلية شرق البحيرات ، وقام مع رجاله بتوجيه ضربة جريئة الى تجمع كبير للعدو فى هذه المنطقة ، ثم دمر ثلاث دبابات فى فنارة ولم يكن هو ورجاله يزيد عددهم على عشرة أبطال ، لم يستشهد منهم غيره ، أنه البطل رائد شومان من رجال المقاتل الشرقاوى .

جنوب سيناء ..

نتحدث عن عمليات جنوب سيناء .. لقد صرخ العدو بأن هناك غزوا كاملا لجنوب سيناء ، وكثير منا يعرف ان هذا الغزو لم تقم به غير مجموعة واحدة من مجموعات الصاعقة .. اليس كذلك ؟ .

وبصوت مشوب بالشجن والحنان ، روى القـــــائد الشاب قصة مقاتلى محور جنوب سيناء ..

كان تقديرنا فى الخطة هو فتح جبهة ثانية فى هذا المحور لجذب قوات العدو الاحتياطية المدرعة بعيـدا عن مسرح قواتنا الرئيسية وهى تقاتل وتحرر الارض فى سيناء وفى الحقيقة لم يحارب الرجال العدو فقط ، بل حاربوا الطبيعة ايضا ، وظل قتالهم عبر مسافة بين ٤٠ ــ ٨٠ كيلو مترا ، ضد لواء دبابات ولواء مشاة ميكانيكى ،وعشرات من طائرات الفانتوم والهليكوبتر الباحثة عنا المزودة بصواريخ جو ــ أرض واستطاع الضباط والجنود اقامة سد بشرى منيع من الاجناب اليمينية للجيش الثالث ، وقد ظلوا هناك حتى بعد وقف اطلاق النار بكل السيطرة والثبات والقدرة على معاودة القتال .

ان معارك هذه المجموعة استطاعت بالدرجة الاولى اشاعة الاضطراب فى توزيع قوات العدو وتشتيت نشاطه ، حتى انه لم يدرك طيلة ٤ ايام بعد ٦ أكتوبر ، أين مجهود قواتنا الرئيسى ليتصـــدى له ، وحين صرخ باننا نغزو جنوب سيناء ، كان يتوقع هجوم جيش كامل على هذه المنطقة ، ولم يكن ماتريده ونهدف اليه غير هذا على الاطلاق ، تطبيقا للخطة العامة لقواتنا المسلحة .

بعد ذلك قام بعض رجالنا بتفجير عدد من مستودعات البترول فى أبى رديس ، واشـــتركوا مع دوريات مدرعة للعدو ، واستمرت الكمائن التى يعدها الرجال لدبابات اسرائيل فى نجاحها من كمين لآخر ، نتيجة صفاء ذهن القادة الاصاغر وتشبعهم بالتدريب المسبق عـلى مثـل هذه العمليات وتوقع كل المفاجآت وكيفية التغلب عليها .. فاذا أفلتت دبابة أو أكثر للعـــــدو من كمين للصاعقة تلقفتها مجموعة كمين آخر ، ولذلك ظلوا محرزين لعامل

المفاجأة دائما مما دفع القيـــــادة الاسرائيلية الى القاء منشورات تخاطب فيها بدو المنطقة وتغريهم بمكافأة قدرها ألف جنيه لمن يرشد عن المناطق التى يختفى فيها جنـــود الصاعقة المصرية بعد كل ضربة يوجهونهـــا لقواته المدرعة وعلى حد تعبير أحد جنودى الذين عادوا بالاوسمة تزين أجسادهم وأقصد الجروح والاصابات .

ـ ان العدو فى وادى فيران كان يقف كالمجنون ليتلقى ضربة من أمام ثم من خلف ثم حول أجنابه ثم من هنا وهناك ، وهو يقاوم محاولا الوصول الى منطقةالغرب فيعجز ويصاب بالانهيار ، وعندئذ يفتح نيرانه فى كل مكان وبأحجام كبيرة ، ونحن فى مخابئنا لا يصل الينا على الاطلاق .. وحين يهدأ ويحاول اعادة تنظيم قواته نعاود فتح نيراننا عليه مرة أخرى .

قاتل الرجال بعد ذلك قتـالا ضاريا فى رأس ســدر وأبو زنيمة وجبل تنكة وجبل حمام فرعون وفى رأس مسلة فى الطور ، وحدة المقاتل عبد الصـــادق أسقطت طائرة هليكوبتر للعدو ودمرت عربيتين مجنزرتين له بأفرادهما وقتلت وحملت معها الدليل ٥٢ قتيلا ، وكانت هـــذه الوحدة قد انتهت من تنفيذ مهمة سابقة وفى انتظـــار وصول بعض طـائراتنا لتحملهـا الى قاعدتها ، لـــكن الطائرات لم تصل ، وما فقد الرجال أبدا عامل الطمأنينة والاقتدار ، ولذلك دخلوا معركتهم الثانية وحققوا فيهـا هذه المعدلات من الهجوم الكاسح القاتل ، وكانوا محـل تقدير القيادة العـــامة حين قطعوا مائة كيـلو مترا على أقدامهم وينضموا الى رفاق السلاح .

ليلة ٣١ أكتوبر ، كانت وحدة أخرى من الصـــاعقة تستقل قواربها بقيادة المقاتل بحـــرى سيف اليزل الى جنوب الطور ، وأغار رجالنا بقيادة البطوطى على موقعى

مدفعية صاروخية مضادة للطائرات ومنطقـــة ادارية ، وقطعوا رحلة العودة فى ضوء النهار ، رغم ما قد يتعرضون له من أخطار ، لكنها الصاعقة لا تهتم بسلامة الافراد قدر اهتمام كل مقاتل بسلامة الاداء .

عقيدة العدو ..

سألت المقاتل الذى بدأ حياته العسكرية ضابطا برتبة ملازم ثان فى الكتيبة السادسة مشاة كتيبة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، فى منطقة الشط شرق سيناء ، ثم تولى قيادة الصاعقة بعد نتائج يونيو ١٩٦٧ .. سألته :

المعروف ان عقيدة العدو القتالية قائمة على العمليات الخاصة ، لماذا لم ينجح فى استخدام هذه العمليات ضـد قواتنا ؟ .

ـ لان قواتنا الخاصة حرمته تلك الميزة ، فرجالنا فى عملياتهم الخاصة كانوا يملكون سلاحا أقوى وأخطر ممـا يمتلكه العدو ، كانوا يمتلكون العقيدة القائمة على الايمان وعلى شرعية القتال لرد الثأر واسترداد الـكرامة التى فقدناها فى ١٩٦٧ ، وعلى الروح المعنـوية التى جعلت رجالنا يضحون بالروح وكأنهم يضحون بطلقة رصـاص وعلى التدريب الذى استمر متصلا منذ ٦٧ حتى ٧٣ ، وكانت عملياتنا كلها اغارات على العـدو لم يكن هنـاك فاصل بين ٦٩ و ٧٣ نتوقف فيه عن العمل والاستعداد حتى جاء عام ١٩٧٢ ، واستمر نشاطنا أشبه بالمعجزات طوال عام كامل الى أن قمنا بمهامنا فى ٦ أكتوبر وبعده ، وجعلنا العدو عاجزا عن اللحاق بنا .. كنا نحـارب بالاقتراب من العدو وجها لوجه وكان هذا الوضع يشكل مفاجأة له تصيب ضباطه وجنوده بالشلل ، لقد هبطنا فى قلب قواته . بالطائرة بالزورق بالسير على الاقـدام

برا ، فى شمال وجنوب سيناء .

وقال لنا أحد الاسرى من ضباطه :

ــ « لابد أنكم من نوعية خاصة .. لقد شاهدت جنديا منكم يحمل لغما فوق صدره وينام تحت احدى دباباتنا لتمر فوقه ويموت مع الانفجار الرهيب ، ما هــذا الذى يفعله !!

وقال ضابط اسير آخر :

ــ « كنا نحاول الامساك بالصاعقة ، فيتضح لنا فى النهاية اننا نمسك الهواء .. ولم يكن أحد من قادتنا فى تل أبيب يتصور ان الدبابات ستعجز عن المرور أمام سد بشرى بلا مدافع ولا طائرات بلا دبابات تقف أمامه ولكنهـا الحرب ، وفى كل مرة تحقق شيئا جديدا لو تحدث أحـد عنه قبل الحرب لوصفوه بالهذيان » .

مضت لحظة صمت بعد هذه العبارات : وكان الرجل يستعيد أعذب الذكريات ثم عاد واستطرد قائلا :

أكتب عن المقاتل زغلول قائد معركة لسان بور توفيق الذى شهدت صحافة العالم جنود العدو وهم يستسلمون له أمامهم ، والضابط الاسرائيلى الاسير يرفع يده بالتحية للعلم المصرى فوق النقطة القوية التى كان يحتمى بهـا ، وكان عدد الاسرى أكثر من ثلاثين .

أكتب عن المقاتل الجيشى قائد معـــركة تحرير رأس العش شرق مع المشاة ، أكتب عن عبد العابد ، عن صيام عن رضوان ، عن كثـــيرين لو احصيت لك بطولاتهم فستحتاج الى كتاب ضخم وليس الى عدة صفحات فى مجلة أو جريدة .

بودى أن أذكر لك أعمال كل شهيد من رجال الصاعقة من الضباط والجنود ، كل أعمال الاحياء الذين عادوا بالاصابات فوق أجسادهم وكلهم فخور بها كأوسمة من

الدرجة الاولى ، بودى أن أتحدث طويلا عن المقاتل زيتون الذى فقد ذراعه فى عملية انتحـــارية ثم جاءت حرب ١٩٧٣ وقاد رجاله الى الشرق وقاتل فى مقدمتهم ، عن عبد الرازق وقتاله فى القنطرة شرق ، عن شنودة العملاق أحد جنود المقاتل الحاج فؤاد ، عن شلبى فى الفردان عن عليمى وعلاء ، عن عبد الجواد الذى قاتل ٤ أيام وهو جريح حتى استشهد فى القطاع الاوسط .

لقد أصيب عليمى بشظيتين فى وقت واحد ، احداهما كسرت عظام ذراعه والثانية كسرت عظام ساقه ، واستمر البطل يقود رجاله .

أكتب عنهم جميعا .. عن هؤلاء الفدائيين الذين امتلكوا من المعنويات العالية ما يعادل ثلاثة أحجام السـلاح فى أيديهم ، وقاتلوا وكل منهم يؤمن تماما ان السلاح هـو الوسيلة وليس الاساس .. هؤلاء العمـالقة حين كانوا يظهرون فجاة أمام العدو ، يصرخ مقاتلو اسرائيل بالعربية، وكأنهم تدربوا عليها من قبل ، يصرخون بكل ما لديهم من بقية طاقة :

ــ « ارحمنى يا صاعقة » .

طيار الهليكوبتر ومقاتل الصاعقة

« ليس من السهل تحقيق أى عمل جرىء فى القتال الا بقدر من المخاطرة .

ولقد خاطرنا بكل رباطة جأش ، وبأثرى المعنويات ، وأبلغ صور الاندفاع ، ولو كان هناك أدنى تردد ، ذرة تردد ، لما نجحت مهامنا .. » .

واضطر محدثى للسكوت عندما غطت على أصواتنا محركات طائرات الهليكوبتر ، وهى تهبط حولنا ..

أحد هؤلاء العمالقة « الطيار فرماوى » من طيارى الهليكوبتر ، أو « الهل » ، كما ينطقونها اختصارا للكلمة أصيبت طائرته قبل أن يصل الى منطقة الهدف فى عمق سيناء ، واستطاع ان يقودها ، ويهبط بها فى المنطقة المحددة له ، ويخرج الابطال الصناديد « مقاتلو الصاعقة » المحمولون جوا ــ تحت قصف طائرات العدو ، وقد أخذت وضع المظلة الجوية فوق الارض لينفذوا خطتهم الجريئة الحاملة لاكبر قدر من المفاجأة ، والانقضاض على القيادات الاسرائيلية بالمؤخرة ، ووحداتها المدرعة ، وبطاريات صواريخها التى كانت تتعامل مع طائراتنا القاذفة فى ضربة السيطرة المصرية .

كان طيار الهليكوبتر الذى حمل هذه الوحدة من الصاعقة قد تأكد له بعد أن أفرغ حمولته البشرية ، انه لن يستطيع العودة بالطائرة ، فمضى مشيا على الاقدام

حتى التقى بوحدة مدرعة من قواتنا ، التقطته على الفور، وقادته الى وحدة متقدمة ، وفى سيطرة تامة على أعصابه وهدوئه بلغ قاعدته الجوية ، واستقل هليكوبتر اخرى وعاد بها الى منطقته الاولى ـ مجتـــــازا مئات المدافع الاسرائيلية المضادة للطائرات والصواريخ هوك أرض ـ جو ـ وفى اللحظة المناسبة اخذ ينقل مقاتلى الصاعقة بعد أن أدوا مهامهم ـ الى قاعدة الانطلاق ـ وكان عملا بطـوليا فذا ، قدمه أكثر أبناء قواتنا فى حرب أكتوبر الشامخة .

القصة نفسها تكررت فى يوم واحد ، وكان بطلهـــــا الطيار جورج .

ليس سرا أن مثل هذا الاداء كان معدا له من قبل ، لم يكن مصادفة أو قدرا ، نجاة الطيار فرماوى أو الطيار جورج أو غيرهما ـ من الاسلحة الاسرائيلية المضادة وهى مكثفة داخل سيناء .. كان الله فوقهم يرعاهم ويزودهم بالحماية وكانوا هم أيضا يملكون الاقتدار لتجاوز هـذه المواقف ولم تكن مفاجأة لهم على الاطلاق ، ان طيارينا فى جميع مستويات الطيران تدربوا طويلا على أسـاليب اختراق الدفاع الجوى الاسرائيلى من مدفعية وصواريخ ـ وهى أساليب علمية فنية لست فى حل من الاشارة اليها ، فضلا عن امتلاك كل طيـــار لقـــــدر كاف من المعلومات عن مواقع مدفعيات العدو وبطاريات صواريخه، وعليه أن يناور ، ليكون فى مأمن منهـا ، ومنـــــاورته هنا هى الابداع والاتقان بعينه ، نتاج بيئة القاعدة التدريبية القتالية العريضة الجيدة ، والاسس الحديثة فى معـارك الجو ، المدروسة نظريا والمطبقة عمليا ، هى وحدها التى دعمت ديناميكية قتـالنا سـواء على مستوى التركيب الكثيف فى حجم الهجـوم بالطـيران ، وا على مستوى التشكيل الواحد .

المهمة الكبرى ..

لقد بدأت عمليات حمل القوات الخاصة « مقـــاتلى الصاعقة » الى خلف قوات العدو الاسرائيلى بعمق سيناء من عدة مطارات حربية ، وأكثرهم طار الى « المسرح » عدة مرات خلال عمليـــات الاستنزاف ٧٠/٦٩ فعرف الارض وخبرها وفى يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، كانت أسراب الهليكوبتر المخصصة « للمهمة الـــكبرى » قد تجهزت تماما ، كل مهمة وحسب نوعها أعدت لها القيادة عددا مناسبا من الطائرات ، واعدادا مضاعفة من الطيارين ، بعضهم كان مريضا بالمستشفى العسكرى وشعر بحاسته السادسة ان هناك عملا كبيرا سيقوم به زملاؤه ، فحصل بكل الوسائل على تصريح طبى بلياقته للخـدمة ، وجاء ليقف فى طابور الابطال الذين اختيروا لهذا العمل ، ولم تخنه حاسته .

طوال السنوات الماضية ، خلال مرحلة الصبر والصمت التى طرحها القائد الاعلى نداء للجماهير ، كان ترتيب طيارى الهليكوبتر قائما على تحقيق مثل هذه المهـــام ، والطيران بارتفاعات بسيطة جدا لتفادى ردارات العـدو ولمسافات طويلة لم يتخيل العدو أيضا أن طيارينا قادرون على تطبيقها ، والهجوم بتشكيلات كبيرة نهارية وليلية ، واختصار الدقائق الى ثوان .

كان المفروض كاجراء من اجـراءات طيران الهليكوبتر والتحرك الى مسرح الخصم أن تتسلل الطائرات اليه ليلا « لا » نهارا ، لكن أبطالنا تدربوا على الهجوم فى وضـــح النهار ، وسيطروا واقتدروا على تجاوز كثافة مدفعيـة العدو المضاد للطائرات وصواريخه ، بفضل عنصر المفاجأة الذى منحهم السيادة الجوية طوال العمليات ..

لقد وقع بالفعل أكثر من اشتباك ، وناور طيـــارونا

جيدا ، وبالمناورة أفلتوا من طائرات العدو الاعتراضية وفى احدى هذه المناورات وقع العمل البطولى البارز الدال على الثبات الارادى واليقظـــة والتألق أثناء القتـال اذ استطاع الطيـار « المقـاتل البطل لطفي » أن يسقط الفانتوم ، نعم أسقطت « الهليكوبتر المصرية » فانتوم ٤ ، هذه الطائرة « الهل » لم تكن معدة للاقلاع ، ولكن الفنيين من المهندسين ورجالهم أصلحوها سريعا ، واستقلهـا الطيار ، وكان قادما من تأدية واجب آخر ، وطار بهـا ، وأفرغ حمولته من الصاعقة خلف القطـاع الاوسط فى سيناء ، وارتفع مرة أخرى الى السماء ، واذا به يواجه طائرتى فانتوم ، وبالسيطرة كلهـا والثقة والايمان بالله أطلق صواريخه فانفجرت واحدة وفر الطيار الاسرائيلى الثاني مذعورا ، وكانت معجزة فى تاريخ جيوش العـالم حققها الطيار الشاب « لطفى » .

لقد تدخلت طائرات سوبر ميستير التى يملكهـا الطيران الاسرائيلى والفانتوم على مسافة من ٢٢ الى ٣٠ كيلو مترا شرق سيناء ، ضد الطائرات الهليكوبتر فى رحلة الذهاب والعودة ، وكان صمود طيارينا وصلابتهم فـوق طاقة البشر ، ولذلك هبطوا فى مناطق الابرار المحددة لهم وسط النيران وانفجارات القنابل والدانات ، هبطوا فى كثير من المناطق العسكرية التى تسيطر عليها القـوات الاسرائيلية بتشكيلاتها الاحتياطيةالتكتيكيةوالاستراتيجية من البحـر الابيض شمالا حتى رأس سدر جنوبا ، وفى توقيت واحد ، وقام رجال الصاعقة والابرار الجوى بتدمير المدرعات الاسرائيلية من الاحتياطى المدرع وقـواعد الصواريخ المضادة للطـائرات والدروع المصرية وفجروا النيران فى مخازن الوقود والذخيرة .. مجموعة من القوات المنقولة جوا « قوات الصاعقة » سيطروا على طريق القطاع

الاوسط بسيناء ٦ ســـاعات كاملة ، كانت قواتنا البرية الرئيسية تتقدم خلالها على خط المواجهــة وتقيم رؤوس الجسور وتجتاح قوات العــــدو خلف خطوط بارليف بعد أن دمرت حصونه ، وطوال ١٢ ســـاعة بعــد ذلك تمتعت قواتنـــا الرئيسية بحرية كبــيرة فى الاقتحــــــام وتطوير الهجوم ..

طيار بطل حمل مجموعة الصاعقة بعد تأدية مهامهـــا واقلع بالفعل ، واذا به يشاهد جريحا من ابطالنـــا فيعود مواجها احتمال اصابته ١٠٠ ٪ ليلتقط الجريح ، ولقد كان الله يحميه بعنايته .

الانقضاض المفاجىء

ان نجاح هجوم الانقضاض المفاجىء للقوات المحمولة جوا ، وما قامت به بالفعل قوات الصـــاعقة فى حـــرب اكتوبر عام ١٩٧٣ كان يعتمد بالدرجة الاولى على طيارى الهليكوبتر ، على تغطيتهم ودقة ملاحظاتهم ودرجـــــة استيعابهم للمناطق التى سيهبطون فوقها ، وتفـــــوق استطلاعهم ، ان ابرار قوات الصاعقة فى المنطقة المحددة فوق خرائط العمليات دون وقوع اخطاء ملاحية أو أخطاء أخرى يقع بالضرورة على نضج طيارى الهليكوبتر وملاحيها .. فضلا على اكتسابهم لخبرة الهبوط والاقلاع فى كل الظروف الجوية وفوق أراضى مختلفة من جبـــــال الى سهول ووديان ومزارع ، وفى كل مهمة يختصرون دقائق من الوقت المخصص لها ، دقائق هى فى حساب الهجوم بالانقضاض ، تساوى ساعات وأياما ..

وجاء اليوم الخالد ، وأثبت طيارونا استطاعتهم حين طبقوا برامج تدريبهم على الواقع وصنعوا منها صفحات فخار وشرف للمقاتل المصرى .

بعضهم وهو فى طريق العودة شاهد دبابات العدو ، ففتح عليها صواريخه ولم يكن هذا العمل لديهم واجبا مطلوب تأديته ، قاموا به من خلال مبادرتهم الفياضة بالاقتدار والثقة والايمان بحتمية النصر .

ولقد تكرر هذا الهجوم فى جنوب سيناء يوم ١٦ اكتوبر وكان هجوما جماعيا بطوليا بصواريخ الهليكوبتر تحت مظلة العدو الجوية ، والعوائق الجبلية ، والرؤيا الصعبة .. والزوابع المستمرة ، والنيران المتفجرة ، ولكن رجولة طيارينا كانت تهزم كل هذه العوامل ، وجسارتهم تجاوزت فى شمول كل هذه الصعاب .

لقد كانت مهامهم ومعاركهم هى نقطة التحول الاولى فى صالحنا عند بداية الهجوم ، وظلت واجباتهم الفنية داخل الطائرات تعكس فى جوهرها قدراتهم على استمرار الطلعات الى عمق متعدد الانساق للعدو ، وذلك ثمرة ما اكتسبوه من معلومات ودراسات وتطبيقات عملية ، ارتفعت بهم الى مصاف العلماء المتخصصين وكان التحامهم بالاطقم الفنية من المهندسين والميكانيكيين وعلاقاتهم الانسانية النبيلة خلف ذلك المستوى الرائع من الاداء .

قال لى أحد القادة :

ـ لولا هذا المناخ الذى يفرزه مجتمع قواتنا المسلحة، وتعاون أسلحتها المشتركة لما استطاع طيار واحد أن يحقق تلك الاعمال البطولية التى تبحثون عنها ..

هناك الطيار منير ، ضرب مسقط وأبو رديس .

الطيار سمير ضرب رتلا من مجنزرات العدو وكان « وحده فى السماء » طائرا الى قاعدته . ولكنه لم يسمح لنفسه ان يترك المجنزرات الاسرائيلية تمر بسلام، لتواجه قواتنا المتقدمة من الشرق ..

الطيار « اشرف » اشترك فى نقل الامدادات الى قوات

الجيش الثالث ، وواجه ٤ طائرات فانتوم للعدو استطاع الافلات منهما ليقوم بهذا العمل البطولى عدة مرات بعد ذلك ، وقد تصدت الميج ٢١ للفانتوم .

عشرات من أسماء الأبطال الخـــالدين عبر صفحات الفخار والشرف لا تحضرنى أسماؤهم الان ، اعطـــوا وجادوا بأعظم العطاء ، وقاتلوا اشرف وأنبل القتال .

تحية لجساراتــكم ، لبطولاتــكم التى رفعتم بها رأس الشعب العربى عاليا ، لمعدنــكم القتالى ، تحية اكبــار وخشوع للطيارين «فريد وشبارة وعبد الهادى وميخائيل وأبو بركات الذى حمل رفيق سلاحه الجريح وسبح به البحيرات ، تحية لعادل وعبد الباسط وللبطل الملاح على ، لخيرى وصلاح وحسن ، لنعامة وصبحى، وداود» وبعضهم اشترك فى كشف تحركات غواصـــــات العدو بالهليكوبتر المخصصة لهذه المهام ، ورصد نشـــــاط لنشاته الصاروخية ، وآخرون كانت مهامهم حمـــاية الشواطىء المصرية ، فى أنحاء الوطن بكل السيطرة البارزة المتجسدة فوق سماء سيناء أو غرب القناة .. رافعين رايات النصر ..

١٦ يومـــا
بدلا من ١٨ ســاعـة

هــذه هى قصة وحــدة الصــاعقة المنقولة بالهليكوبتر والتى كلفت بواجب هجومى لمدة ١٨ ســاعة فقط ، غير انها استمرت ١٦ يوما فى عمق العدو ، تقاتل باقتــدار أشرس المعارك ، وقد التحم مقاتلوها بدبابات ومدرعات العدو ، تحت مظلة جوية دائمة من طائراته الفــانتوم والميراج والهليكوبتر المزودة بصواريخ جو ـ أرض .

صهرتهم التجربة طوال حرب الاستنزاف داخــل اعماق العدو ، وخلال سنوات الصبر والصمت ـ وهم يعبرون الى سيناء ثم يعودون الى الضفة الغربية للقناة ، وقد تطعموا قتالا بالارض التى سيديرون فوقها معركتهم الـكبرى ذات يوم كانوا يعلمون انه آت لا محالة ..

انهم طوروا أشكال التفافهم وتطويقهم للعدو .. ان عمليات الصاعقة تتميز بخواص قتالية فريدة ، لم تفارقهم ولم ينفصلوا عنها قط ، أهمها الهجوم بالانقضــــاض المفاجىء ، طابع قتالهم الذى يحكم مهامهم سواء قدموا من الجو أو البر أو خرجوا من البحر ، وبقــدر حجم المفاجأة القاتلة الـكاسحة التى حملوها الى قلب مواقع العدو الاسرائيلى فى عمق دفاعاته وقواته التعبــوية ، والسيطرة التى امتلـكوها منــذ ليـلة ٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ ، داخل سيناء ، كانت نسبة الخسائر التى الحقوها بالقوات الاسرائيلية ، وقد أصيبت بالشلل والعجز عن

التقدم لمنع قواتنا الرئيسية من عبور القنـاة ، وتدمير حصون بارليف والتقدم اقتحاما لتحرير الارض الاسيرة.

نهار ٥ اكتوبر عام ١٩٧٣ ، كانت الصاعقة فى بعض المطارات الحربية التى يعملون منها ، وفى قواعد قليـلة أخرى على الضفة الغربية للقناة مزدحمـة بالحركة النشطة حتى القمة ، مشحونة بأعظم الانفعالات ، كانوا يعيشون أخلد لحظات العمر بأشرف القلق وأنبل المشاغل وأقصى الاندفاع لتحقيق اعظم المهام التاريخية فى حيـاة شعبنا ، فقد كلفوا بأخطر المسئوليات الاولى فى حرب اكتوبر المجيدة ، وبعد سـاعات تقترب خطواتهم من سيناء ، خطوات مقدرة محكومة بحسابات ، أعتمدت على استطلاع مكثف لقوات العدو ، ومعاومات متوفرة متجددة باستمرار ، ظلت تصل الى الرجال حتى آخر ضـوء من ٥ اكتوبر ، بعدها مباشرة عبرت « طلائع الصاعقة » مياه القناة بعرض خط المواجهة كله ، الى سـيناء ، لتقوم بأبرز الواجبات الانتحارية الموكولة اليهم .

وبزغ فجر ٦ اكتوبر الخالد وقد احتلت المفارزالمتقدمة للصاعقة مواقعها خلف النقط القوية للعدو « دشم بارليف الحصينة » وقواته التكنيكية ، والاحتياطى الاستراتيجى فى عمق سيناء .

وفى سرية كاملة قطعوا خراطيم النابالم وأفسـدوا مضخاتها العديدة ، بعد أن أعدها العدو بجانب كل نقطة قوية ، لتحيل ميـاه القناة الى جحيم من النـيران اذا عبرتها وحداتنا ..

ونجح رجالنا فى أولى هذه المهام الدقيقة ، دون أن يكتشف أمرهم ، وقد قتلوا بالسـلاح الابيض وبدون صوت بعض أفراد العدو فى نقط الحراسة ، ثم لغموا مصاطب الدبابات الاسرائيلية فى الضفة الشرقية وحين

قدمت دباباته لتفتح نيرانها على قواتنا العابرة .. حولتها الالغام الى كتل من الحديد المحترق .

يوم ٦ اكتوبر أيضا عبرت وحدات من الصاعقة بقيادة المقاتل كمال ، ميـاه البحر الاحمر لتأمين جانب اليمين للجيش الثالث ، ثم تقدمه الى جنوب سيناء . وهنـاك اشتبكت مع لواءين مدرعين للعدو ، ودار قتال مرير بين الانسان والصلب انتصرت فيها وحداتنا الصاعقة ، وظلت مالـكة لعامل السيطرة على ارض المعركة«١٥٠كيلومترا» هى مواجهة خط الجنوب شرق .

ولقد أشعل هؤلاء الرجال نيرانهم فى « آبار شراتيب » جنوب سيناء ، اثناء معاركهم .

وفى نفس الوقت والشرارة الاولى للحرب تنطلق الى الارض الاسيرة ، كانت قوات الصاعقة تعبر ميـــــاه القناة فى القطاعين الاوسط وشمال سيناء ، ووحـدات اخرى محمولة جوا بالهيلكوبتر تهبط فى راس ســـدر حول المضيق ، تلك الوحدات التى كلفت بمنع قوات العدو الاحتياطية المدرعة من التقدم لمدة ١٨ سـاعة فقط ، لتستطيع قواتنا الرئيسية المشاة والمدرعات خلالها عبور القناة ، وتدمير بارليف ، والتقدم الى العمق فى حرية حركة تسمح لها بالاقتحام المستمر ، وتطوير قتـــالها شمالا وجنوبا .

ولقد ظل رجال معركة رأس سدر يقـاتلون « ١٦ » يوما لا « ١٨ » ساعة ، ويسيطرون على مضيق ســـدر ويدمرون دبابات ومدرعات العدو فى معارك يوميـة .. ويسطرون اعظم صفحات البطولة واقدرها على الاطلاق

تلك هى الخطوط العريضة لمعارك هؤلاء العمالقة فى حرب رمضان المجيدة ، وقد تمرسوا بأقسى الوان النضال المسلح ، وتجاوزوا أسوأ الظروف القهرية وأشـــــد

المواقف القتالية الحرجة .

ان « المقاتل حرب »» حين فقد عينه اليمنى اثناء الاشتباك ، نقل رشاشه الى ذراعه اليسرى وظل فاتحا نيرانه يديرها بعينه السليمة الباقية ، دون أن يتوقف لحظة ، حتى نقلوه الى المستشفى ..

وذهبت الى معايشتهم ، أستمع اليهم ، انقل منهم ، بادئا بالقائد سيد ، رابضا فى مقدمة رجاله بأرض المعركة ...

ـ لقد كانت معارك العبور والقتال داخل سيناء عامى ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ـ بمثابة برنامج تدريب حقيقى عملى للمعركة الكبرى بحجمها المكثف ، كالمقاتل نادر وكان ضابطا صغيرا حين اشترك فى معركة شدوان ، قاتل فى حرب التحرير عام ١٩٧٣ ، قائدا لوحدته .. وغيره كثيرون ..

ان الترابط والتلاحم بين ضابط وجندى الصاعقة ، وحصولهما معا على برامج تدريب واحدة بكل مشاقها وخطورتها ، واستمرار اعاشتهما معا ، والتصاقهما الفريد خلال مجابهة الموت والهجوم الانتحارى عبر جميع عملياتهم هو الذى أعطى فى النهاية ذلك الترابط الانسانى المذهل ، بين الضباط والجنود ، وقدم لنا أثرى ملاحم التضحية .

عندما أصيب المقاتل رقيب رشدى صالح ، حمله قائده الضابط السحيمى ساعة ونصف ساعة حتى بلغت الوحدة قاعدتها .. ورفض القائد أن يحمل الجنود زميلهم الشهيد ، أصر أن يحمله فوق كتفه الى النهاية .

احدى الوحدات أصيب قائدها الاول لحظة هبوطهم خلف العدو ، ولسوء الحظ أصيب القائد الثانى أيضا ، فتولى أقدم الضباط قيادة الوحدة ، وفى ايقاع صارم

قاتل الرجال دون اضطراب أو تخبط ، قاتلوا بكل الثبات الارادى وهاجموا الاحتياطى الاسرائيلى التعبوى المدرع وهم يرعون فى الوقت نفسه قائديهما الاول والثانى .. وحققت هذه الوحدة البطلة أعلى درجات الاقتدار والاستطاعة ، والحاق الخسائربقوات العدو فوق ارض قتال تصادمى وكمائن سرية ، بلغت مساحتها قرابة مائة كيلومتر ..

ـ فى هذه المعركة وبين مقاتلى تلك الوحدة ، برزت نوعية الضباط الاصاغر فى قيادة رجالهم ، واظهروا من الكفاءة ما هو أشبه بالمعجزات .. كان معهم من الغذاء والماء ما يكفيهم يومين فقط ، واستمروا بهذا القدر من الاعاشة عشرة أيام ، حتى وصلت اليهم أول كمية من الامداد ، ليواصلوا القتال بعد ذلك ستة أيام أخرى .

التقيت بأحدهم ، المقاتل محمد ، قطعة حية من الصمود والامل والرجاء ، وكان بين عدد ليس بقليل من رفاق السلاح ضباطا وجنودا ، عاشوا التجربة الثرية طوال ١٦ يوما خالدة محفورة فى قتال الصاعقة .

ـ ونحن فى الطريق الى سيناء ، يوم ٦ اكتوبر العظيم داخل طائرات الهليكوبتر ـ فوجئنا بالصواريخ هوك تنهال على طائراتنا ، وما أبرع طيارينا فى مناوراتهم التىأنقذونا بها كما أنقذوا طائراتهم ، ناوروا ببراعة ليس أمام الصواريخ هوك فحسب ، بل امام الفانتوم والميراج التى حاولت حصارنا ونحن فى السماء ، وفشلت كل محاولاتها

وهبطت الهليكوبتر فى المنطقة المحددة ، واتجهنا الى منطقة المضيق بعد اصابة قائدنا ومساعده ، وقد وزع القائد مسئوليات القيادة على أربعة مقاتلين .

.. مجموعة بقيادتى ، ومجموعة ثانية بقيادة المقاتل معداوى ، ومجموعة ثالثة بقيادة المقاتل درويش ومجموعة

رابعة بقيادة المقاتل رفعت .

واستطعنا التجمع وتنظيم صفوف قواتننا ، وسيطرنا تماما فوق المضيق ، وانتخبنا من بيننا جماعة للاستطلاع ولم تظهر طوال يومين أى قوة مدرعة للعدو تحاول عبور المضيق لتفتح نيرانها على قواتنا الضارية الرئيسية بعد عبورها الى الشرق ، ومعنى ذلك استمرار تمركزنا فى سدر ، وكان الطعام قد فرغ منا ومثله المـاء ، والجو حار مشبع بالرطوبة ، فعشنا نتناول الاعشاب والثعابين وتركنا مناديلنا للندى مساء نعتصرها فى الصباح داخل أفواهنا لعلها تبلل جفاف حلوقنا ، حتى أكرمنـا الله باكتشاف بئر هى بئر « أبو جراد » .

وفى السابعة صبـاح احد الايام تقدمت مفرزة لواء مدرع للعدو ، واشتبكنا معها ودمرنا ١١ دبابة و٢ عربة مجنزرة وعربة جيب كان بها « القائد الاسرائيلى ابراهام مندلر » حيث أصابته قذيفة مباشرة ، وكان خارج عربته الجيب .. أطلقها المقاتل البطل ابراهيم ، بعد أن رصده منذ لحظة دخول مدى نيرانه .

وفى سرعة خارقة قام المقاتل ضياء بقيادة مجموعة من الرجال لتطويق العدو من الخلف ومنعه من الانسحاب ، وقد وجدوا عربة مجنزرة بها ١٢ فردا للعدو ، فجروها بالطلقات المضادة للدبابات .

ودارت معركة فى بطن الوادى واستشهد البطل رفعت وبجانبه الرقيب البطل صالح وتولى المقاتل سامى مكان رفعت ، وطهرنا الارض ، وحصلنا على وثائق عسـكرية هامة تتصل بالهجوم الاسرائيلى المضاد .

اخذ رجالنا القناصة بعد ذلك أماكنهم وقنصوا قنصا حرا ، وقاتلت وحدات الهاون مؤخرة للعدو وأجنـاب لوائه المدرع ، والتحمنا بـ ١٥ دبابة دمرنا منهـا ثمانى

دبابات ، وفى اليوم التالى دمرنا ١٢ دبابة ، بعدها وخلال ١٢ يوما من القتال كان الاسرائيليون قد خسروا ٢٣ دبابة جديدة .

وحاول العدو أن ينتقم فربط بعض جنوده بالاحزمة الجلدية فوق طائرات الهليكوبتر يطلقون مدافعهم الرشاشة أملا فى اصطيادنا ثم ألقى قنابل النابالم نهاراً وليلا ، واخيرا لجأ الى الصواريخ جو ـ أرض ، غير ان استطاعتنا وتصميمنا وارادتنا جعلت باب المضيق مغلقا أمام اى وحدة مدرعة له حاولت العبور لتواجه قواتنا البرية والمدرعة .

وتوقفنا لنسعف الجرحى ، وننظم صفوفنا وقد أخذنا مواقع واتجاهات جديدة ، بعد أن انتقلنا الى قاعدة دوريات مجاورة ، وخرجت مجموعة بقيادة البطل الشهيد المهدى للاستطلاع غير انه اشتبك مع العدو ، قاتل هو ورجاله الاربعة خمس ساعات ، ضد ٤٨ مشاة ميكانيكى اسرائيلى .

وفى يوم ١٤ اكتوبر فوجئنا بالمقاتل أبو النجا ، وقد قدم من الضفة الغربية يقود بضعة جمال حملت لنا الغذاء والذخيرة والماء ، وكان معه ثلاثة مقاتلين من سلاح الحدود « السنوسى وفراج وصالح » ، فوق الخمسين من العمر ، واستطاعوا السير خمسة أيام ، قطعوا خلالها ٤٥ كيلومترا ، ليلا فقط ، ليصلوا الينا وينقذونا بالذخيرة والمياه ، فالطعام لا يعد مشكلة امام مقاتل الصاعقة ، ثم عادوا الى الغرب بنفس الاسلوب مرة أخرى .

وقال لى المقاتل معداوى :

ـ أحلى ما حصلنا عليه من قافلة الامداد ، خطاب اشادة بقتالنا أرسله لنا العميد نبيل شكرى قائد قوات

الصاعقة ، وكان له فعل السحر في نفوسنا ومعنوياتنا ، ثم أرسل لنا خطابا ثانيا به بعض توجيهات القيادة قمنا على الفور بتنفيذها .

لقد جعلت هذه الخطابات اكثر جرحانا قادرين على التحرك والسير فوق أقدامهم ، بل وقاتل بعضهم حين وجدنا بعض الطيارين المصريين الذين قفزوا من طائراتهم بعد اصابتها ، ولحسن الحظ قفزوا في أرض تحت سيطرتنا وحافظنا على حياتهم بحياتنا ، حتى عادوا الى قواعدهم الجوية ، والى السماء مرة أخرى .

تحية لكم أيها العمالقة ، تحية لقتالكم الذى سيتوقف المرء عبر الاجيال القادمة امام اصالته ، ووقفة بالخشوع امام جسارتكم ، بكل الاكبار والتقدير سيظل شعبنا العربي شامخ الرأس موفور الكرامة بدمائكم ، بشهدائكم بقتالكم وانتم لا تستندون الى حائط ، واعتمادكم على ارادتكم الحديدية التي صممت على النصر واسترخصتم الروح من أجله ، فحققتم لنا اشرف وأغلى النصر .

معركة غريب وشنودة

وواجهت مجموعة من مقاتلى الصاعقة بقيادة «المقاتل غريب احمد » وحدات اسرائيلية مدرعة ميكانيكية ، اتجاه الشط شرق القناة ، فى هجوم مكثف مضاد . واشتبك رجالنا مع الدبابات الاسرائيلية وهى تحاول احتلال مصاطبها ، وفرغت ذخيرة البطل غريب ، فاعتلى اول دبابة . وحين فتح برجها اصيب فى ظهره . لكنه استطاع القاء قنابله اليدوية داخلها . فى تلك اللحظة كان « البطل شنودة » فاتحا رشاشه حاصدا لجنود العدو وقد قفز الى قائده ليحمله بعيدا عن منطقة القتل . واستشهد البطلان وكل منهما يحتضن الأخر.

وتوقف زحف دبابات العدو على الفور خلف الدبابة المدمرة بعد أن سدت الطريق . لتتلقى عشرات الطلقات الصاروخية من مقاتلى الصاعقة قناصى الدبابات .

واستمرت المعركة ، وتصاعد ايقاع الرجال ..

كانت قوات الصاعقة هى « الشرارة » عمليا فى الخطة بدر يوم ٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ ، فقد كلفت وحداتها بأولى المهام القتالية داخل عمق سيناء . قبل عبور قواتنا الرئيسية المشاة والمدرعة ، قناة السويس .

ولذلك عبرت وحدات انتحارية من الصاعقة مع آخر ضوء يوم ٥ اكتوبر ، الى خلف حصون بارليف ، وانتشرت بين نطاق دفاعات قوات العدو التكنيكية ، وقامت بأخطر

المهام قبل ان تفتح نيرانها وتقاتل معاركها الضـارية ، أشرف صفحات الفخار فى سجل قواتنا المسلحة .

قال لى المقاتل غنيم ، احد العقول العسكرية الشـابة التى اشتركت فى التخطيط لمهام الصاعقة :

كان لخطتنا عدة أهداف أبرزها وأهمها :

١ ـ الاشتباك مع العدو بالانقضاض عليه فى عمليـات هجومية مباغتة متعددة بحيث تجعله غير قادر على صد هجوم قواتنا الرئيسية بكل قواه ، وحتى تصبح مفـارز العبور المصرية المتقـدمة مالكة الحرية والحـركة التى تجعلها قادرة على تدعيم رءوس الكبارى والتمسك بها أمام مداخل سيناء .

٢ ـ جذب قـوات العدو اتجاه جنوب سيناء ، وهو محور ثانوى بالنسبة لهجومنا الشامل ، وهجوم وحدات الصاعقة على هذا القطاع يدفع اكبر حجم من القـوات الاسرائيلية المدرعة للتحول الى الجنوب ، وبالتالى لاتواجه قواتنـا الضارية فى الشمال قوات عدوة مكثفة .

وأخذت الصاعقة واجباتها وقد انتشر مقـاتلوها من الطور جنوبا حتى بور سعيد شمالا ، ومن الضفة الشرقية للقناة حتى عمق العدو تكتيكيا وتعبويا بمختلف الوسائل .. ابرار من الجو ومن البحر بالزوارق ، وبعض الوحدات قطعت مسافات طويلة سـيرا على الاقدام بلغت ٤٠ كيلومترا فى الذهاب فقط ، أما العودة فكانت أطول مسافة لانهم يسلكون طرقا غير مبـاشرة لتأمين الرجـال من احتمال مواجهة كمائن عدوة تنصب لهم .

ومع بداية تحرك القوات العدوة الرئيسية من العمق لنجدة الضفة الشرقية للقناة فوجئت هذه القوات بكمائن متعددة من مقاتلى الصاعقة على المحـاور الرئيسيـة فى سيناء تمنعهم من الوصول الى القناة ، مما قدم فرصـة

ضخمة لقواتنا البرية كي تحارب مراحلها الاولى بحرية ، ولذلك كانت هجمات العدو المضادة عبر تلك المراحل مستنزفة ، اذ وصلت قواته الى القناه بعد اشتباكات كثيرة على طول الطريق مع كمائن الصاعقة ، وفشلت بالضرورة عبر الساعات الاولى تلك الهجمات الاسرائيلية المضادة بهدف تدعيم وحماية حصون بارليف من التدمير والسقوط .

وفى اتجاه جنوب سيناء من ٦ حتى ١٣ اكتوبر عام ١٩٧٣ ، فوجىء العدو بظهور مجموعات الصاعقة بين جبال سيناء فى مناطق الطور وابار شراتيب للبترول ، ومنشآت البترول فى أبو رديس ،. ومناطق التعدين فى ابى زنيمة ، وراس ملعب ، ووادى غرنول وهو مضيق يمر بالطريق .

زيادة وصقال

والتحمت الصاعقة بقيادة المقاتل كمال مع عناصر النحال الاسرائيلية بجنوب سيناء ، واضطر العدو لدفع لواء مدرع للقضاء على موجات الصاعقة المتتالية ثم بلواء ميكانيكي وعناصر مظلات لتأمين أهدافه ، وماكان أحوجه الى هذه القوات لتقاتل قواتنا الرئيسية الضاربة فى اتجاه الشمال .

وقاتل فى هذه المعارك التى انتهت بغلق جميع مسالك جنوب سيناء أمام القوات الاسرائيلية « البطل زيادة » بعد أن دمر اتوبيسا كان يضم اكثر من ٦٠ فردا للعدو بين طيارين وقادة دبابات كانوا فى طريقهم الى قاعدتهم ، واستشهد أيضا « البطل صقال » وقد أحرق دبابتين سنتوريون ، وكان خارجا لتوه من معركة أخرى دمر فيها عربتين مدرعتين بأفرادها .

وفى معارك الصاعقة خلف حصون بارليف شـــمال وجنـــوب القنطرة ، ومواقع العــدو فى الكيلو متر ١٩ بجانبها ، سطر الرجال أخلد وأبرز المعارك الجســـورة الضارية حتى ارتفع العلم المصرى عاليا فوق القنطرة ، ونادى « المقاتل زين » معتليا مئذنة مسجد المدينة .. الله اكبر .. تحيا مصر .

لقد أسر رجالنا ١٧ فردا اسرائيليا خلال اللحظـــات الاولى لمعركة القنطرة شرق ، وكانت وحدات الصــاعقة بقيادة « المقاتل هيكل » تهاجم حصون ومواقع مدفعيـة العدو ومدرعاته وهى تحاول يائسة استرداد مداخــل المدينة ، وتشن الهجمات المضادة ضد رجالنــا ، لتقوم الطائرات الاسرائيلية بعد مدرعاتها بقصف المدينة شرقا وغربا ، وأبطالنا العمالقة يؤدون أولى مهامهم بكل اليقظة والمهارة والثقة المدفوعة بالايمان .. وقبل ان يأتى مساء ٦ اكتوبر ، أسر المقاتل « على » طيارا أسرائيليا انفجرت طائرته ، وقفز بالمظلة بين رجال الصاعقة بينما انفجرت ثلاث طائرات اسرائيلية أخرى بطياريها قبل أن تسقط فوق الارض .

وفى وسط الملاحات خلف الموقع الاسرائيلى بالكيلومتر ١٩ ، عند الـكاب شرق بعد القنطرة فى اتجا هبورسعيد تقدم العدو بأربع دبابات لتدعيم الموقع اثناء مهاجمته ، ودمر قناصو الدبابات من جنود الصــاعقة ثلاث دبابات وبقيت الرابعة تفتح رشاشاتها وتطلق قذائفها على المنطقة التى يتجمع فيها رجالنا ، وعلى الفور قام أحد ضباط الصف بالزحف نحو الدبابة ، تصرف شخصى تلقائى ، ثم ركبها ، وفتح برجها ورشـــاشـــه فى يده ، اجبر طاقم الدبابة الاسرائيلية على التسليم أحياء ، والدبابة ما زالت سليمة حتى اليوم فى أيدينا ، بمدخل بور سعيد .

قبل الساعة صفر

يقول المقاتل « عبد الرازق » قائد مجموعات الصاعقة التى قاتلت معركة القنطرة شرق :

ــ قبل العبور بساعتين جاء العــدو ببرج مراقبــة متحرك على عربة مدرعة امام الليدو شرق ليكشف نشاط قواتنا .. فى تلك اللحظات كانت الضفة الغربيــة تضم الاف الرجال من المقــاتلين الذين سيحملون شرف اولى موجات عبور القناة فى وضح النهار خلف الساتر الترابى الغربى ، يصارعون الزمن من اجل تمام عمليات التجهيز لمعدات العبوروالاسلحة والذخائر ، وعلى الفــور انتشر القادة الاصاغر بين رجالهم وأخــذوا يقذفون بالقوارب اسفل الساتر ويغطونها بفروع الاشجار ، بينما خرجت مجموعات أخرى من المقاتلين الى الترعة الموازية للقنـــاة يسبحون ويمرحون ، والبعض يتوضأ ويصلى ، وآخرون يمصون أعواد القصب ، وضـــابط يلعب الـكرة أعلى الساتر مع جنوده ، وهبط رجال العدو من برج المراقبة الحديدى المتحرك ، وانصرفوا من حيث أتوا ، وبعد وقت قصير رأينا قاذفاتنا الميج ١٧ تعبر القناة لتبــدأ مرحلة التمهيد بالهجوم الجوى ، وتقوم بضربة السيطرة الجوية وعلى الفور اندفع أول قواربنا الى الميــاه يحملنى ومعى بعض جنودى من الصاعقة وكان الجنود يجدفون بالكوريك المخصص للحفر لـكى تشق القوارب صفحة الماء بسرعة اكبر ، ولقد فتح العدو عندما شعر بموجات العبــــور الاولى نيران مدفعيته علينا ، فازداد الرجال قوة وبأسا وتعالت صيحات « الله اكبر » لحظة وصول أول موجة بشرية الى الضفة الشرقية ، وبدا القتال كالجحيم وقد فتح أبوابه ، ودفعات الرشاشات تختلط بانفجار القنابل وهدير جنـــازير دبابات العدو ، ٨ دبابات أخــذت تتقدم

صوبنا فدمر المقاتل « رزق » اولى هـذه الدبابات حين توسطت مدى التنشين أمامه ، وخرج منهـا الطاقم فحصدهم المقـاتل اسماعيل ، وفى الوقت نفسـه كان المقاتلون « محمود ، وشوقى ، ومحمد » يدمرون بقيـة الدبابات ويقتلون أفراد العدو من راكبى العربات المدرعة وبعضهم تركها وحاول الفرار عدوا ، واندفعنا الىطريق الهناجر خلف المدينة ، وبعضنا أخـذ يعمـل فى اقامة تجهيزات مواقع قتال لنا نواجه منها هجوم العدو المضاد المحسوب فى خطة الاحتمالات وكنا نتوقع هجوما واسعا مضادا للدبابات مدعما بطائرات الفانتوم ، بينما بقيـة الرجال يقاتلون بعض الدبابات المعادية التى ظهرت سريعا لتحاول الالتفاف حولنا وتطويقنا بالنيران ..

وجاءت طائرات العدو فى السـاعة الرابعة والنصف ظهرا وتعامل معها أبطال الدفاع الجوى بالصواريخ أرض ـ جو ، وكان لتساقط الفانتوم وسكاى هوك .. أمامنا فعل السحر فى نفوسنا ، وشعرنا بقرب النصر ، وانشحن الجميع بالثقة والقوة ، وكل موجة من طائرات العـدو تظهر فوقنا او فوق الضفة الغربية فى تشـكيل رباعى تسقط منها طائرتان أو تسقط كلها ، وقبل ان ينزل الليل كانت قوات المشاة بقيادة اللواء فؤاد عزيز غالى قد عبرت القناة لتقاتل معاركها الواسعة ، ويصعد الرجال فوق الدشم الحصينة فوق السلالم المصنوعة من الحبال المثبتة فى أوتاد حديدية لتساعد المشـاة بأسلحتهم على تسلق الساتر الترابى المرتفع الى ٣٠ مترا فى بعض النقط

واندفع المشاة فى احتلال مواقعهم عندما هبط الظلام استعدادا لمعارك أكثر ضراوة مع ظهور أول ضوء ، فمن المتوقع ان يحاول العدو بالطيران والمدفـعية والمدرعات استعادة المدينة .

كان بعض رجالنا من الصاعقة مصابين فى اذرعتهم وسيقانهم وقد رفضوا جميعا مبدأ الاخلاء ، واستمروا فى مواقعهم المتقدمة بعد ان اسهموا فى تدمير احتياطى العدو ومنعه من اختراق مدينة القنطرة ، وسيطروا على بعض مواقعه الحصينة وفجروها بالديناميت شديد الانفجار ، وأمامها أقمنا مقابر شهداء هذه المعارك الباسلة من الصاعقة والمشاة .

صباح ٧ اكتوبر

وقبل صباح يوم ٧ اكتوبر ظهرت قواتنا المدرعة تعبر القناة فوق كبارى العبور التى اقامها المهندسون ـ والمشاة تحرر النقط الاخرى من دشم وحصون بارليف بشهدائها وكانت جثث أفراد العدو تتساقط بين رجالنا وهم يطهرون مبنى مبنى ، والتفت احدنا وصرخ « العلم المصرى ارتفع فوق دشم العدو » .. ونزلت الدموع من عيوننا ، وانحنى البعض يقبل الارض ويبتلع رمالها ، واحسسنا بسيطرتنا على الموقف ، وبدأت عمليات القنص الحر لجنود العدو .

وتحركت وحداتنا فى مجموعات مختلفة الى عمق القنطرة ، ورجالنا يحفرون ويجهزون المواقع الجديدة فى كل منطقة نسيطر عليها لكى تستعملها دباباتنا بعد ذلك وحين صافحت اذاننا جنازير الدبابات المصرية تعالت الهتافات تملأ السماء والارض « الله اكبر » واندفع رجالنا لتأمين جوانب المدينة وفى كل متر نحرره يسقط لنا شهداء أعزاء ، كان العدو يختفى داخل المسجد ، وانقاض المبانى ، والبيوت المتهدمة ، وخلف الاشجار ، وفى عزبة الصفيح قبل ان تصل اليها نجدات اسرائيلية مدرعة من الكاب شرق ونتعامل معها بكل السيطرة

والاقتدار ، فى معركة مستمرة طوال النهار ، وبين ايدينا أسرى أحيـاء ، سرعان ما يتم نقلهم بواسطة أبطالنا من الصاعقة أيضا الى الضفة الغربية ، فالقاهرة .

المقاتل « شفيق » أسر وحده طاقم دبابة أحياء ، المقاتل جاب الله ، عاد بخمسة اسرائيلين جرحى ، وحـين جاء المساء كانت مجموعة الصاعقة فى جنوب القنطرة قد التفت حول المدينة وهاجمت المواقع الاسرائيلية المدعمة بالمدفعية وتقاتل فى دشمه العدو الحصينة رقم ٣ ولم تكن قد سقطت بعد ، ووحدة أخرى تقاتل فى الدشمة رقم ٤ والمشاة تندفع فى قتـال مرير أمام الساتر الترابى الشرقى وخلفـه لتدمير النقطتين الباقيتين ومدفعيتنا الثقيلة فى الغـرب تشتبك مع مدفعية العـدو فى عمق سيناء وطـائراتنا لا تتوقف عن قصف مسرح قواته الاحتياطية ومطـاراته ومناطق قيادته ومراكز سيطرته الالكترونية على قـواته بأكملها .

كان القتال لتحرير مسجد القنطرة مستمرا ، وقـد استطاع المقاتل جاب الله اخراج أفراد العدو أحياء من داخله فى أشد حالات الهلع والفزع وبعضهم يبكى رعبا ، وازدحمت شوارع القنطرة بجثث الاسرائيليين ، وأصوات الانفجارات تملأ شرق شمال سيناء وغرب القناة ، ذلك أن القتال بمختلف الاسلحة لم يهدأ لحظـة واحدة ، ومدفعية العدو الثقيلة تكثف نيرانها على المدينة فى محاولة لتدميرنا والحيلولة بين وحداتنا وبين التقدم عمقا وفى كل ساعة يرتفع عـدد الاسرى لدينا وأطباؤنا يعالجون الجرحى ويقومون بالعمليات الجـراحية وسط ساحة القتال ، والقنص الحر ضد أفراد العـدو فى كل مبنى بالمدينة ، والدبابات الاسرائيلية المحترقة تكومت بجانب بعضها أشبه بمقبرة فوق الارض للدبابات والمشاة والمدرعات

المصرية تنتشر وتتمركز فى أنحـــاء المسرح ، وقبل أن تنتصف ليلة ٨ أكتوبر قبل الثانية عشرة مساء كانت القوات الضاربة والصاعقة قد ســـيطرت على المدينة تماما ، واندفع المقاتل زين العابدين وسط طلقـــات الاضاءة يطلقها رجاله الى مئذنة مسجد القنطرة مؤذنا بأعلى صوته « الله أكبر الله أكبر .. تحررت القنطرة شرق .. تحيا مصر . تحيا مصر .. »

وجلسنا نتنفس عبير النصر ، وامتـــدت أيدينا الى الاشجار حولنا ، وأكلنا البرتقـــال الاخضر وكان مذاقه كالعسل فى أفواهنا .

مجموعة زيتون وبسيونى

وعلى الطريق الاوسط لسيناء والمحور الساحلى قاتل رجال الصاعقة بقيادة المقاتل زيتون لواء مدرعا للعدو ، ودمروه تماما فى جنوب رمانة ، وحصد رجال المقاتل حمدى عشرات من جنود دبابات العدو وهم يستعدون لقيادتها .

لقد فقد المقاتل « زيتون » ذراعه فى احدى المعـارك السابقة واشترك فى معارك ١٩٧٣ بذراع واحدة طـوال يومى ٦ و ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأحرق مع رجاله ١٨ دبابة فى صدام واحد وضربة واحدة بارعة .

وفى معركة أخرى جنوب شرق سيناء ، دمر رجال المقاتل بسيونى مرابض مدفعية العدو على ممر الجدى ومحطات الاعاقة والشوشرة الالكترونية فى اتجاه جبل المر ، وقطعوا خطوط مواصلاته لمدة ٦ أيام أمام قـوات الجيش الثالث البطل ، واشتبكت وحدات بسيونى مع احتياطى العدو الذى حاول أن يشن هجوما مضادا على قوات رأس الكوبرى للجيش الثالث ، ودارت معارك

ضارية بين مقاتلي الصاعقة ووحدات مدفعية العــــدو انهـــاوتزر المحمولة على شـــاسيهات دباباته ومدرعاته ومشاته الميكانيكية ، وقاتل رجالنا أجسر القتال وتساقطت الدانات والنيران كالامطـار فوق ابطـــالنا ، وأفـراد العدو يستسلمون طلبا للنجاة ويصرخون فى رعب بعربية ركيكة « الله أكبر يا مصريين الله أكبر » ..

قال لى المقاتل بسيونى « حين فرغت ذخيرة « البطل غريب ، وهو يواجه دبابات العـــدو ، صعد الى الدبابة المتقدمة وفتح برجها وألقى بقنابله داخلها .. لحظتهـــا أصيب بدفعة رشاش فى ظهره ، ورآه « المقاتل شنودة » فأسرع اليه وحمله فوق كتفه محاولا الابتعاد به عن منطقة القتل ، وفتح « شنودة » رشاشه على أفراد العدو من المشاة الميكانيكية ، وكانت معركة بطولية انتحارية جريئة مثيرة .. شنودة يقاتل حاملا قائده غريب جريحا حتى استشهدا معا وتوقفت دبابات العـــدو خلف الدبابات المحترقة وقد سدت الطريق ـ ليتعامل معها بقية مقـــاتلى السرية المصرية وترد العدو على أعقابه وتلحق به أكبر الخسائر وتسيطر على أرض المعركة ، وتتحرر منطقـــة الشط ـ شرق » .

مقدمة النصر

لقد قاتلوا وحافظوا على توقيتات معاركهم ، والتقـدم اقتحاما الى ما بعد الممرات فى الساعة المحـددة فـــوق خطط العمليات ، وكان أكثرهم حريصا على اختصـــار بعض الوقت من ٢٥ دقيقة الى ٣٥ دقيقة .. اختصروها من المدة الزمنية المخصصة لهجومهم ، وما فقـــــدوا أبدا عامل السيطرة طوال القتال والانقضاض الكاسح على العدو ، محررين أرضهم ، فاتحين نيرانهم ...

من عمق الضفة الغربية حتى الممرات

معركة الهجوم الشامل ـ الاسبوع الثاني من الحرب ..

« الاسبوع الثاني من الحرب .. »

من جنوب شرق سيناء ، أبعث بهذه الرسالة ...

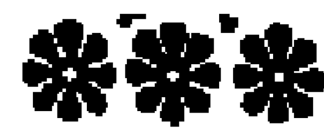
ان المعارك التصادمية فوق جبهة سيناء أصبحت أكثر اتساعا واستخداما لمعدلات أكبر من النيران ...

ان القتال الان أشد ضراوة برا وجوا وبحرا ـ لا دقيقة واحدة يتوقف خلالها اطلاق القذائف الصاروخية من قواتنا أو القوات العدوة .

ان المعركة بالنسبة لاسرائيل ـ معركة نهاية أو بقاء ، ولذلك هي تضع فيها أقصى ما تمدها به أمريكا من سلاح .

أن قواتنا تستعد لهجوم أشمل وأكبر ، وهو الهجوم لاحباط الهجوم المضاد .

أن القتال يتصاعد ... كما يرتفع ايقاع هجومنا في معارك صلدة .. هي أشرف معارك العسكرية المصرية على الاطلاق .



كان يفضي بأسرار كثيرة الي المقاتلين ..

أسرار كثيرة وخطيرة تتعلق بالقتال ـ ولم يخرج سر واحد منها الي العلانية علي الاطلاق .

ذلك لان ثقته في آلاف الجنود والضباط الذين كان

يطرح أمامهم رؤيته للمعركة ، ويفتح النيران على العـدو الاسرائيلى .. ثقته فيهم كانت تطاول السماء .

وارتفع الرجال جميعا الى مستوى المهمـة الوطنية المطروحة أمامهم ، ولم يردد مقاتل واحد مرة ثانية ، ما ذكره القائد الاعلى للقوات المسلحة فى لقاءاته بهم من تفاصيل أو معلومات .

انها احدى خصال الاصالة المصرية ـ والمفرزة البشرية لمناخ قواعدنا العسكرية ـ مناخ التماسك والاقتدار على تجاوز الضعف البشرى ، الى أقصى الصلابة والالتزام ، من أجل الهدف الاسمى .. هدف المعـركة وتحقيق النصر .

كانت ثقتهم فى نتائج قتالهم كالثقة فى تجـدد الليل والنهار ـ ثقة ـ هى المحصول الطبيعى لبرامج التدريب بالذخيرة الحية التى قطعتها قواتنـا طوال السنوات الماضية .

ولكن لماذا الحديث عن « التدريب » بينما القتـال مشتعل بين قواتنا وقوات العدو ؟!

ـ الاجابة ببساطة تقول ـ بأن القيادة العليا للقوات المسلحة ـ حين حشدت وحدات الموجة الاولى من الهجوم للرد على عدوان العدو فى البحر الاحمر كان أكثر هـذه الوحدات حتى صباح يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لا يعلم بساعة الصفر .. كانوا سيقومون بأحد مشروعات التدريب الكبرى ـ ولان التدريب يتم بالذخيرة الحية ـ وفى مسرح قتال لا يختلف اطلاقا عن المعـركة الحقيقية اذا نشبت ـ بل وفى الخطوط المتقدمة ـ فقـد صـدرت اليهم التعليمات بتنفيذ أبرز المهام الوطنية التاريخية .. قبل ساعات قليلة من الواحدة والنصف ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ـ اليوم الخالد فى صفحات العسكرية المصرية .

خطة محكمة السرية ، ذات تفاصيل ثرية بالتفوق فى نضج العقل العسكرى المصرى ـ ورؤيته الاعمق التى تجاوزت بمراحل طويلة ذكاء وقدرات القيادات العسكرية الاسرائيلية .

كانت هناك عملة ذات وجه واحد هى التى تعامل بها رجالنا ، مع العدو ، وواجب واحد متعدد الوجوه ، استوعبه الجميع قبل أن تصدر اليهم اشارة التحرك ، ولذلك لم يصدر قرار فرعى بعيد عن الواقع أو الامكانيات التى نملكها أو الارضية التى نقف فوقها أو الخلفية التى تعزز استعدادنا القتالى .. وبالتالى لا خطوة تطيش فى غير الاتجاه الصائب .

بعد ٧٢ ساعة

ان المفاجأة التكتيكية للعدو ممكنة على الدوام ، بالتنبؤ بعوامل التأثير فى المعركة وتصعيدها ـ وبذلك يستطيع القائد توجيه القتال حيث الوجهة التى يريدها .

ولقد امتلك قادتنا بعد أن بدأ العدو هجومه الغادر ، وأداروا من خلال مركز السيطرة والقوة فتح النيران على قوات العدو ، ووجهوا الضربات التى أخلت بتوازن قوات اسرائيل الضارية ـ وجعلتها تترنح طوال ٧٢ ساعة قبل أن تدفعها الى الانسحاب .

ان القتال فى جبهة سيناء ليس نزهة تقوم بها قواتنا ، انها تحرر الارض مترا مترا بشهدائها ، بكفاءة قتالها والعدو يدفع كل امكانياته وهى امكانيات أمريكا فى الواقع ـ لوقف اختراق قواتنا فى عمق مواقعه ووحداته المدرعة .

انى أكتب من القطاع الجنوبى فى شرق سيناء ، حيث كان لى شرف مرافقة وحدة مدرعة من قواتنا ـ ان ظروفا

جديدة نشأت هنا فى مسرح المعركة جعلت القتال يتصاعد ليملأ كل دقيقة من الوقت ـ القتال فى الجو بالطيران ، وفوق الصحراء بالمدرعات والمدفعية والمشاة الميكانيكية .

ان نوعية معارك الايام الاولى من الاسبوع الثانى للقتال تمثل مرحلة ذات اهمية محسوبة فى حرب الصحراء المكشوفة ولذلك كان من المهم جدا أن تملك وحداتنا الضاربة دوام امكانيات تحريك ذراعها داخل سيناء ، رغم كثافة طيران العدو فوقها ـ دوام الاحتفاظ بعناصر المبادأة فى عمليات تحركنا الهجومى ولمسافات طويلة ، وتحت ظروف بالغة الضراوة .. ولكن ليست كل هذه العوامل حدثا طارئا أمام قواتنا .. انها محسوبة كعمل مادى فوق موائد غرف العمليات والقيادات العسكرية المصرية ، ان قواتنا تقاتل بايمان قوى وفن عسكرى مقتدر ، وتتابع موجات هجومها عبورا واختراقا فى كفاءة ديناميكية راقية ـ وأكثر الرجال هنا حاربوا العدو خلال ٦٩/٧٠ ـ ويعرفون طبيعة أرضهم فى سيناء ، حتى المناطق التى لم تحرر بعد ـ خبروها من قبل ، ركبوا مواقعها الاسرائيلية ، وتوغلوا داخل عمقها ، وقاتلوا فوقها ، ورفعوا العلم المصرى عدة مرات فوق الدشم الهندسية الحصينة العدوة بعد تحويلها الى تراب .. ولكن حجم النيران اليوم يختلف عن نيران الامس ومعاركه المحدودة .

ان جنودنا يتحولون الى بحر من المشاعر الفياضة ، بأرقى الدوافع الملتهبة ، بخزين من العواطف نحو سيناء .. وهم يطهرون موقعا لينتقلوا الى آخر ، تحت قصف طيران العدو ومدفعيته ذات المدى البعيد .. رأيت جنودنا وهم يقبلون الرمال مبللة بدموعهم كأنهم عثروا على انسان غال فقدوه ، بعد لهاث من البحث والقلق والالم ،

مثل اب أخرجوه عنوة من بيته ، فرقــوا بينه وبين أطفاله ، ثم التقى بهم بعد طول عذاب ، وكانت حبـات رمال سيناء الممزوجة بالدموع والدم هى الابناء والامل والمستقبل ..

رأيت شعور الاب الذى خرج مقهورا من أرضه ، من بيته ، ثم عاد اليه بقوة السلاح ، فى عيون كل مقاتل عبر القناة ، فى ملامحهم الشـــابة ، فى دورانهم حول دشم العدو الاشبه بالقلاع ورءوسهم تسابق سيقانهم ، فى التزاحم على رفع العلم المصرى فوق أعلى مكان بالموقع المطهر ، فى مد الاسلاك التليفونية بين قياداتهم بالضفة الغربية ومواقعهم فى سينا ، فى أعمـــالهم الهجـومية الاستثنائية المجيدة ، تلك التى نصفها باختصار شديد فنطلق عليها « الاعمال الانتحارية » .

الهجوم المضاد

لم يعد فتح النيران بالدرجة الاولى من الاهمية فى الموقف العسكرى خلال هذه الايام ، انما المهم الان هـو الحفاظ على فعالية النيران طوال مراحل التقدم والالتفاف وتطويق العدو ..

ان العسكريين يقولون « ســوف يوجد دائما سباق عنيف عبر القتال بين القدرة على الاختراق وقدرة الطرف الاخر على وقفه وتجميده .. »

انها مسئوليات القتال .. التى توفر لموجات الهجوم خفة الحــركة ، والربط بين عوامل السرعة والوقت والمسافة ..

لقد نجح هجومنا ، وبات الواجب الان هـو الهجوم لاحباط الهجوم المضاد ، وستقع معارك تصادمية أشد عنفا من معارك الاسبوع الاول ، بين الاقتحام للاختراق

ومحاولة ايقافه .

ان المعارك التصادمية هي الاحداث الاساسية فى القتال ولهـا سمة الاعمال الحربية العصرية ، وفتحهـا تطلب أقصى امكانيات المبادرة واستقلال القيادات ـ أى تطبيق لا مركزية القيادة ، حيث يعمل قائد التشكيل القتالى بتصرف مطلق ، بناء على طبيعة المعركة التى يواجههـا والمعلومات المتوفرة لديه .

وفى المعارك التصادمية خلال الاسبوع الماضى اشترك الطيران الى جانب قواتنا المشاة الميكانيكية ، ووحدات الدبابات والمدفعية القادرة على المناورة المقتدرة فى أرض المعركة ، ولقد رأيت بعينى كيف فرضت وحداتنا ارادتها على العدو بأسلوب قتالى فاق ابتكارات وخفـــة حركة القوات المدرعة الاسرائيلية ، رغم حجمها الكبير ، وحجم نيرانها وقوة طيرانها المساند .

تلك هى خصال المقاتل المصرى النابعة عن أيمانه بشرعية قتاله .

ان ضراوة النيران فى المعركة التصادمية هى التحصيل الطبيعى لما حدث من تغيير جذرى فى الاسلحة الصاروخية الكبيرة المدى والتأثير التدميرى مما أتاح للقوات استخدام معدلات كبيرة من النيران داخل سيناء ، واتساعا على الجبهة ، وبالتالى أصبح متعذرا حصر المعركة فى مساحات أو أيام محدودة .

الحديث مع بعض القادة هنا يملأ الروح ثقة وأملا ، والحشد واسع للطـــاقات تقع عليه العين أينما وليت الرؤيا ، وأولويات تطل برأسها لما بعد عمليات التطهير ، وحسابات تتجدد باستمرار وكل لحظـــة ، تفرض انجازات تكنولوجية وبشرية لا تتوقف ، لا تراخى لثانية من الوقت . ان المتابعة لامكانيات العدو مستمرة والى

أقصى حد مستطاع ـ عمل بالغ الاهمية والخطورة يقوم به رجال الاستطلاع لاستقصاء ظهر وباطن الارض التى تسيطر عليها القوات الاسرائيلية .

ان القادة الابطال يحرصون على توجيه النقـــــد المستمر لنشاطهم القتالى فى الميدان ـ ان هذا النقـد ينتقل الى أكبر المستويات القيادية ، فيمثل حجر الزاوية الايجابية فى معركتنا ، بل يمثل أشرف المنافسة الذكية الناضجة فى ادارة النيران بين مختلف وحداتنا المهاجمة .

ان مواجهة الثغرات والعقبات وتحليل أسبابها سريعا، وتكشف عواملهـــا لتجـاوزها هى القضية التى تفجـر الطاقات الخلاقة الكامنة فى أرواح رجالنـــــا وتمنحهم الابتكارات الدقيقة فى القتال الكاسح المفـــاجىء السريع داخل قلب مواقع العدو وعمقه ، فتجعــــله يتخبط فى محاولات الدفاع والهجوم المضاد .

الاسلحة المشتركة

ان المعـــــركة التى تدور الان من أجل تحرير سيناء هى معركة الاسلحة المشتركة ـ لقد أدت المدفعية دورها البارز فى البداية ولا زالت تؤديه حتى هذه اللحظة .

ان فعالية هجوم المدفعية لا تتوقف على عدد المدافع فحسب بل على فتح النيران المركزة الدقيقة ضـــــد العمق التكتيكى لدفاعات العدو ـ ستائر النيران الزاحفـة التى تقذف بها مدفعيتنا ثم تحريك هذه الستائر بوثبات عالية داخل سيناء ، مهدت الطريق أمام الوحدات البرية فى تحركها الهجومى وفى معاركها التصادمية ، بل ومن قبل مهدت لعبور قواتنا مياه القناة ، بالاشتراك مع سلاحنا الجوى .. لتركب القوات الخاصة ، مواقع خط بارليف

الحصينة الاشبه بالقلاع ويقوموا بانقضاضهم المفـاجىء الكاسح السريع القتال بالرشاشات وبالسلاح الابيض .

وفى نفس الوقت كانت قوات الموجة الاولى من الهجوم تعبر المياه تقدما الى الارض الاسيرة بينما القوات الخاصة خلفها تقوم بالهجوم على قوات العدو المتمركزة مع أحدث الاسلحة الصاروخية فى دشم بارليف ـ معركة من أشرف معاركنا قامت بها الوحدات الخاصة ـ وقدم الرجال خلالها أغلى التضحيات لكى يتم عبـور قوات المشـاة الميكانيكية والمدرعات والمدفعية الى سيناء ـ وتفتح نيرانها من البر ـ بينما قواتنا البحرية فى البحر شمالا ، امام الشاطىء الشرقى لخليج السويس ، تقوم بهجماتهـا المؤثرة على مراكز تجمعات القوات الاسرائيلية فى بالوظـة ورأس سدر وتدخل فى عدة معارك فرعية مع بحـرية العدو ـ ويحقق البحريون المصريون كما حققوا من قبل فى معارك لم يكشف عنهـا الستار حتى اليوم « كنا فى الأسبوع الثانى من الحرب » اقتدارا وتفوقا وهجـوما حاسما ـ على أمتن حواجز وموانع قوات اسرائيل .

وتشتعل سيناء بالنيران ، وبروح تعانق الحياة وبارادة تستوعب كل ما حولها ، وبعطاء النفس المصرية العريقة المتأصلة صلابة ونضـالا يقيم المهندسون العسكريون الجسور والمعابر بين الضفتين الغربية والشرقية ـ وتتدفق الموجات التالية للهجوم ويتحول الميدان الى أتون مستعر ، ورجالنا يقاتلون كهدير بشرى صاخب مقتـدر خلاق ، وتتدعم واجبات التعزيز ، وتصبح قوات اسرائيل التى لا تقهر ـ عديمة الجدوى ـ وتتحول مواقعهم القتـالية الحصينة الى أرض مفتوحة أمام قواتنا ..

ويرتفع ايقاع الهجوم ..

المقاتل المترجل في الصحراء العارية

تحولت الرمال الصفراء الى سوداء .. والتفت صحراء سيناء فى ستائر ضخمة من الدخان الاسود .. وهدير جنازير الدبابات وانفجارات القنابل يصم الاذان ، وتساقطت النيران أشبه بكتل ضخمة متكورة مشتعلة من الصلب ، تلقيها الطائرات أو ترسلها دانات الدبابات والمدفعيات الصاروخية ، وتصلبت أجساد الرجال كأنهم ولدوا تلك اللحظة ، ولتلك اللحظة فقط ، وامتزجت رائحة الدخان والدم برائحة البارود وشحومات المعدات الجديدة التى جاء بها العدو سريعا كنجدة ، لتحترق تحت قصف مكثف من المشاة المصريين .. أولئكم العمالقة الذين وصفتهم الصحافة العالمية « باللحم فى مواجهة الصلب » أبلغ وأصدق تعبير كتبته أقلام الغرب خلال الايام الاولى من حرب رمضان الماجدة ، مقاتل المشاة المترجل بسلاحه الصغير فى مواجهة دبابات حديثة صنع أمريكا ، وينتصر الجندى المشاة وتحترق الدبابات العدوة ، ويقفز أفرادها من الاحياء ليصرخوا بعربية ركيكة « فى عرضك يا مصرى » !!

بدأت معارك قوات المشاة المصرية ضد الدبابات الاسرائيلية ـ منذ لحظات الالتحام الاولى فوق الضفة الشرقية وقواتنا تهاجم حصون بارليف بينما وحدات اخرى تقوم بتلغيم مصاطب الدبابات المعدة بها ، وتشتبك المشاة مع المدرعات الاسرائيلية التى قدمت بأعداد كبيرة

لمواجهة هجومنا وكسره ، ورد القوات المصرية الى الغرب ولم تكن قيادتها العدوة تتوقع هجوم المشاه المصريين ضد دباباتها بهذا القدر من السيطرة وامكانيات التــــدريب والاقتدار الهجومي .

وللحقيقة كان هجوما مكثفا ضخما لتدمير نجدات العدو من المدرعات ، والاحتياطي المحلي الاسرائيلي المدرع ، ثم الاحتياطي التكتيكي ، وتطوير الهجوم بعــــد ذلك لتدمير دبابات الاحتياطي الاستراتيجي في عمق قوات العــــدو ، وكانت قوات الصاعقة قد انتشرت خلف خطوطه وبدأت هجومها على الاحتياطي التعبوي والاستراتيجي الاسرائيلي المدرع ، منذ الساعة صفر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، بعد ان تمركزت في أرض هجومها بسيناء وقد عبرت ميــاه القناة سرا ، قبل أن تنتصف ليلة ٦ أكتوبر ، تنفيـــذا لمخطط الهجوم الشامل .

قامت قوات المشاة بهجومها على طول خط المواجهـــة بأكملها من جنوب القناة شرق حتى رأس العش شمالا ، وقد تزود مقاتل المشاة بالسلاح الصاروخي الخفيف المضاد للدروع ، مالكا لاكبر قسط من خبرات التدريب ، فأعطى مؤشرات النجاح المطرد بعد ٦ ساعات من هجومنا العام ، وكانت معارك « اللحم ضد الصلب » صفحة مشرفة للفكر العسكري المصري ــ صفحة تفخر بها أجيال شعبنا ، أعدتها قيادتنا العسكرية بأقصى السرية تخطيطا وتجهيزا وتدريبا وتنفيذا ، على ذلك المستوى الكبير الذى برز في يوم عصرنا الخالد ، ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وكانت مفاجأة الحرب التى أهدتها قواتنا لقيادات وجيوش العالم ، وفي الدرجة الاولى قوات العدو ، اهدتها وزنا عسكريا جديدا ، وانقلابا جريئا ، في عمليات قوات المشاة المترجلة . . حين صــدرت الصيحات العالية في دول الغــــرب « بأن المصريين قضوا

تماما على دور الدبابة فى الحرب ! »

كانت ضراوة هجوم مشاتنا ، قد جعلتهم يتخبطون فى اصدار التفسيرات العسكرية لنتائج قتالنا ...

القائد .. والجنود

لقد تميزت معارك قوات المشاة المصرية فى حرب تحرير سيناء عام ١٩٧٣ بهدير بشرى خاص ، فظل هجومنا قبل أن يتدعم بالدبابات والمدفعيات عابرة فوق كبارى العبور التى أقامها سلاح المهندسين ، مكتسحا صاخيا متفانيا مقتدرا خلاقا ، وقبل نهاية الساعة الرابعة ، أى بعد الهجوم بساعتين ، بدت ملامح السيطرة التى توطدت ساعة بعد أخرى ، بمزيد من الاقتحام والتقدم والتوغل الى تشكيلات العدو ، وهى تقوم بهجومها المضاد ، ورجالنا يقاتلون فى تفان ملتزم بعقيدة وفكر وقد زادتهم انتصارات الساعات الاولى تواضعا حيويا ، وتآخيا عاليا ، وتعاونا راقيا ، عززه الدم المشترك الذى انسال يروى الرمال المتعطشة للتحرير .

قال لى بعض الجنود ، ونحن نتناول وجبة عشاء ساخنة فى الاسبوع الثانى للحرب فوق منطقة طوسوم شرقا :

ـ « اذا كانت سنوات الصبر والصمت قد أنتجت الكثير من الاعمال العسكرية الخالدة بين تشكيلات قواتنا ، فقد أعطت فى المقدمة أنقى المناخ البشرى الذى تنفسناه جيدا ، والبيئة العسكرية المتجانسة التى تجاوزت ضعف الانسان ومثالبه ، فأنبتت المقاتل المصرى المدعم بالايمان ـ المزود بكفاءة علوم التدريب وخبراته ، المتفهم لشرعية قتاله ، بل ووثقت تلك البيئة عقليا ومعنويا وروحيا وقتاليا بين الضابط والجندى ، بين القادة والجنود ، وصنعت

من ذلك التلاحم حقيقة ناصعة كالشمس والقمر هى روح ٦ أكتوبر ، حيث تقدم القادة جنودهم منذ اللحظة الاولى للهجوم فنشر هذا الاسلوب القيادى الميدانى أعظم الاثر المعنوى لدى الجنود ، حين تحولوا الى موجات بشرية أشبه بجدران الصلب المتحركة لا يوقف زحفها أو هجومها شىء على الاطلاق ، كماء السدود المنطلقة بعد طول احتجاز تكتسح ما يعترضها وتطويه ، والله فوقنا يزودنا بالحماية والاستطاعة والفطنة والابداع » .

وتفسير هذه المعانى التى حدثنى بها جنودنا ، يظهر عمليا فى نسبة شهدائنا من القادة والضباط ، لقد صعد الى رحاب الله عدد ليس بقليل من أبطالنا ، قادة كتائب وقادة لواءات ، بل وقائد فرقة أيضا .. لانهم كانوا فى مقدمة جنودهم يقاتلون العدو ، ويقودون وحداتهم أو تشكيلاتهم الكبيرة ، وهم فى طليعة المفارز الامامية للهجوم ، لا فى مراكز القيادة بالمؤخرات .

ولقد وقف القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات مع اعضاء مجلس الشعب والوزراء وقيادات الاتحاد الاشتراكى العربى . يكرمون سيرة القادة المصريين من عمالقة شهدائنا ، الخالدين فوق صفحات نضال شعبنا الموصول منذ أبطال الاساطير الاولين ، وقد جادوا بالحياة لتبقى لنا الحياة استرخصوا الروح ، بذلوها فدية وجزية للنصر ، وكانوا فى بذلهم يتسابقون .

اللواء البطل الشهيد شفيق مترى سدراك مقاتل المشاة الذى حارب معركته بالقطاع الاوسط بسيناء ، وقد استشهد يوم « ٩ » أكتوبر ١٩٧٣ ، وكان يتقدم قواته بمسافة كيلو مترا داخل عمق بلغ مداه ما يقرب من ١٤ كيلو مترا فى سيناء .

العميد البطل مقاتل المشاة عادل يسرى ، الذى تشرف

بفقد ساقه اليسرى وهو يقود معركة هجوم مضـــاد على مسافة ١٩ كيلو مترا ورفض أن يخلي للخلف ، وظـل يقود قواته ويصدر تعليماته ، ويضع الرمال فوق الاصابة ليمنع نزيف الدم طوال ٤ ساعات حتى نقلوه عنوة بعد ذلك الى المستشفى بعد أن نجح هجوم رجاله ، وأجروا له تسع عمليات جراحية لتلوث الاصابة .

ان الكلمة مهما بلغت من عطاء التعبير لا تستطيع أن تبلغ شجاعة وثبات وصلابة وأعصاب هذا القائد وقد شـــهد الاصابة عشرات المقاتلين حوله .

وحين حملوه الى سيارة مدرعة ، رفض أن يركب معه أحد من ضباطه ، رافقه أحد جنوده وسائق العربة فقط .

ويروى السائق :

سالنى القائد : هل تعرف الطريق ، ستتحرك وحدك .

قلت/آسفا : لا .

وكان الجندى المرافق لنا ، لا يعلم مثلي معالم هـــذا القطاع من سيناء ، ومضى وقت طويل على الاصابة ، والليل يوشك أن يلف الصحراء ، واذا « بالعقيد عادل » برشدنا الى الطريق وهو طريح أرض العربة المدرعة ، من خـلال معرفته بطبيعة الارض ، مستعينا بالنجوم ، حتى قادنا الى كوبرى العبور ، وقد قطعنا ثلاثين كيلو مترا ، حيث نقل الى أحد مستشفيات الميـــدان تحت الأرض ، ثم مستشفى القصاصين ، فالمعادى وهناك أجريت له بقيـة العمليات الجراحية التسع » .

الفرقة البطلة ١٦ مشاة

ان معارك الدبابات والمشاة فى القطاع الاوسط من سيناء هى أبرز معارك العصر ، وقد شدت انتباه العالم « قيادات عسكرية وصحافة ووكالات أنباء » طوال عشرة أيام خالدة،

لم تفقد قواتنا خلالها سيطرتها وضراوة هجومها وتطهيرها للأرض الأسيرة بقيادة البطل اللواء عبد رب النبى حافظ وكان له أيضا شرف الاصابة .

ان الحرب العالمية الثانية ، وما بعدها من حروب لم تشهد معركة بمثل هذا الحجم من النيران والمفاجأة .

نعود الى البدء ، الى الساعة الواحدة والدقيقة ٤٥ ، من ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فى محاولة للاقتراب من معارك « النسق الاول للفرقة البطلة ١٦ مشاة » التى قامت بواجب القتال والهجوم ثم الهجوم لاحباط الهجوم المضاد

قبل الساعة ٢ من ظهر أمجد أيامنا بحوالى ١٥ دقيقة عبرت ثلاث كتائب مشاة هى وحدات « قوة لواء » بقيادة العقيد البطل عادل يسرى ، مياه القناة الى الضفة الشرقية حيث أخذت المفارز الامامية للقوات اتجاه نقط العدو القوية على اجناب ، يسار القطاع .

قهرت قواتنا الساتر الترابى الشرقى ، وارتفاعه فى هذه المنطقة حتى شمال القناة يبلغ من ١٨ حتى ٣٠ مترا ، وبعد الانقضاض على قوات العدو فى النقط الحصينة ـ دشم خط بارليف ـ واجهت مفارز متقدمة أخرى من مشاتنا قوات عدوة تشكيلها كالآتى :

قوات اسرائيلية احتياطية تتواجد فى العمق القريب ، وتتكون من عناصر دبابات ومشاة ميكانيكية يمكنها أن تتدخل وتهاجم فى فترة زمنية من عشرين الى ٣٠ دقيقة ، وذلك تحت ستر طائراتها ، ومدفعيتها بعيدة المدى فى العمق البعيد ..

ـ احتياطى محلى .
ـ احتياطى تكتيكى .
ـ احتياطى تعبوى .

وهناك فروق فى حجم كل من هذه القوات ، وحجم

نيرانها ، والزمن الذى تستغرقه لكى يمكنها التدخل بهجوم مضاد ، فضلا عن ان قوات الاحتياطى التعبوى للعـــدو الاسرائيلى تصل فى بعض القطـــاعات الى مجمـوعات عمليات .

لقاء مع البطل

يقول لى الرجل ، وأصابعه تنقر فوق ساقه المقطوعة ، ورنة الفخر والتفاؤل تملأ صوته ، والابتسامة لا تغادر ملامح وجهه :

« الحديث هذا دار بيننا فى بداية عام ١٩٧٤ »

ـ « أهم من المعركة بالنسبة لنا كمقاتلين كان الاعداد للمعركة ، وطوال السنوات المـــاضية الى جانب الاعداد النفسى المستمر استمر التدريب ليلا ونهارا وبواقعية كاملة ، وبالنسبة للمشاة تركز التدريب بالدرجة الاولى فى تدمير دبابات ومدرعات العدو دون أن تساند مشاتنا دبابات مصرية ، وكان القادة يبتكرون ويبتدعون خـلال سنوات الصبر والصمت ، للتغلب على نقص الاجهزة ، بل طور بعض المقاتلين فى أسلحة موجودة بين أيدينا فعلا ، وكانت المدافع المضادة للدبابات « ب ١٠ و ب ١١ » ووزن المدفع بذخيرته يصـــل الى نصف طن .. تمثل أمامنا مشكلة ، كيف نعبر فوق الساتر الترابى وارتفاعه من ١٨ الى ٣٠ مترا .. ؟ كيف نعبر هذا الســـاتر بالعربات اليدوية الحاملة للذخيرة والالغام ؟! ..

، وعملت العقول العسكرية التى حملت شرف الواجب معى وجهزت فى قوارب العبور تجهيزة خاصة بحيث يرقد المدفع فوق القارب وبسلالم حبال نرفعه فوق الساتر ، ورغم بدائية هذا الابتكار الا أنه أثبت ايجابيته ونجاحه ، اثنان من المقاتلين كل مقاتل يحمل سلما من الحبـــل ،

ومقاتل ثالث يصعد الساتر ويلقى بالسلم من أعلى ، بعد تثبيته بأوتاد متينة ، ثم يلقى أيضا بحبلين عاديين بجانب السلالم الحبال ، ويربط الرجال ماسورة المدفع وعجلاته على السلالم وتجرى كل عجلة صاعدة على حبل من الحبلين العاديين والجنود خلف مدافعهم .

وأجريت التدريبات على ساتر ترابى بنفس حجم ساتر العدو ، بل وقمنا بالتدريبات فى بعض الفترات بجزيرة البلاح ، وبعرض مماثل لعرض القناة ، وحسبنا الازمنة التى استغرقتها وحداتنا فى حمل المدافع وثقلها ، وفى حمل الالغام والذخيرة ، وتكتيك رص الالغام أمام قوات العدو بعد العبور ، الى سيناء لتأمين وقفة قواتنا التكتيكية ، وصد الهجوم المضاد الذى ستحاول اسرائيل شنه بكل طاقاتها لاعادتنا مهزومين الى الضفة الغربية !!

ان رجالى من المشاة والمهندسين قاموا بعد العبور برص عشرات المئات من الالغام المضادة للدبابات أمام الارض التى ستمر عليها دبابات العدو لملاقاتنا ، والعدو خطط من قبل وفوق الارض أيضا طريق ومناطق قواته الساترة ، وطريق ومناطق الهجوم المضاد .. كل صغيرة وكبيرة خططها لوحداته فوق الارض وليس على الورق فقط ، هكذا رأينا ، وروى عنه الاسرى من الضباط ، ولذلك من الخطأ القول بأن اسرائيل آمنت بأن قواتنا المسلحة لن تعبر سيناء مرة أخرى .. كان عبورنا فى حساباتهم وتوقعاتهم .

لقد ابتكر الضباط والجنود خلال التدريب مبتكرات هامة ليوم العبور ، ابتكروا وسائل اضاءة لكل الاسلحة لاستخدامها ليلا بكفاءة عالية ، ابتكروا شدة القتال « ملابس المقاتل » التى يرتديها لحظة الهجوم وبدء تحرير سيناء ، شدة قتال مصرية تحمل احتياجاته لمدة ٤٨

ساعة من ذخيرة وأطعمة جافة وأدوات اسعاف ، وقد ارتداها الضابط والجندي معا ، وكانت رائعة .

وعلى ضوء التدريب قبل العبور أخذت تنكشف أمامنا احتياجاتنا الرئيسية .

وضعنا أسسا تكتيكية لاقتحام الموانع المائية تعتبر من الاسس الجديدة فى العالم .

- فى البداية يقتحم قائد قوة اللواء فى مقدمة ضباطه وجنوده كذلك قائد الفرقة .. تطبيقا لمبدأ تواجد القائد مع الجزء الاغلب من قواته ، وفى اتجاه المجهود الرئيسى، ولذلك أستشهد فى هذه الحرب عدد ليس بقليل من القادة .

وقد عبر القادة مترجلون لا فى عربات لاسلكى أو عربات قيادة ، وحمل الجنود أجهزة الاشارة فوق ظهورهم، وكان عدد من الضباط قد تدرب على قيادة الموتوسيكلات .

كل دبابة حملت متفجرات معها لايجاد حفرة لها فى سيناء بالتفجير بدلا من البلدوزرات قبل ذلك كان التدريب على قنص الدبابات الاسرائيلية ، وقد قام به مقاتلونا بأكبر قدر من المفاجأة للعدو .

فى الضفة الغربية وطوال سنوات الصبر والصمت الماضية أقمنا مدارس صغيرة لابناء الفلاحين بالمنطقة ، هؤلاء الفلاحين لعبوا دورا هاما فى الحرب ، ظلوا حماة أمن لنشاطنا ، ويوم العبور كانت الامهات والزوجات من الفلاحات على الضفة الغربية يطلقن الزغاريد ، ونداء الله أكبر يزلزل الارض أمامنا .

من الدفاع للهجوم ..

ثمة اعتبار هام آخر من عوامل نجاح العبور وهو « الخداع » ولفترة طويلة .. وفقا لخطة حتى أعتقد

الجميع أن قواتنا لن تحارب معركتها ، وانعكس هـذا الوضع على العدو ، وبات توقيت القتـال سرا كبيرا لا يعرفه أحد . وطوال ٦ شهور قبل الحرب كنا نجهز في عمليات التخطيط ..

كانت قواتنا فى أوضاع دفاع . وعلى مواجهة واسعة ، ولابد من تغيير الاوضاع الى وضع هجوم ، ويحتاج هذا التغيير الى تجهيز هندسى يستغرق ٣ شهور بحيث لا يشعر العدو به ، وقبل موعد الهجوم بيومين تكدس السلاح لدينا ولابد من اخفائه ، وبأسلوب يسهل عملية اخراجه للاستعمال ، وتطلب هذا العمل تجهيزا هندسيا آخرا ..

استمر استطلاعنا للعدو حتى الساعة صفر ، استطلع رجالنا السواتر الترابية الاسرائيلية طوال ٣ شـهور متصلة حتى الواحدة والنصف من ظهر ٦ أكتـوبر ، استطلعوا المناطق الصالحة لارساء الكبارى والصالحة للمعدات ، وأعد المهنـدسون ماكينات لها ، استطلعوا حقول الالغام فى الضفة الشرقية .. ويوم الهجوم عاد جنودى بـ ٢١ لغم حملوها فى هدوء تام من منطقة مواجهة معدة لفتح ثغرة بها فى خطة الانقضاض .

وفى صباح اليوم الخالد ، كنـا قد انتهينا من اعداد منازل فى الضفة الغربية لكتيبة دبابات برمائية ولم يفطن العدو اليها .. لقد حسب العدو أن دباباتنا لن تستطيع العبور قبل ٨ ساعات من بدء هجـومنا .. هكذا قال الاسرى من ضباطه ، وفوجىء بكتيبة دبابات كاملة الساعة ٢ ظهرا يوم ٦ أكتوبر فوق الضفة الشرقية ، وكانت كتيبة الدبابات البرمائية التى حفرنا لها منازلها حتى صباح يوم العبور وقلبت جميع موازينه !

قلت للرجل :

ـ حدثني أكثر عن الايام القليلة السابقة للهجوم ، ان الجماهير عطشى لتفـاصيل هذه الساعات التي سبقت الميلاد العظيم .

طوال ٣ ليال وجزء من نهار ٦ اكتوبر ، والقيادات تعمل فى اعادة تجميع القوات للهجوم ، وهى عمليـة من أصعب المهام ، لانها تتم تحت اخفاء الهـدف الحقيقى للتجميع ، وقد استمر بعربات فردية ، وقوات تحركت نهاراً حتى يقتنع العدو بأننا نعـد لمشروع تدريب ،وطوال هذه الليالى أخـذت المدفعية المصرية أوضاعها لضرب احتياطيات العدو فى عمق سيناء ، وتجمعت وحـدات الدفاع الجوى البطل ، تحت ستر هذا النشاط ، وفى الوقت المحدد وصلت قوارب العبور وتوزعت ليلا فى حفر مجهزة لها مغطاة بألواح الصـاج والرمال ، واعلنت ساعة « س » بتسلسل معين ، كل مستوى قتالى عرفه فى توقيت محدد .

وجاءت طائراتنا وضربت ضربة السيطرة ٢ ظهرا ثم عاودت القصف ٥ مساء .

كانت مفارز اقتناص الدبابات العدوة ومعها أسحلتها مدى قريب ومدى بعيد ، خلال نصف ساعة قبـل الهجوم جاهزة للعمل ، وبدأت عملية انزال القوارب وازالة العوائق التى وضعناها من قبل أمام الفتحات فى ساترنا الترابى الغربى ، وفى الوقت نفسه فتحت مدافعنـا نيرانها بحجم مكثف على نقط العدو القـوية ، وردت مدفعية العدو بعـد نصف ساعة تقريبا ، وعبرت مجموعات الصاعقة والتحمت باحتيـاطى العدو خلف خطوطه ، ثم عبرت السرايا الامامية للمشـاة ، وبدأت المعـركة وقد اشتعلت الضفتين الشرقية والغربية بالنيران .

فى الخطة العامة للهجوم كانت هناك « وقفة تكتيكية » على بعد ٨ كيلو من الضفة الشرقية ـ لضرب جميع احتياطات العدو المدرعة ، وخلال هذه الوقفة تتم مهام سلاح المهندسين ، وتصل المعدات الثقيلة ، ثم يتطور هجومنا .

وقد عبرنا فى نصف الزمن المقدر لنا ، وهاجم رجال مشاتنا مدرعات العدو فى مناطق تمركزها وداخل تجهيزاتها الهندسية المحصنة وحققنا سرعة عالية فى الهجوم الفريد ، مشاة مترجلة تهاجم دبابات متمركزة ، سرعة فاقت جميع المعدلات العالية !

وتعامل معنا طيران العدو حوالى الخامسة مساء حتى السادسة ، ركز فى البداية على الغرب وسلاح المهندسين، وأسقطت المدافع المضادة للطائرات ثلاث طائرات للعدو عبر اللحظات الاولى للهجوم علينا ، ثم توالى سقوط طائراته طوال الحرب بفضل كفاءة واقتدار سلاح الدفاع الجوى العملاق .

ان المعركة فى الدرجة الاولى كانت معركة « الفرد المقاتل » العقائدى المؤمن المدرب تدريبا عاليا » .

نجمة سيناء

لقد أهدانى القائد الاعلى للقوات المسلحة وسام نجمة سيناء ، هو فى الحقيقة تقديرا لقتال جنودى ، فلست غير رمز لهم ..

رمز للمقاتل حمدى الذى استشهد وهو يلتحم بدبابة للعدو بعد أن دمر عددا كبيرا منها ، لعاطف ، لمحسن ، للدمرداش لعلم ، لانيس بطل الاشارة الذى أستشهد وهو على عمق ١٨ كيلو مترا بجانب القائد لحسين عبد العزيز الذى قاتل وهو يحمل امعائه بيده ، ورفض

القاء السلاح وصعدت روحه الى الخالق ويده قابضة على رشاشه .. ويده الاخرى تجمع أمعائه المصابة .

وجاءت ليلة ٧ أكتوبر ، وحاولت عربات العدو المدرعة وجنازيرها مغطاة بكاوتش ، استطلاع قواتنا ودفع بكمائن حولنا ، كمين للعدو بلغ مسافة ٨٠٠ مترا من قواتنا ، فقام المقاتل أحمد سليمان على الفور وبعض الجنود ودمر عربات ودبابات الكمين ، تصرف ذاتي ناضج قادر دائما على العطاء والبذل .

جاءت بعد ذلك دبابات العدو وشنت هجوما مضادا ودارت معارك المشاة ضد الدبابات فى أعتى صور الضراوة والالتحام ـ اللحم فى مواجهة الصلب .

ومع أول ضوء يوم ٧ أكتوبر تعاملت طائرات العدو معنا ، وتساقطت أمام مدفعية الدفاع الجوى المحمولة والمنقولة ، وفتحت مدفعيته الثقيلة من عمق سيناء نيرانها ، ثم تكررت الهجمات المضادة بالمدرعات والمشاة الميكانيكية فى محاولة لنشر الدبابات العدوة حول رأس كوبرى قواتنا ، التى أخذت تستقبل تدفق المعدات الثقيلة قادمة من الضفة الغربية .

وبين قنابل طائرات العدو ، بلغ وزن بعضها أربعة آلاف كيلو جرام أى ٤ أطنان للقنبلة الواحدة .

وفى يوم ٨ اكتوبر بدأنا تطوير الهجوم ، ورأيت منظر لا أنساه مدى حياتى ، تكرر أمامى كثيرا ، الدبابات الاسرائيلية تجرى هاربة كالحيوانات المذعورة ، والجندى المصرى ـ يجرى خلفها للحاق بها حتى تأتى طلقته فى البرج مباشرة ..

وتبدلت تكتيكات قواتى ، هاجمت المشاة أولا ثم الدبابات ، عكس ما هو مفروض ، وفتحت مدفعيتنا الثقيلة نيرانها بعد ان عبرت الى الشرق وتمركزت ..

وقام العدو ب ٨٣ هجمـة مضادة ، واخترق قواتى ٦ مرات وظلت كلها محاولات فاشلة ..

لقد قلت لجنودى وضباطى :

ـ أى درع قابل للاختـــراق ، ولـكنه غير قابل للسقوط ، وبذلك كانت وحدات العـــدو التى تخترق قواتنا تتحول الى أكلة دسمة لرجالنا فى اللحظات الاولى للاختراق ..

ومضت الايام .. وتصاعد ايقاع الرجال ..

فن تحريك الرجال

« رسالة كتبتها فى نوفمبر ١٩٧٤ »

لقد حدث تغيير جوهرى على جبهة سيناء ..

ان العدو الاسرائيلى قد يفتح النيران فجأة ، ولكنه لن يمتلك قط عنصر المفاجأة ضد قواتنا المسلحة ..

لذلك سيبقى مسرحنا العسكرى فوق سيناء المحررة مزدحما بالحركة المصرية النشيطة ، محسوبة كل دقيقة قادمة من الوقت ، مشحونة بأرقى الانفعالات الارادية.

ان أبناء قواتنا المسلحة منذ قرار وقف اطلاق النار وهم يطلقون العنان لطاقاتهم البشرية — وأيامهم الحالية تكثيف بأقصى المسئوليات ، بأثرى الاستجابات النفسية يتحركون بين احضان الحب الكبير ، بين أحضان سيناء وقد بذلوا أغلى الدم من أجلها ، يعطونها اليوم أشرف العرق والجهد ، ويواصلون تنفيذ واجبات جديدة خطيرة لا استطيع الافصاح عنها الان ، ومناقشاتهم فوق الارض أو تحتها تصويب وتقييم بلا قصور أو استعلاء لما واجهوه من ثغرات أو أخطاء أو متطلبات عاجلة .

ان هناك تدفقات من المهام الحيوية العسكرية مع وقف اطلاق النار ، يؤديها الرجال العمالقة نهارا وليلا ، لا وقت للراحة لا تستطيع لواجبات : ولا توقف عن التقصى ، ولا خطوة محلك سر .. لقد تجاوز الجميع مراحل التعب والارهاق والالم ، وفاقوا بنشاطهم قدرات البشر

ان هذه المهام ستكون ذات فعاليات حاسـمة ، اذا وجدت قيادتنا العليا انه لا مفر من معاودة القتال ..

لقد طبق خلال العمليات القتالية فى نهاية الاسـبوع الثالث من حرب اكتوبر احدث واخطر امكانيات الهجوم الصاروخى الالـكترونى من الجو للارض ، ومن الارض للجو ، ومن الارض للارض ، وتزودت اسرائيـل بتلك الاسلحة الامريكية الجديدة التى اشار اليها القائد الاعلى للقوات المسلحة يوم ٣١ اكتوبر١٩٧٣ — ومن بينها القنبلة التليفزيونية ــ تصور الهدف ثم تنطلق اليه مبـاشرة ، والصواريخ المضادة للاجسام المعدنية كموتورات العربات المدرعة ــ ولـكن قواتنا بامكانياتها وبتوعية رجالهـا اجتازت هذه التعزيزات العدوة فى ثبات ووضوح رؤيا، وظلت وحدها مالـكة لليد الطولى فى معركة تحرير سيناء

ان هناك تطورا قد شمل واقع القوات المصرية ، ودخل ليضيف جديدا الى الموقف العسكرى اذا تصـاعدت حساباته ، ولم يعد سرا ان تكتيكات العسكرية المصرية تجاوزت مرحلة هجوم اكتوبر المجيد ــبل ان استراتيجية العسكرية المصرية بلغت الاقتدار على تغيير الواقع الحالى فى عمق اسرائيل .

لقد اوجدت تشكيلات قواتنا الموجودة فى سيناء لا فى غرب القناة عدة ثغرات فى تمركز عمق القوات الاسرائيلية ــ وفى مواقع تنفصل وحداتها أمام الممرات ، وقد ساعدت هذه الثغرات على تجزئة قوات العدو وعزلها عن بعضها ــ نتيجة الهجمات المضادة التى قامت بها قواتنا المشاة والدبابات والمدفعية ، فضلا على الاعمال الانتحارية التى قامت بها قواتنا الخاصة خلف خطوطه ــ وهى أعمـال لم يذع عنها شىء حتى الان .. « كنا فى نوفمبر ٧٤ » .

فن تحريك الرجال

ان الفن العسكرى الحديث هو فن تحريك الرجال ، فن استخدام القوات لتحقيق الهجوم الناجح باقل خسائر ، فالحرب عمل مادى تحكمه حسابات عقلية علمية ـ تمثل ارضية العسكرية لقواتنا المسلحة ـ الارضية التى أخرجت اعظم قصف للمدفعية المصرية وللطيران المصرى وعبور مشاتنا بكل الكفاءة مياه القناة ، ثم تدمير حصون بارليف ، فانتقال المدرعات والقوات الميكانيكية من الغرب الى الشرق لتقاتل معاركها الضارية الخالدة على مر الاجيال ـ بشمال وجنوب سيناء ، ثم فى قطاعها الاوسط ، حيث دارت معركة الدبابات الشهيرة التى جعلت مخططى قوات حلف الاطلنطى يجتمعون علنا ويتدارسون سير هذه المعركة وتكتيكاتها واسلحتها الصغيرة فى ايدى مشاتنا حاملى الاسلحة المضادة للدروع .

هذه الارضية العسكرية المصرية ليست حدثا عارضا لمواجهة القوات الاسرائيلية المدعومة باحدث اسلحة امريكا . انما هى فى الحقيقة بناء دائم لقواتنا ودمها الجديد ، الفتية الشابة المتعلمة التى تعطى ثقافتها ومعارفها بالعلوم الرياضية والكيماوية والطبيعية للجيوش المصرية ، فتمتلك المناخ الانسانى الراقى حيث ترى وتلمس ذلك الالتحام البشرى الرائع بين القادة والجنود ، الالتحام الذى احدث تحولات جذرية فى اسلحتنا الضاربة ـ فاضاءت الطريق أمام قواتنا حين فتحت خطوتها الامامية لجولة الصدام الرابعة مع اسرائيل .

لقد حققت قواتنا المسلحة معركة عسكرية نموذجية خلال زمن قياسى ـ وقدم العمالقة ارقى انواع القتال بكل الاسلحة ومن بينها الالتحام بالسلاح الابيض مع قوات العدو ـ وكانوا يعلمون ان الانتصار فى المعركة

الاولى هو الطريق الى تحقيق النصر فى المعارك التالية ، وان النصر الذى تطلبه مصر وثأرها ، ليس نصرا رخيصا سريعا ، بل هو أغلى النصر بأفدح الثمن ، وكما يقول أحد القادة المصريين فى شمال سيناء :

ــ وجدنا أنفسنا ، بل استرد الرجال ثقتهم فى قتالهم وفى قدراتهم ، وتأكد للمقاتل المصرى عمليا انه يستطيع أن يهزم المقاتل الاسرائيلى الذى ملأ الدنيا صراخا وضجة حول نوعيته القتالية العلمانية وخصائصه البشرية المتميزة ، كما تأكد للجندى والضابط الاسرائيلى عمليا أيضا انه فى مقدور المقاتل المصرى ان يهزمه ويقتله ويأسره !

ـ لقد عبر الرجال العمالقة الصناديد اضخم معبر مائى على وجه الارض ــ ان بعض الوحدات عبرت مياه القناة ذات السرعة الكبيرة لكونها مياها بين بحرين فى مناطق بلغ عرضها مائتى متر ــ وعمقها من ١٨ الى ٢٠ مترا ، وسيطرت على المانع الرهيب المزدحم بالالغام فوق وتحت الماء ، وطلقات الرشاشات تنهال من مزاغل بالدور الارضى فى حصون بارليف على سيقان ابنائنا ، ومن مزاغل اخرى فى اجناب المواقع القوية لدشم العدو التى اطلقت رصاصها على شكل « القوس » وقواتنا تمتص وتقاتل وتدمر وهى مترجلة ، المشاة الخالدون من أبناء مصر وقد ركبوا المواقع الاسرائيلية الهندسية الحصينة ، وقاتلوا اعظم القتال واشرسه ، ثم اخذوا الاوضاع المؤمنة لتبدأ عمليات دفع القوات الميكانيكية الى الشرق ، ويؤدى رجال المدفعية المضادة للطائرات وبطاريات الصواريخ م.ط دورهم القتالى أمثل الاداء ــ أمام موجات الطائرات الفانتوم وسكاى هوك والميراج ــ وتسيطر طائراتنا الاعتراضية ــ على سماء سيناء ، بعد

معارك جوية مشرفة للطيران المصرى ، وتتطور المعركة ويتسع حجمها عبر الصحراء فى الطريق الى العمق .

((أبو سعده)) ورجاله

قال لى المقاتلون ((أبو سعده ، وزهدى ، وبشارة ، ومرعى ، وتادرس ، والتهامى ، وعازر ، وأمر الله)) ، ونحن جلوس حول مائدة الطعام تحت ارض سيناء بالقطاع الاوسط نتحدث عن معركة الفردان :

ـ فى ((الفردان)) أقام العدو أضخم وأقوى نقطتين حصينتين مزودتين بمرابض للدبابات والمدافع المحمولة شمال وجنوب الكوبرى شرق ، وما يقرب من مائة جندى عدو مسلحين بأحدث الاسلحة ، من بينها مضخات النابالم لكى يطلقوها على المصريين ..

ودار القتال ضاريا عنيفا ، كل خطوة مرسومة ومعروفة فى أذهان المقاتلين المصريين ، فقد تدرب رجالنا على اقتحام هذه المواقع القوية ما يقرب من ٣٠٠ تدريب عملى بالذخيرة الحية خلال السنوات القليلة الماضية ـ كان سلاح المهندسين يشيد الدشم المصرية المقابلة تماما للدشم الاسرائيلية ويزودها بكل ما يملكه العدو بداخلها ، ويدور التدريب لاقتحامها وتدميرها بالمدفعية والعبور اليها بقوات المشاة والمهندسين .

وتتجدد المعلومات كل يوم عن هذه المواقع وما يضيفه العدو اليها من تحصينات .. بعضها كان يحميها ٣٠ نطاقا من الاسلاك الشائكة وحقول الغام حولها .. ومضخات النابالم خلف الساتر الترابى ـ ثم نجدات للعدو على عمق ٦ كم واحتياطى صواريخ ، فضلا عن احتياطى أكبر من كتائب القوات المدرعة بالعمق ، واحتياطى استراتيجى على مستوى لواء وفرقة مدرعة اسرائيلية فى مناطق

التجمع خلف الممرات .

ونفخ الرجال قوارب الاقتحام ، ورصد العدو هـذه العملية وكانت مدفعيتنا ترسل قذائفها التدميرية بنيران كثيفة مستمرة لتشعل الارض تحت أقدام الاسرائيليين واطلقت مدفعيته النيران علينا ، ودارت معركة رهيبة بين المدفعيتين ، وكان الساتر الترابي الذى يحمى مواقع العدو يرتفع الى ٣٢ مترا بميل طبيعي ومحـكوم بأكبر حجم من النيران .

وهاجم رجالنا جنود العدو اقتحاما للدشم .. بينما وحدات أخرى لنا تسيطر على خلفية ارض المعركة لتضرب قوات الامداد الاسرائيلية وتحبط اى هجوم مضاد ، وكما توقعت الخطة المصرية جاءت الدبابات ـ وحاصرها ابناؤنا بنيرانهم ـ بينما كانت طائراتنا تقصف مطاراته ومواقع تمركز قواته ومخازن اعدادها وطرق مواصلاته الرئيسية ، وقد امتلكت موجات الهجوم المصرية الاولى عامل المفاجأة وعنصر السيطرة على الارض ، ليتتابع هجومها بعد ذلك ، وتفتح خطوة إمامية أكبر ، والعلم المصرى يرفرف فوق كل قطعة ارض تطهرت من الاحتلال الاسرائيلى .

اللحم ضد الصلب

لقد قاتل مشاتنا الذين يحملون أسلحتهم الصاروخية المضادة للدبابات أكثر من ٣٠٠ دبابة امريكية حديثة الصنع يقودها الاسرائيليون داخل راس كوبرى الفردان ، كانت معاركهم من اثرى الملاحم الانسانية ـ ملحمة مواجهة اللحم البشرى للصلب المسلح ـ المشاة المترجلون وأمام الدبابات والمدرعات الاسرائيلية التى تحمل فوقها مدفعية الهاون والمدفعية الذاتية والصواريخ ارض ارض وحاملى

الرشاشات من جنود العدو ، وفى كل دقيقـة يمسـك رجالنا بناصية النصر ..

بعض عمليات التطهير حددوا لها ٦٥ دقيقة من الوقت .. نفذها الابطال فى ٣٥ دقيقة فقط .. واجب اخر كان مقدرا له ٤٥ دقيقة ، أداه العمالقة فى ٢٣ دقيقة ـ حدث هذا فى معركة « البيت الانجليزى » اسم يطلقونه على هذا المكان من سيناء منذ الاحتلال البريطانى ، وفى معركة « الشجرة » وفى معركة « تبة السبعات » حيث دار القتال ليلا ونهارا .. ولم تتوقف النيران دقيقة واحدة من الليل حتى اقتنع أبناء قواتنا المسلحة انهم أيضا نجوم القتال الليلى وليس جنود العدو وحدهم كما أذاعوا وأشاعوا فى سنوات « الصبر والصمت » الماضية .

لقد تحول مسرح المعركة طوال ليالى القتال الى نهار يملؤه الضوء ، كانت قواتنا تضىء الميدان ، كما كان العدو يفعل فى كثير من الاحيان وهو يقاتل بكل الضراوة تدعمه المدرعات الحديثة المتدفقة عليه من مطار العريش الى قواته رأسا فى مواجهة قواتنا ولعبت الاضاءة ليلا دورا بارزا فى الحاق الخسائر به .

لقد دمر قائد سرية مصرية ٦ دبابات مخندقة للعدو ، اصعب اشكال الهجوم والتدمير ضد المدرعات ، وبعض رجالنا يرصون الالغام خلف ظهر العدو حتى اذا استدار وحاول التقهقر وقع فريسة لحقل الالغام المصرية ، وفى منطقة « كسيب » دمر عمالقتنا المشاة كتيبة دبابات كاملة للعدو ــ وقفز ضابط اسرائيلى من دبابته المحترقة صارخا بعربية ضعيفة :

ــ الله اكبر يا مصرى .. انا فى عرضك ؟ ! ...

خط المعلومات

واليوم وقد توقف القتال ، تحولت العقول العسكرية المصريه الى موائد الدراســـــة والحوار حــول الموقف واحتمالاته، وفى بصيرة قيادية ناضجة واعية بكل الصورة يعملون من أجل خطة جديدة ـ تحمل تقديرات وحسابات وتنبؤات لا تعرف الخطأ العفوى أو المواقف الارتجالية ، تقديرات صادرة من التحام مستمر متيقظ ببقية الارض الاسيرة فى سيناء وما فوقها وتنبؤات تســتند الى خط عريض من المعلومات المستحدثة عن العدو، تنساب فى نظام دقيق بين المستويات القيادية المختلفة ، ابتداء من القائد الاعلى حتى أصغر القيادات الفرعية فى جنــوب وشمال سيناء مرورا بقوات الجيشين غرب القناة .

لقد تألق رجالنا استطاعة واقتدارا فى قتالهم ، وأكدوا للعالم أجمع ان روح الاصرار على القتال والتحرير التى تحدث عنها القائد الاعلى كثيرا خلال أيام « الصـــــبر والصمت » لم تــكن مستندة الى قبض الريح ..

انه المقاتل المصرى .. للشدائد دائما يتصدى ..

وأمام المحنة يتقدم ، هو أكثر ايمانا وثباتا ،أكثر صلابة أكثر وعيا ، ومن صدره تنطلق قوة خفية لاتفرغ أبدا ، وبها يشق مقتدرا ومجتازا كل الكبوات، مسارا لارادته، تماما كما شق أجداده الاولون انهارا من النضال والكفاح الموصول .

المشـــاة الميكانيكيـــة

لـكل عمل .. هدف وخطة .. وفى اجتماعات القيادة لقواتنا المسلحة ، يضعون تصورهم لسير الخطة القتالية وقد امعن خبراء هيئة العمليات تفكيرهم وتقديراتهم فى كل تفصيلاتها ، وحاولوا بكل خبـــراتهم التنبـؤ العلمى بأشكال التطبيق ، والتطورات المحتملة لمراحل القتال .

ان الافكار العسكرية النموذجية هى حصيلة خبـــرة ثرية بالتجارب ، ومن هنا يتحقق الابداع والابتـــــكار ارتكازا على دعامتين : هما فكر القيادة العسكرية ، ثم نوعية التنفيذ فى الميدان .

هـــذه الـكلمات القليلة البسيطة فوق الورق هى فى الحقيقة تعكس جهـــدا شـــاقا أشـــبه بجبل الحديد الذى لا يظهر غير سطحه ، وفى الاعماق نشـــاط مكثف للقادة لا ينقطع على الاطلاق عبر جميـــــع المستويات القتالية ، من اصفر تشغيل الى مجموعة عمليات .

منذ ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ وحتى اليوم وغدا ، وحلقات الرجال الذين يحصلون على شرائط المعلومات الطـازجة أولا بأول عن العدو لا تتوقف عن العمل ، والذين يقومون بقراءة هـــذه الشرائط وترجمتها الى صـــور مقروءة يزدادون علما ومهارة وعددا ، لتعمل حلقات اخرى من العمالقة فى استيعاب جزئيـــات أخرى من المهـــام عبر التغيير العميق الذى احدثته قواتنا خلال حرب اكتوبر

المجيدة فوق مسرح سيناء ، وفى عمق الاحتياطى الاستراتيجى للعدو ، ويضع القادة فى النهاية خطط عمل نابعة من قوانين الحرب الموضوعية والتمثيل الجوهرى غير النمطى او التقليدى لحقائق الاستراتيجيه والتكتيك ، طارحين سلسلة اجراءات طويلة لا يمكن تطبيقها الا مرة واحده وبنجاح تام ، فمثل هذه الاعمال لا يمكن تكرارها مرة ثانية أو ثالثة كما يفعل علماء الصناعة أو الزراعة فى معاملهم حتى يحصلون على أفضل النتائج ، فالخطأ الواحد يأتى بأخطر العواقب الوخيمة .

ان المعركة المعاصرة ليست فقط صداما مسلحا وصراعا بالنيران ، انها بالدرجة الاولى سباق بين عقول الرجال ثم امكانياتهم .. فالتطوير لا يقف عند استحداث المعدات والاسلحة فقط بل ايضا تطوير عقلية المقاتل ، والدليل على ذلك قريب جداً ، وهو نتائج معارك حرب اكتوبر على مستوى الجو والبر والبحر .

وفى عدة لقاءات مع قطاع كبير من سادة المعارك ، ابطال وحدات المشاة الميكانيكية ممن قاتلوا فى اكتوبر عام ١٩٧٣ حتى بلغوا « ممرى متلا والجدى » شهدت هذا الواقع المعاصر ..

مهمة اخرى ..

لقد حققوا واحدة من أهم المفاجآت التى اهدتها قيادتنا للحرب المجيدة ، ففى يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ عبرت بعض الاليات المدرعة حاملة جنودها مياه القناة الى الشرق بعد ان اخترقت الفتحات التى اجراها المهندسون فى الساتر الترابى الشرقى ، وفى فترة وجيزة جداً قاتل المشاة الميكانيكيون قوات العدو المدرعة والميكانيكيةوقداختصروا الزمن وحققوا المفاجأة التكتيكية التى منحتهم فعالية كبرى فىانتاج نيرانهم ، وحسما

أقوى تأثيرا فى الهجوم المستمر من الحركة لا من الثبات. واقتدارا عسكريا فى امتلاك المبادأة ، وفى الالتفاف وتطويق العدو، واستمرارهم كمفارز قتال متقدمة مالكة لخفة الحركة والقدرة على المناورة ، فدخلت هذه الوحدات بعد ذلك معارك تصادمية متصلة حتى ، ممرى متلا ، والجدى ، امام غرب المضايق ، وتعتبر هذه المعارك من الاحداث الاساسية فى حرب أكتوبر ومستويات المبادرة واستقلال القيادات الصغرى بعيدا عن مركزية القيادة أثناء العمليات حيث عمل كل قائد تشكيل بتصرف مطلق مهتديا بطبيعة المعركة التى يواجهها ، وبمقدرته على التنبؤ بسير القتال وتطوره ، خلف استمرار تقدم المشاة الراكبة فى سيناء ، خاصة خلال الاسبوع الثانى للحرب حتى بلغوا خط المضايق ، رغم كثافة غارات طيران العدو وقنابله التليفزيونية التى أمدته بها امريكا لانقاذ اسرائيل من الهزيمة المحققة .

ان ميكنة المشاة هى بمثابة تحول جذرى هائل فرضته المعركة الحديثة ، وفى كل يوم يدخل الخبراء تعديلات حيوية على العربات أو الاليات المدرعة ، وفى الاستعراض العسكرى الذى قامت به قواتنا فى اكتوبر سنة ١٩٧٤ ، ظهرت احدث هذه العربات السوفييتية الصنع ، وليس سرا ان هناك انواع اخرى لم تظهر فى العرض ، وقد اضاف اليها الخبراء المصريون اضافاتمتميزة قبلالحرب وبعدها ، وحققت معدلات مرتفعة فى انتـاج النيران فى عمق خطوط العدو .

لقد تبدلت الصورة القديمة لجندى المشاة المترجل ، رغم ما حققه من بطولات فى عبور القناة وتحطيم حصون بارليف ومواجهته لدبابات اسرائيل فى معارك رءوس الكبارى .

والمشاة الميكانيكية تقاتل ليلا كما تقاتل نهارا وهى محمولة فوق عرباتها ذات الجنزير الكامل ، المزودة بالاسلحة الصاروخية والمدفعيات التقليدية .

ومن خلال هذه العربات المدرعة المغلقة يكتسب مقاتل المشاة قدرا من الاحساس بالامان وهو يقاتل داخل عربته يختصر بها المسافات البعيدة ، وتوفر له عامل الامن ضد الاخطار التى قد يتعرض لها المقاتل المترجل اثناء التحرك كما أعطته حرية المناورة وقللت من الخسائر الكبيرة التى يتحملها المشاة عادة عند بدء الهجوم وفتح القوات.

ان مقاتل المشاة الميكانيكية اكتسب اليوم تطعيما هائلا بالمعركة وارض القتال ، مما جعل القادة يستنبطون أساليب جديدة فى قتال وحداتهم ، أساليب تتميز على القوانين النمطية لادارة النيران ، وتفوقها فى الشمول والاتساع على المستوى التكتيكى ثم الاستراتيجى ...

السعى الدءوب المتصل بوميا بأنبل الجهد وأشرف المهام هو عمل مقاتل المشاة الميكانيكية اليوم وغدا ، للتزود دوما بمعارف وفنون معركة العصر التى لم تقع بعد ، وبروح اكتوبر يعيش عمالقة قواتنا مناخا شامخا عمليا بنشر المعرفة والادراك والخبرة والابداع بين الجميع جنودا وضباطا ، ذلك هو طابع القوات التى استطاعت بجهدها وأرواح شهدائها أن تفرض ارادتها العظمى فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ وما بعده من أيام ، وكلهم على ايمان كبير بأن معركة الغد تتطلب الكثير من العلوم والتدريبات ، ويتعين على كل مقاتل ان يعى جيدا دروس الغرور والصلف الذى اصاب جيش اسرائيل الذى لا يقهر ، فقهرناه بتحصيلنا وروح الثأر المتأججة فى صدورنا ...

تلك الروح هي التي تزود ابنائنا المقاتلين بقوة العضد فتمنحهم القــدرة على تجاوز مخاوف الانسان ومثالبه ، وتجعلهم يتألقون فى هجومهم واقتحامهم وتضحياتهم .. بأغلى ما فى الحياة ..

فى الدراسة العسكرية الرائعة التى كتبها اللواءان حسن البدرى ، وطه المجذوب ، والعميد ضياء زهدى ، يقول الخبراء الثلاثة :

ـ ظهر من سير اعمال القتال فى المرحلة الاولى للعملية الهجومية الاستراتيجية ان العدو يركز جهوده الرئيسية لايقاف هجوم القوات السورية كأسبقية أولى ، وذلك لعدة عوامل أهمها قرب القتال هناك من الاراضى الاسرائيلية ، الامر الذى يهدد العمق الاسرائيلى بصورة مبــاشرة ، ولاحباط مخطط العدو واجباره على نقل جهوده صوب سيناء ولتخفيف الضــغط على القوات الســورية تقرر التعجيل بقيام القوات المصرية بالضغط شرقا على العدو فى سيناء مبكرا عما كان مخططا له من قبل . وذلك بأن يقوم الجيشان الميدانيان الثانى والثالث بتطوير الهجوم شرقا بجزء من قواتهما مع استمرار تمســكهما برءوس الــكبارى بواسطة القوات الاصليــة التى كانت موجودة هناك منذ بداية العبور ونعنى بها الفرق المشاة الخمس.

وفى صباح ١١ اكتوبر الباكر أتمت أجهزة القيــــادة العامة المصرية تقدير الموقف والتخطيط لتطوير الهجوم شرقا بجزء من القوات المدرعة والميكانيكية ، للوصــول الى المداخل الغربية لسلسلة المضايق الجبلية .

وتلخصت فكرة العملية فى استخدام مفارز قوية من القوات المدرعة والميكانيكية للسيطرة على شريحة من الارض يصل عمقها الى ٣٠ كيلومترا من القناة شرق حتى المداخل الغربية للمضايق والممرات . وأوكل اليها مهمــة تدمير

قوات العدو الموجودة هناك وحرمانه من استخدام الطريق العرضي الذى يقع على هـذه المسابقة والذى قد يمنح العدو حرية الحركة والعمل ضد رءوس الـكبارى .

ولقد قام العدو فى الإيام السابقة باستخدام ذلك الطريق العرضي للمناورة باحتياطياته المدرعة من الاتجاهات المختلفة وحشدها لشن الهجمات المضـــادة والضربات المضادة القوية المتتالية ضد قواتنا فى رءوس الكبارى . والتى كان يهدف منها الى شق الطريق للقنـــاة وعزل القوات المصرية عن قواعدها فى الغرب تمهيدا لحصدها وتدميرها بعد ذلك ، وان كان العدو قد فشل فى تحقيق هدفه فى الايام السابقة .. الا ان التفكير العســكرى السليم كان يقضي بسرعة حرمان العدو من استخدام ذلك الطريق العرضي تجنبا لأى مفاجآت قادمة .

ولقد كلفت تلك المفارز بأن تمنع تدفق قوات العـدو من الشرق الى الغرب عبر المضايق والممرات تمهيـدا لتحقيق المهمة النهائية للقوات المسلحة فى الايام القليلة التالية وفقا للخطة الموضوعة .

وقد أحاط بهذا القرار عدة مخاطر ، اهمهـا خـروج القوات بعيدا عن ستر غطاء صواريخ دفاعنـا الجوى المتمركز غرب القناة وتعرضها بالتالى لضربات العـدو الجوية بعد ان اشتدت وازدادت كثافة ابتـداء من ١٠ اكتوبر سنة ١٩٧٣ بفضل الدعم الامريكى الكبير والسريع

ولذلك نصت التوجيهات على أن تكون المفارز المتجهة الى قرب المضايق ذات قوة نيران كبيرة مع صغر حجمها نسبيا ، وتكون من خارج التكوين الاصلى للفرق المشاة الخمس المستمرة فى التمسك بمناطق ورءوس الـكبارى حفـاظا على التوازن الاستراتيجى والتعبوى لقواتنـا المسلحة .

وهكذا تقرر ان يتم الضغط شرقا بمفارز مدرعـــة وميكانيكية بقوة كتائب والوية ويتوفر حمايتها ضـــد طائرات العدو بواسطة وسائل الدفاع الجوى الارضية من صواريخ ذاتية الحركة وصواريخ محمولة ومدفعية مضادة للطائرات بالاضافة الى مقاتلاتنا الجوية .

وفى الساعة ١٥ر٦ يوم ١٤ اكتوبر وجهت قواتنـــا الجوية ضربة جوية جديدة ضد أهداف العدو الهامة فى سبناء كما تم تنفيذ ضربة بالصواريخ التكتيكية أرض ــ ارض متوسطة المدى ضد مراكز سيطرة العدو ومحطات الاعاقة الالـكترونية .

وفى الدقيقة نفسها فتحت نيران اكثر من ٥٠٠ مدفع ميدان متوسط وثقيل وعربات اطـلاق صواريخ ، لمدة خمسة عشر دقيقة كى تمهـد الطـريق أمام القـوات المهاجمة .

وفى الساعة ٣٠ر٦ بدأت المفارز المصرية هجومها على النحو التالى :

ــ قوة لواء مدرع وكتيبة ميكانيكية فى اتجاه ممر متلا .

ــ قوة لواء ميكانيكى فى اتجاه مضيق الجدى .

ــ قوة لواءين مدرعين فى اتجاه المحور الاوسط .

ــ قوة لواء مدرع فى اتجاه المحور الشمالى .

وتقدمت المفارز فى وجه ستارة عنيفة من نيران العدو وأسلحته المضادة للدبابات وقد وصلته توا ، كما وجه العدو الجزء الاعظم من قواته الجوية لاحباط تقدم قواتنا ــ وركز نيران مدفعيته الثقيلة على مواقع صـــواريخ دفاعنا الجوى التى مدت الغطاء الجوى الى أبعد مايمكن شرقا بما فيها المناطق المطهرة أمام رءوس الـكبارى .

ورغم ضراوة المعارك التى استمرت طوال ٢٤ ســاعة كاملة بلا توقف ، واتساع ساحة القتال حتى اشتملت على كل شريحة الارض فقد تمكن رجالنا من التوغل داخل أوضاع العدو لمسافة تراوحت بين ١٣ حتى ١٥ كيلو مترا واثبتت الوحدات الميكانيكية والمدرعة صغيرة صغيرة الحجم انها قادرة على-احراز التفــوق النوعى القتالى طوال المعارك التصادمية التى دخلتهـــا ، ففى نهاية هذا اليوم المحفــور فى سجل العسكرية المصرية سيطرت مفارزنا المشاة على مساحة من الارض المطهرة بلغت ١٨ كيلو مترا .

دبابات أمام دبابات

قامت الدبابات المصرية فى حرب اكتوبر المجيدة بدور بارز على المستوى العلمى العسكرى .. دفعت خبراء القيادات العسكرية العالمية الشرقية ، والغربية الى طلب المعلومات والتفاصيل عن معارك مدرعاتنا ضد المدرعات الاسرائيلية ذلك انه منذ الحرب العالمية الثانية لم تقع تجربة ميدانية كبيرة «دبابات أمام دبابات» حتى خاضتها قواتنا المدرعة فى حرب اكتوبر ، وحققت مجدا قتاليا متميزا .. ان معاركها التصادمية الفريدة التى تمت فى ظروف معقدة وبالغة الضراوة ، وقد أعطت فى النهاية آفاقا جديدة وتحولت الى أبجديات ، قتال فى عالم الدبابات ومعاركها التى لم تقع بعد ..

لقد حطمت سرية دبابات مصرية بقيادة البطل مجدى كتيبة دبابات العدو ... ودخلت التاريخ العسكرى مثالا دراسيا لجيل المقاتلين الجدد فى الكليات والمعاهد الحربية .

حين تصدى بعض المعلقين العسكريين فى انحاء العالم لدراسة وتحليل نتائج حرب اكتوبر خلال عام ١٩٧٤ ، كتب اكثرهم يقول : « ان جندى المدفعية المصرية المضادة للدبابات قد قضى نهائيا على الدبابة فى هذه الحرب ، ومن المؤكد ان دور الدبابات سيتوارى كثيرا فى المعارك القادمة » بل ان قائدا عسكريا امريكيا

كان فى زيارة قواتنا المسلحة قال « ان المصريين هم الذين صنعوا أول مركبة قتال فى عهد رمسيس الثانى ، وهم الذين انهوا دورها فى القرن العشرين ! »

وفى مايو سنة ١٩٧٤ ، رد الفريق اول محمد الجمسى وزير الحربية ، وكان وقتها رئيسا للاركان ، فى حديث صحفى نشرته مجلة « المصور » فى ١٧ ــ ٥ ــ ١٩٧٤ :

ــ ستظل الدبابات بتأثيرها القوى فى المعارك القادمة ، من حيث قوة نيرانها وخفة حركتها ، كما ستظل الدبابة هى القوة الضارية للقوات البرية فى اى مكان بالعالم ، غير انه بالضرورة سيدخل على أنواع الدبابات وتسليحها تطور كبير فرضته نتائج حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ومقاتل المشاة العملاق حامل المدفع الصغير المضاد للدروع » .

ولقد علق بخيالى حديث القائد الامريكى طويلا ، حتى التقيت بأحد عشاق الدبابات من دارسى تاريخها العريق ليحدثنى عن نشأتها تلك التى لا يعرفها كثيرون من ابناء جيلنا المتعجل دائما ..

ــ فعلا ، ظهرت « المركبات » لاول مرة فى عهد رمسيس الثانى ، صنعوا نوعين فقط ، ثقيلة وخفيفة.

الخفيفة ، للمناورة والاستطلاع ، والثقيلة لعمليات التدمير ..

وتطورت « المركبات » فى عهد الاشوريين ، تطورا عاليا ويمكن القول بأنهم طبقوا تكتيكات قريبة الى التكتيكات الحديثة ، كتحقيق المفاجأة ، والالتفاف حول العدو ..

وجاء عام ١٤٢٠ ، وظهر «القائد أسكا» فطور العربات المدرعة ، كساها بجلد سميك ... يجرها حصان محاط بجلد سميك ايضا لوقايته ، ووضع على ظهرها مدفع

وهزم بها الالمان حين حاولوا احتلال تشيكوسلوفاكيا .

ثم عاشت الدبابات بعد تلك الفترة التاريخية مرحلة تطور اخرى وهي مرحلة البارود والبخار ، الى ان وقعت الحرب العالمية الاولى ، وظهرت الاسلحة النارية نتيجة اختراع البارود ، وادى هذا التطور الى الغاء استخدام الفرسان المدرعة ، كما ادى الى ظهور البخار الى ميلاد المعدات ذات المحرك البخارى حاملة المدافع البارودية .

وفى نهاية القرن التاسع عشر ظهرت المحركات ذات الاشتعال الداخلى ، وكانت بداية نشأة الدبابات ما بين عامى ١٩٠٠ و ١٩٠٨ ، حيث ظهرت نماذج مختلفة للدبابة وفى عام ١٩١١ ، انتجت روسيا دباباتها « ماندليف » وقد سميت باسم مصممها ، وبلغ وزنها ١٧٠ طنا .

وفى عام ١٩١٤ ظهرت الدبابة « فيزدنجور » بقيام الحرب العالمية الاولى واشتهرت فى بدايتها بحرب الخنادق ، حتى ظهرت المفاجأة الاولى .. ذات يوم .

مع اول اضواء الفجر يوم ١٥ سبتمبر عام ١٩١٦ ، والحرب العالمية الاولى دائرة ، ظهرت اشباح كبيرة تتحرك بين الانجليز والالمان ، وعبرت هذه الاشباح مواقع الاسلاك ، واقتحمت الخنادق ووصلت الى عمق الدفاعات والاحتياطيات الالمانية ، ولم تكن هذه الاشباح غير الدبابات الانجليزية التى اطلقوا عليها « الام » مسلحة بمدفعين من الاجناب الى جانب الرشاشات ، وفى هذا اليوم حققت ٣٠ دبابة ما فشل فى تحقيقه ٣٠٠ الف مقاتل .

ولقد تفوق الالمان بعد ذلك نتيجة هذه المعركة التى دفعوا فيها ثمنا باهظا من ارواح جنودهم ، تفوقوا فى انتاج الدبابات واخذوا يعملون فى تطويرها باستمرار

لتلبي حاجات المستقبل ، وكان اهتمامهم بالدبابة وخطورتها ، عملا عسكريا ناجحا بدليل اكتساح الدبابات الالمانية لاوربا خلال الحرب العالمية الثانية .

بعد الحرب الاولى ظهرت الدبابة « شيتنانوسكا » الروسية عام ١٩١٩ ، وقبلها ظهرت « سين شامون » الدبابة الفرنسية .

ثمة مرحلة ثالثة فى تاريخ الدبابات ، بدأت حين نقلت المانيا معارك دباباتها الى شمال افريقيا عبر الصحراء خلال الحرب العالمية الثانية ، ووقعت اكبر معارك العصر الحديث ، وكانت بمثابة محك حقيقى كبير لاختيار الدبابات ، وقد بلغت قمة التطور الصناعى لدى المانيا وانجلترا ، ولم يقع صدام دبابات بمثل هذا المستوى بعد ذلك حتى قامت حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، وحققت القوات المصرية المدرعة بمعاركها البارزة ، وبنوعية قتالها على المستوى التكتيكي معارك عالمية تدرس الان ، فى اكبر المعاهد العسكرية بالشرق والغرب .

اولى الاعمال التى حققتها قواتنا المدرعة ، هى تجاوزها قناة السويس كمانع مائى له خطورته ، وتجاوزها للساتر الترابى الضخم الذى أقامته اسرائيل على الضفة الشرقية للقناة ، لا هذا ولا ذاك حال بين دباباتنا والعبور عام ١٩٧٣ ، بل تقدمت تحت قصف مدفعيات العدو ، وقصف دباباته فى مرابضها ، وتحت كثافة طيرانه وقدرته الهائلة على قصف الدبابات من الجو وقد تزودت طائرات اسرائيل بالقنابل التليفزيونية ، وتحت قصف طائرات الهليكوبتر حاملة الصواريخ المضادة للدبابات ، تقدمت وحدات دباباتنا فاتحة لنيرانها ، مطورة لخفة حركتها ، يحدوها الايمان والصلابة ورباطة الجأش والارادة الخلاقة ، والقدرة على الابداع والانجاز المتميز ،

وكلها صفات اكتسبها مقاتلونا من خلال برامج التدريب المتصل قبل اكتوبر عام ١٩٧٣ ، فحقق العمالقة المصريون امجد صفحات الحرب المجيدة فى معارك رءوس الكبارى ثم معارك التطوير فى عمق سيناء .

وفى البداية أعرض بعض مهام وحدة مدرعة صغيره من وحدات دباباتنا الضاريه ، شاءت الظروف أن التمى بمقاتليها أثناء الحرب وأتحدث اليهم بعدها .

هؤلاء الرجال أبناء « المقاتل البطل شنن » دفعهم الى الضفة الشرقية مع بداية الحرب للقيام بمهمة تطوير القتال على المحور الشمالى فى سيناء .

ولقد واجهت هذه الوحده قوة لواء اسرائيلى مدرع هاجم بفرعى هجوم موجه جنوب احدى فرقنا المشاه ومنتصفها وشمال فرقة مشاة اخرى من قواتنا بالقطاع الشمالى شرق .

بدا الاشتباك دبابات ضد دبابات فى عمق راس الشاطىء الذى اقامته قواتنا المشاة ، ولم تكن المسافة بين الدبابات المصرية والاسرائيلية تزيد على ٣ كيلومترات

٣٦ دبابة اسرائيلية فى المقدمة وأمامها ٧ دبابات مصرية وفى اللحظة الاولى للقتال دمر أبطالنا دبابتين للعدو الذى تراجع سريعا فى محاولة للالتفاف حول الدبابات المصرية ، وظهرت « ٤ ابراج » دبابات هدوة ، واستطاع أبناؤنا بكل الثبات تدمير دبابابتين جديدتين، وعلى الفور اسرع جنود مشاتنا بالتقدم نحو مواقع الدبابات الاسرائيلية ، اذ شاهدوا أطقم ٤ دبابات اسرائيلية أخرى يغادرون دباباتهم طالبين التسليم ، وأسرنا ٤ دبابات جديدة م ـ ٦٠ لم يصبها خدش واحد مع اطقمها .

ولجأ العدو الى طيرانه وغاراته الجوية المكثفة ، كما

تقدمت نحونا عرباته المزودة بالصواريخ ارض ـ ارض ، واشتعلت الرمال بالنيران نتيجةطلقات المدفعية الاسرائيلية التى تشعل الرمال بالنيران ، واستمر تقدم وحـداتنـا وبعض معاركهم أداروها «بالضرب الاعمى» وهو اصطلاح يستعمله مقاتلو الدبابات فى المواقف المفاجئة حتى لايفلت المبادأة من ايديهم على الاطلاق ، ومعـــارك أخرى بين الدبابات المصرية والاسرائيلية دارت فى مسافة لا تزيد على ٢ كيلومترا فقط ، ومعارك دارت ليلا حين حـاول العدو اقتحامنا مستعملا أجهزة الاشعة الحديثة لديه ، فى محاولة واحدة أمام اصرار مقاتلونا المردة ، الذين قاتلوا لمدة ٤٨ ساعة فى بداية الحرب دون أن يتنـاولوا وجبة طعام واحدة أو شربة ماء أو فكر أحدهم فى تدخين سيجارة ، بل ان اكثرهم قضى فى هـذه الحرب ١٠٠ ساعة متصلة بلا نوم .. تلك هى شريعة الحرب وماتفعله بأعصاب الرجال المحاربين المؤمنين بحربهم وشرعيتها .

وتقدمت هذه الوحدة الصغيرة والى جانبها وحـدة اخرى مماثلة فى الحجم لحقت بها ، للهجوم على كتيبة دبابات اسرائيلية مخندقة ، واحدة من أقسى واصعب العمليات الهجوميـة ، تلك هى الهجوم على دبابات فى خنادقها .

وأعد رجالنا خطتهم من الحركة ، التجمع ، الهجوم يتم من الحركة أثناء العمليات بفاصل وقتى ضئيل للغاية ميزة فريدة امتلكها الابطال من خلال التـــدريب المسبق ، ووجدوا العدو فى منطقة عالية بالتـدريج .. كتيبة ستوريون كاملة ، واذا بعدد كبير من دباباتالعدو تظهر خلفنا فى نفس الوقت .. !

وكانت معركة من أشرف وأخلد وأروع معارك التاريخ الحديث ، معركة تصادمية خطيرة ، دباباتنا تواجه العدو

المدرع وفجأة تظهرخلفها دبابات معاديةاخرى ، ويتصاعد القتال ضاريا .

ووقعت المعركة التصادمية التى اظهر فيها المقاتل المصرى اقتداره وتفوقه .. وثبات ارادته ونضجه وسيطرته على ارض المعركة رغم هذا الموقف المفاجىء ، وامكانياته فى الالتفاف والتطويق بعد ذلك ، واحتلاله التباب العالية حتىاصبحت المسافة بين دباباتنا والدبابات العدوة — ١٦٠٠ مترا — فقط ، وهنا انتشر فىاللاسلكى نداء لا زال يتردد حتى اليوم فى سهرات رجال الدبابات المصرية حين تأتى سيرة المعارك التى خاضوها ... كان النداء يقول « ١٦٠٠ — الله أكبر » وفتح الرجال نيرانهم .

فى دقيقتين احترقت ٦ دبابات سنتوريون ولا دبابة لدينا خسائر ، وتراجع العدو عن محاولة تطويقنا ، وأسرنا بعض الضباط الاسرائيليين ، واخذنا على الفور نتقدم فى مواجهة نيران مدفعية العدو من العمق ، وعربات صواريخه المضادة واشعلنا النيران فى عربتين متقدمتين بالذخيرة شديدة الانفجار ، وناورنا جيدا ، واحصينا فى نهاية المعركة خسائر العدو ، فوجدناها ١٣ دبابة غير العربات المحترقة ، والطائرات التى أسقطها مقاتلو الدفاع الجوى ، وكانت خسائرنا ٤ دبابات مصابة بأعطاب ولكنها تحركت وعادت للاصلاح السريع .

سأل ضابط اسرائيلى أسير ، المقاتل درويش :

— كيف حدث هذا ؟ .. كيف استطعتم القضاء علينا وكنا نرى عدد دباباتكم قبل أول طلقة ! ؟ ..

واجاب المقاتل المصرى الشاب :

— الجواب ببساطة شديدة هو المقاتل المصرى ، النصر الان للمقاتل المتفوق وليس للدبابة الاكثر امكانيات ومعدا تتقدير مسافة او اشعة او ذخيرة بدليل ان كل

هذا كان لديك ، وعجزتم عن هزيمتنا رغم تفوقكم العددى فى الدبابات والاطقم ، الى جانب طائراتكم ، ومدفعيتكم فى العمق .

وهكذا تصاعد ايقاع ابنائنا الابطال الصناديد فى وحدات الدبابات والدفاع الجوى والصاعقة والمهندسين فى معاركهم ذات الاسلحة المشتركة وعبر الابطال الى عمق دفاعات العدو فى مراحل التطوير والهجوم المضاد الذى قمنا به مع الاسبوع الثانى من الحرب .

قال لى مقاتل مدرعات :

ـ ذهن قائد الوحدة المدرعة لا بد ان يعمل اثناء القتال بسرعة جنزير الدبابة .. ولقد كانت اذهاننا تفوق سرعة الجنازير .. ذلك لاننا كنا عطشى للنصر ..

تحية لكم يا عمالقة المدرعات المصرية ، يا ابناء ذلك العهد العظيم الذى أعطاه المعلم المقاتل الفريق أول محمد الجمسى وزير الحربية ، وجندى الدبابات المتميز بعلومه وابتكاراته منذ عام ١٩٦١ ، احلى سنوات العمر ، فأصبح وطننا يملك احدث واعظم مدارس الدبابات فى الشرق الاوسط ، وقدم للقوات المسلحة جيلا فريدا من الضباط والمهندسين وضباط الصف والجنود ، أولئكم الذين احرزوا النصر مع رفاق القتال الاخرين ، وكانت قبضتهم الحديدية هى الصخرة التى تحطمت عليها جميع الهجمات المدرعة المدعمة بأحدث القنابل الامريكية الصنع ..

تحية للابطال الشهداء عمالقة دباباتنا الضارية ، للبطل أنور ، للبطل مصطفى ، للبطل حسين ، للبطل علاء ، للبطل أبو شادى ، للبطل كامل ، للبطل هشام ، للبطل سمير ، لكل من العمالقة رفاق السلاح الشهداء

التحام المدرعات

انهم يقاتلون اشرف واشرس المعارك ، لقد تجاوزوا الماضى فى شمول كامل ، رايتهم الوية خفاقة للنصر ، دماء شهدائهم نبراسا لكل الاجيال القادمة ، حين يكتب التاريخ قصة الحرب الرابعة بين مصر واسرائيل .

لقد أنتزعت الدبابات المصرية فى موجات متتابعة ، مكاسب حيوية مرحلية هامة ، أخلت بتوازن مدرعات العدو وتكتيكاتها .

اقتربت منهم وهم يقاتلون فى ذروة الشجاعة ، ولقد كان عشقهم الهائل لسلاحهم خلف هجومهم الحاسم فى معاركهم وامتلاكهم مميزات المبادرة والابداع الخلاق والنضج التكتيكى فى قتال الالتحام بالمدرعات مع العدو..

انهم يعشقون دباباتهم ، بل هى كل حياتهم ، وبعضهم يطلق على دبابته حياتى أو اسم ابنته ..

ومن خلال المشاعر الانسانية الراقية نحو السلاح ، استطاعوا تطويع قوانين القتال الى مستويات أرفع تتفق وامكانياتهم الحديثة المتدفقة التى خاضوا بها هجماتهم الضارية ، وكانوا كماء الشلالات بعد فتح السدود أمامها ، ونيرانهم واختيار ضرباتهم ولحظات توجيهها تصدر من مناخ المعارف العلمية العسكرية التى حملوها خلال السنوات القليلة الماضية بكل الاقتدار والتواضع ، وثبات الواثق بشرعية نيرانه .

اضافات فنية قتالية جديدة اضافوها الى معـــارك الدبابات الشهيرة ، ومن خلال هذا المناخ الفريد استخدم مقاتلونا الخواص الحديثة فى دباباتهم أقصى واحســن استخدام كانوا يجرون امام العالم اختبارا حديثا لحرب المدرعات ، اطلقوا نيرانهم اثناء التحرك هجوما ضـــد حشود العدو المدرعة ـ اصعب واشق اشكال القتــال بالدبابات ، حين تهاجم من الحركة لا من الثبات ، وكانت معدلات كفاءة نيرانهم تترك أكبر الاثر التدميرى فى وحدات العدو على خط المواجهة وحشوده بالقطاع الاوسط ...

كانت المدفعية المصرية الثقيلة وذات المدى المختلف تقوم بتدمير وحدات الصواريخ المضادة لدباباتنا « منها صواريخ س . س ١٢ » وهى وحدات تمثل عقبة أمام القوات المدرعة التى تستعد للاقتحام ـ فثمـة مرابض نيران مخفاة جيدا وهى المرابض الاسرائيلية التى تضــم الاسلحة المضادة للدبابات فضلا عن وجود نظام انســاق بالعمق والمواجهة لهذه الاسلحة ، الامر الذى يجعــل اختراقها صعبا وخطرا ـ وهى تملك نموا مطردا لمسافات الرمى المؤثر التى تتميز بها .. ان الصواريخ الموجهـة المضادة للدبابات أصبحت الان تملك نيرانا دقيقة لمســافة ٢٥٠٠ و ٤٥٠٠ متر .

ولقد دمرت مدفعيتنا المعاونة لدباباتنا عمق دفاعات العدو فى مناطق حيوية ـ فى الوقت الذى اخذت فيــه تطلق قذائفها ضــد الدبابات الاسرائيلية ـ مما جعــل زمن تعرض الدبابات المصرية للنيران المضادة قليلا وبأقل الخسائر .. ان اكثر وسائل معاونة الدبابات فاعليــة هى المعاونة التى قدمتها مدفعيتنـــا فدمرت كثيرا من وحدات الاسلحة « م . د » العدوة خارج مدى رؤية اطقم دباباتنا وبعضها كان مختفيا ومموها جيدا حيث

يتعذر على رماة المدرعات رؤيته عبر مناطق تأثير النيران

تعاون وثيق متين ومستمر بين الدبابات والمدفعية التى تساندها بأعلى الكفاءات فى استخدام النيران والحركة المؤثرة - ويؤدى هذا التعاون الوثيق الى اختصارالوقت بين وقف نيرانالمدفعية وهجوم الوحدات المدرعة - الدبابات او المشاة الميكانيكية . .ان اختصار الوقت الى اقل جهد ممكن يعد أحد عوامل نجاح الهجوم

الالتفاف والتطويق

تحولت الصحراء امام العين الى كتل نيران سوداء فى حجم الجبال ، وقد تناثرت بينها الرمال ، وأصوات الجنازير وقذائف الدبابات تصيب الانسان بالصمم ، ولكنها تمنح رجالنا ابداعا تجلى فىقدرتهم علىالمبادرات الخلاقة عبر الهجوم المضاد ، ابداعا فى خفة الحركة ، والمناورة وفى عمليات الالتفاف والتطويق ، ودقة انتاج النيران الدائرية وسد ثغرات التراجع أمام دبابات العدو .. وقد حدث ان قفز الاسرائيليون من دباباتهم وتركوها عدوا أو هربا من الموت ، ليقعوا فى الاسر ، وذلك حين وجدوا الثغرات مسدودة أمامهم ، وكان لهذا النشاط اكبر الاثر النفسى المحسوس فى انهيار قواد وقوات اسرائيل وارتفاع نسبة الخسائر والاسرى فى حشدها المدرع .

لقد استخدمت قوات دباباتنا خواصا تكتيكية جديدة .. واجهت بها طيران العدو ، الى جانب الاعداد الهائلة من دباباته الامريكية الحديثة المزودة بالالكترونيات ووسائل الدعم التكنولوجى ، عديمة الجدوى أمام قبضة رجالنا المدرعة ..

ان الدبابات هى أقوى سلاح هجومى برى ، انها

تستطيع القتال كما حدث بمفردها أمام القوات العدوة على مستوى الجبهة فى سيناء .

لقد تميزت عمليات قواتنا المدرعة خلال الاسبوع الاول من الحرب بالقدرة التامة على تنفيذ مهام الالتفاف والتطويق، أخطر وأدق وأصعب المهام القتالية ، ولقد قاتلت حول اجناب العدو وتميزت بسرعة الاندفاع فى عمق دفاعاته والانتشار خلف قواته التعبوية .

والمفاجأة من أهم مبادىء القتال ولذلك تشكل قوات العدو المدرعة نفس الخطر على قواتنا البرية اذا تمكنت من مفاجأة قواتنا .

ولقد حاول العدو استخدام طائرات الهليكوبتر المزودة بصواريخ مضادة للدبابات .. الا أننا كنا أسرع منه فى استخدامها ضد ارتاله المدرعة ـ فحرمناه من فرصة تحقيق المفاجأة ولو لهجمة واحدة ..

سباق مهارات . . .

ان معارك الدبابات المصرية ـ الاسرائيلية اثبتت ان المعركة الحديثة هى بالدرجة الاولى سباق بين المهارات العسكرية للقادة والمقاتلين .

ان الاعمـــال الديناميكية الدقيقة لقواتنا المدرعة استوعبت ارقى استخدامات الدبابات الحديثة ، وبعضها مضاد للطائرات ، وكان رد الفعل لدى رجالنا حين يهجم العدو بحشد مدرع كبير ـ كان رد الفعل لدينا نابعا من التفاعل بكل ظروف القتال ومفاجآته وحساباته ..

ان دراسة اشكال المفاجأة المتوقعة قبل فتح النيران لا يشكل خطرا اذا وقعت هذه المفاجأة ، بل يشكل موقفا مطروحا ومطلوب التعامل معه من خلال معارف قواتنا العلمية العسكرية وما قطعوه من شوط هائل فى طريق

تثبيتها عمليا ـ هى حاصل الثقة فى السلاح والمهارة فى القتال ، والقدرة على تقييم الموقف والتنبؤ العلمى والتقديرات الصائبة لتصاعده .. انها كما يطلقون عليها الفطنة التكنيكية أو النضج التكنيكى لمواجهة أعمال العدو المضادة المفاجئة .

ان القتال ضار وعنيف ولم يسبق لقواتنا ان خاضت معارك بهذا الحجم ، كما لم يسبق للعدو أن واجه قوة نيران مثلما واجه ، وكان طبيعيا أن تتطور بعض العمليات والضربات العدوة الى مستوى لا يتطابق مع خطة قواتنا المسبقة .. ومن الطبيعيان تبرز عقبات وصعوبات خلال المعارك التصادمية بالدبابات ، ولكن هذه العوامل لا تخلق أدنى شك فى فعالية شبكة نيراننا ، بل تتلاشى امام الثبات والمرونة ، واتخاذ القرار الجديد بدون تردد، لتجاوز التغييرات الطارئة وترتيب المهام الجديدة على ضوء القرار الاخير .

لقد واجهت دبابة مصرية ثلاث دبابات للعدو خلال الايام الاولى للحرب وخاضت القتال ضدها ودمرتها بكل الكفاءة والقيادة الماهرة .

ويتطور القتال . ويرتفع ايقاع هجومنا ..

الغلاف الصلب لحين الجمل

قائد دبابات أكتوبر ..

لقاء وحوار معه في أكتوبر عام ١٩٧٥

ـ كانت معارك الدبابات المصرية والاسرائيلية شديدة الضراوة ولم يتعود الاسرائيليون على خوض غمار مثل هذه الحروب ، وقد اظهرت المعارك التى دارت فى القطاع الاوسط ان المصريين لم يكونوا على الاطلاق اقل مستوى من الاسرائيليين ..

هذه سطور قليلة من دراسة صحفية عسكرية كتبها الصحفى البريطانى « شارلز ويكبردج » فى المجلة الامريكية العسكرية « ناشيونال ديفنس » عدد يونيو عام ١٩٧٥ .

و « وشارلز ويكبردج » خدم بالجيش البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية وقام بتغطية معظم الحروب التى نشبت منذ ذلك الحين ..

ومن دراسة الصحفى البريطانى أعرض هذه السطور عن معارك الدبابات فى حرب اكتوبر المجيدة ..

ـ أكثر من ٢٠٠٠ دبابة اشتركت فى هذه الحرب فوق صحراء سيناء عام ١٩٧٣ ، ولا يعلم احد على وجه الدقة كم كان عددها .. وهو عدد تزيد على عدد الدبابات التى اشتركت فى معركة العلمين حوالى ١٥١٨ دبابة ، واستمرت

معركة سيناء دبابات أمام دبابات ستة أيام عندما بدأت تهدأ وتخف حدتها نتيجة الانهاك التام ونفـاذ الوقود والذخيرة كما يقول الصحفى الانجليزى الذى بدا يعانى منه كلا الجانبين بعد ان دار القتال بينهما فى منطقـة القطاع الاوسط فوق رقعة من الارض يبلغ طولها ٤٠ ميلا وعرضها ٢٥ ميلا وعلى الرغم من أن المصريين قـد تجاوزوا نطاق الحماية الجوية التى توفرها لهم شـبكة الصواريخ المضادة للطائرات مما ساعد الطيران الاسرائيلى على العمل ضدهم الا ان المدرعات الاسرائيلية لم تتمكن من السيطرة على الموقف حتى يوم ١٨ اكتوبر عام ١٩٧٣

هامش ـ قال لى مدير الدبابات ان نفـاذ الوقود والذخيرة يتعلق بالقوات الاسرائيلية حيث كان الامداد للقوات المصرية فى رءوس الكبارى يسير بانتظام ووفرة تخوفا من حدوث اعطال للكبارى بين جبهة القنـاة وجبهة سيناء ..

ـ لقد حقق رجال المدرعات المصرية انجازات ضخمة على كل المستويات تطلبت درجة عالية من الكفاءة والدقة المتناهية ، والتدريب المستمر الجيد قبـل الحرب والقدرة الفنية والمناورة الميدانية فى الصحراء المكشوفة التى اظهرها المصريون .. وقد عملوا على سـد الفجوة التكنولوجية الموجودة لديهم خلال ٦ سنوات ، بينما اعلن اللواء « موردخاى هود » فى عام ١٩٦٧ ، وكان قائـدا للقوات الجوية الاسرائيلية ، انه سيمر جيل كامل قبل ان تتعادل مهارات المصريين مع المهارات الاسرائيلية ..

ـ على « الجنرال هود » أن يراجع تقييمه ، وسيجد ويقول الصحفى البريطانى :

انه تقييما متعسفا لقدرات المصريين .

وفى القاهرة التقيت برجل الدبابات المصرية الاب المعلم لقطاع كبير من جيل النصر فى معارك المدرعات ومجدها البطولى فوق صحراء سيناء ـ الرجل الذى اعطى أحلى سنى العمر للدبابات ، ورصع جسده بثلاث اصابات خلال المعارك التى خاضها فوق دبابته ـ اللواء كمال حسن على ـ مدير المدرعات فى حرب رمضان المجيدة ، وقائد معركة المدرعات فى مضيق الجدى عام ١٩٦٧ ـ واحدة من اشرف المعارك التى خاضتها قواتنا المدرعة فى حرب عام ١٩٦٧ ، وحجبتها نتائج الجولة المشئومة عن جماهير الشعب .

من مواليد ١٨ ـ ٩ ـ ١٩٢١ .

تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤٢ ، وخدم بمنطقة القناة وبقى بها حتى عام ١٩٤٣ ..

التحق بمدرسة المدرعات بعد ذلك مدرسا للملاحة البحرية والاشارة .

فى حرب عام ١٩٤٨ ، كان اركان حرب الأورطة الخفيفة ـ وهى اورطة دبابات شكلت ورحلت الى فلسطين واشتركت فى العمليات الحربية بخان يونس ، ومعركة التبة ٨٦ ، ومعركة رفح .

اصيب فى ذراعه الايسر اثناء القتال واعيد للوطن .

سافر الى انجلترا فى بعثة مصرية والتحق بمدرسة المدرعات الانجليزية فى « بوفنجتن » عام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ ثم عاد الى مدرسة المدرعات المصرية .

قامت الثورة فأسندت اليه العمل برئاسة سلاح المدرعات .

التحق بكلية أركان حرب عام ١٩٥٥ وتولى عام ١٩٥٦

اركان حرب المدرعات لشئون التدريب الى جانب الاشراف على عمليات الأحتياطى الاستراتيجى للقوات المسلحة .

عمل بعد ذلك رئيسا لاركان المجموعة الثانية المدرعة ثم قضى عامى ١٩٥٨ – ١٩٥٩ فى بعثة قادة الوية بالاتحاد السوفييتى ، وعاد الى الوطن ليتولى اركان حرب المنطقة الشرقية بالقناة .

حتى عام ١٩٦٠ ، كان رئيسا لاركان « اللواء ٧٠ » المدرع فى قطنة بسوريا ، وفى أول يونيو من نفس العام تولى قيادة اللواء ، فكان اول ضابط مصرى يقود تشكيلا سوريا على مستوى لواء – حتى قام الضباط السوريون فى ذلك الوقت بانقلابهم الانفصالى .

عاد ليعمل مدرسا بكلية أركان حرب حتى عام ١٩٦٣ ثم اختير مديرا للعمليات فى حرب اليمن وبقى هناك الى يناير عام ١٩٦٥ حيث أصيب للمرة الثانية فى يناير عام ١٩٦٤ .

تولى بعد ذلك رئاسة مكتب قائد القوات البرية الفريق اول عبد المحسن مرتجى لمدة سنة ثم عهد اليه بقيادة اللواء الثانى المدرع فى يونيو عام ١٩٦٦ – ودخل به معاركه فى صحراء سيناء خلال عمليات عام ١٩٦٧ ، واصيب للمرة الثالثة يوم ٨ يونيو عام ١٩٦٧ ، بعد معركة بارزة من احداث تلك الجولة امام مضيق الجدى، وهى المعركة الثانية للمدرعات المصرية – التى اهتم بها المعلقون العسكريون فى الغرب وكانت الاولى معركة جبل لبنى .

قال لى اللواء كمال حسن على :

– صدر أمر التعبئة يوم ١٤ مايو عام ١٩٦٧ وتحركنا يوم ٢٤ ضمن الفرقة الرابعة المدرعة الى منطقة التمادا بوادى المليز .

وفى صباح ٥ يونيو التاسعة صباحا الا خمس دقائق كنت اقوم بالمرور على كتيبة الدفاع الجوى باللواء .. وفوجئنا بدون سابق انذار على الاطلاق بالطيران الاسرائيلى فوق المطار ، واعطيت أوامر الاشتباك على الفور واسقط الرجال ثلاث طائرات من الموجة الاولى فركز العدو طيرانه فوق اللواء الذى كان فى وضع ممتاز بالنسبة للحفر والخندقة واجراءات الدفاع الجوى فلم تصب لنا غير دبابة واحدة نتيجة التجهيز الهندسى الجيد فى انتشار دبابات اللواء .

وخرجنا من خنادقنا حين صدرت الاوامر لنا بالتحرك الى « مطلة خرم » على مسافة ٣٥ كيلومترا من الحدود الدولية ، وتحركنا ليلا لمسافة مائة كيلومترا دون أى خسائر أو أعطال ، واتخذنا مواقعنا حتى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٧ يونيو وهنا صدرت الينا الاوامر مرة أخرى بالعودة الى نفس المكان السابق نهارا ! ..

فى اليوم السادس من يونيو عام ١٩٦٧ كان واضحا ان طيراننا اختفى من سماء المعركة فطلبت باشارة ان تتحرك عودة ليلا بدلا من النهار ، غير ان الاوامر جاءت بضرورة التنفيذ فى الموعد الاول أى نهارا .

وتحركنا ١١ ظهرا ، وبعد ٢٠ دقيقة من التحرك ظهرت طائرة استطلاع اسرائيلية ، وبعد ١٥ دقيقة ، كانت طائرات العدو فوقنا ، ولم يتوقف اللواء واستمرت الغارة الجوية ثمان ساعات متصلة حتى ٨ مساء . كنا قد بلغنا منطقة التمركز مرة اخرى وخسائرنا حوالى ٤٠ ٪

قصة اغرب من الخيال

فى « تما دا » وجدنا ان أوامر جديدة صدرت بالتحرك

الى مضيق الجدى واحتلأله حتى ظهر يوم ٧ يونيو ، وفمنا بالمهمة ، وطوال الايام الثلاثه لم نقاتل ولم نشتبك الا مع العدو الجوى ومع طائراته .. وحتى يوم ٧يونيو لم يتوقف اشتباكنا مع الطائرات الاسرائيلية ، صدرت الاوامر بعدها بالتحرك الى غرب بالقناة ، وتحركنـــا وحرصت على أن تنتشر مدرعات اللواء شرقا وليس غربا .. فجاءت أوامر جديدة بالعـودة الى مدخل مضيق الجدى شرقا بمنطقة تمادا ..

كانت الدبابات حتى ذلك الوقت قد قطعت أكثر من ٣٠٠ كيلو مترا على الجنزير دون اعادة تزويد بالوقود ، وقد بدا رجالى فى منتهى الصلابة والتماسك ، وتزودنا بالوقود ، وتحركنا صباح يوم ٨ يونيو الى مضيق الجدى وتقدمت عناصر الاستطلاع الى مخرج المضيق شرقا ، وأبلغت عن تقدم دبابات للعـــدو ، وقد اشتبكت مع عناصر الاستطلاع بالفعل ثم بدأت الدبابات الاسرائيلية تنسحب داخل المضيق .. ولايمانى بعدم وجود طيران لنا وحتى لا يصبح المضيق مصيدة لقواتى ــ أمرت رجالى باتخاذ مواقع على مخرج المضيق من الغرب ، ثم استمر العدو فى التقدم حتى ظهر من المضيق وهنـــا وقعت المعركة مدرعات أمام مدرعات ، واستمر القتال ٩٠ دقيقة أو أكثر قليلا خسر العـــدو خلالها ٨ قطع وأصيبت لنا قطعتان .

وظهرت طائرات العدو لانقاذ مدرعاتهـــا ، واستمر القصف الجوى حتى ٣ ظهرا فتـــدمرت تقريبا جميع دباباتى وعرباتى المدرعة ــ وقد أرسلت قيادة الفرقة عربة قيـــادة جديدة لى فدمرت هى الاخرى أثنـاء المعركة .

انسحبت دبابات العدو داخل المضيق ، وتقدم خلفها

ثلاث دبابات مصرية تكون فصيلة كان فى الدبابة الاولى ملازم أول لطفى ، وفى الثانية قائد الكتيبة رائد فوزى .

هامش — فى الدبابة الثالثة كان اللواء كمال حسن على .

وأثناء القتال أصبت على مخرج المضيق ، وأخلتنى آخر عربة غادرت سيناء ٥ مساء يوم ٨ يونيو بعدها دمرت قواتنا كوبرى جنوب البحيرات ..

دبابات ضد دبابات

قال لى قائد دبابات أكتوبر :

ــ رغم نتائج المعركة ككل الا أن الصورة لم تكن قاتمة السواد كما كتب أحد الصحفيين فى الغرب عام ٧٢ وكان يتحدث عن معارك قواتنا المسلحة فى سيناء عام ١٩٦٧ ــ رغم ذلك فقد استوعبنا الدرس جيدا ، وكانت معارك الدبابات مع الجيش الثالث أو مع الجيش الثانى عام ٧٣ محصلة قائمة على الخبرة والتدريب والمعارف الميدانية ، وايمان الرجال بشرعية حربهم .

ان معارك عديدة قامت بها المدرعات المصرية فى حرب ١٩٧٣ تعد من أرقى دروس حروب الدبابات ، وقد تتبعها بالدراسة معلقون عسكريون من أنحاء الدنيا .

معركة البطل الشهيد جمال المهدى فى الجيش الثالث كانت قمة فى المناورة والنيران ، وهى معركة كتيبة مدرعة مصرية ضد كتيبة مدرعة اسرائيلية بعدها استمرت المعارك التى تألقت فيها دباباتنا ــ خاصة فى صد هجمات العدو المضادة حيث تدمرت مدرعاته ، ومعاركنا حين ركز العدو على الحد الايمن للجيش الثانى قطاع الفرقة ١٦ و ٢ مشاة ، وهدفه خلق الظروف المواتية لكى يعبر الى الغرب ، ولذلك استخدم ٣ لواءات مدرعة كانت

تهجم بالتتالى ، واستطاع مقاتلونا تكبيده أقصى الخسائر .. فكانت الساحة رهيبة بالنيران حيث وجدنا دبابات اسرائيلية مدمرة على مسافة مائة متر من دباباتنا ،ولذلك حصل كثير من ضباط المدرعات على وسام نجمة الشرف والنجمة العسكرية .

ان بين رجالى قائد سرية دمر ٣٤ دبابة للعدو ، دمرها بعشر دبابات مصرية أصيبت منها أربع دبابات فقط .

لم تكن تلك المعارك بنتائجها العالية عفوية أو ضربة حظ ، بل كانت حصيلة جهد وايمان وكفاءة فى التدريب طوال سنوات الصبر والصمت .

لقد صمد جندى المشاة المصرى بصلابته واقتداره وبالمصاطب المصرية للدبابات حققنا أروع صور التلاحم الميدانى وأثناء توسيع رءوس كبارى قواتنا فى سيناء قادت الدبابات الهجوم بحكم امكانيات نيرانها وتدريعها وسرعتها وقد حدث ذلك فى معظم مناطق توسيع رءوس الكبارى .

فى الجيش الثالث وفى بعض المناطق قادت المشاة عمليات توسيع رءوس الكبارى وذلك ليس مجافيا للتكتيك بل تقتضيه ظروف وطبيعة الارض .. حتى حطمت دباباتنا جميع الموجات المدرعة المضادة التى قام بها العدو .

غلاف عين الجمل

ان الدبابات بالنسبة للمشاة والمدفعيات كما يقول القادة القدامى هى الغلاف الصلب لعين الجمل ... ولذلك كانت دباباتنا هى الدرع الذى تحطمت فوقه موجات الهجوم الاسرائيلى المضاد على طول الجبهة .

ولقد استمدت الدبابات المصرية عناصر تفوقها من خلال

التعاون الراقى بينها وبين المشاة والمدفعية المضـــــادة للدبابات والمدفعية ، وحققت الدبابات المصرية من خلال التنسيق مع الاسلحة الاخرى أعلى صور المناورة طبقا لحجم هجوم العدو .

هناك رجال كثيرون اظهروا من البطولات ما يفـوق الخيال واذكر على سبيل المثال البطل « القرش » غير دبابته ثلاث مرات ، فى المرتين السابقتين على استشهاده كانت دبابته تصاب فيتركهـــا ويستقل دبابة جـديدة مستمرا فى القتال عبر معارك القطاع الاوسط وكان له شرف الاشتراك فى تدمير اللواء الاسرائيلى المدرع ١٩٠ بقيادة عساف ياجورى ، ذلك اللواء الذى تجدد أيضا ثلاث مرات أثناء القتـــال وقد دمرته قواتنا مرتين ، وأسرت فائده فى هجومه الاخير علينا .

لقد كان للدبابات المصرية دورا قتاليا متألقا متميزا فى معارك الدبابات ضد الدبابات ، وفى المعارك التصادمية التى خاضتها وفى تدمير اللواءات الاسرائيلية المـــدرعة المدعومة بالحماية الجوية .. ومن هنا نستطيع أن نقول بكل الرضى والايمان أن المدرعات المصرية كانت فعلا وبحق « الغلاف الصلب لعين الجمل » .

المعركة غير المعلنة

ان البطل اللواء كمال حسن على مدير دبابات أكتوبر هو أحد نجوم معركة الصبر والصمت ، المعركة غير المعلنة التى قادها القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات مع رجاله قادة قواتنا المسلحة ، استعدادا لمعركة مصيرية هى الخـــلاص للشعب العربى من عار الهزيمة فى ١٩٦٧ .

لقد نقل اللواء كمال حسن على بعد اصابته فى يونيو ١٩٦٧ نائبا لمدير شئون الضباط بالقوات المسلحه ،حتى التئمت الاصابه ـ فتولى رئاسه اركان احدى الفرق المدرعة ثم تولى قيادتها .

وساهم بعد ذلك فى هيئة عمليات قواتنا المسلحة كمدير للعمليات ، وكان اللواء سعد مأمون محـــافظ مطروح حاليا وهو أحد نجوم المدرعات المصرية رئيسا للعمليات فى تلك الفترة ، وبعد معركة التصحيح عام ٧١ تولى اللواء كمال حسن على ، رئاسة أركان المدرعات ، وفى يوليو ١٩٧٢ عين مديرا للمدرعات المصرية ، ثم تسلم أخطر تلقين من القائد العام المشير أحمد اسماعيل على ، بالاستعداد للحـــــرب .. ومضى أكثر من عام حافل بالتفاصيل والمهـــام حتى بزغ فجر ٦ أكتوبر وعبرت المدرعات المصرية الى سيناء ، فاتحة نيرانهـــا مطـورة هجومها ، موسعة لرءوس كبارى قواتنا ، محققة أرفع الاساليب فى ادارة معاركها التصادمية .

وقد اختار الفريق أول محمد الجمسى القائد العـام لقواتنا المسلحة وأحد أساتذة المدرعات فى الشرق الاوسط ، اللواء كمال حسن على فى مايو ١٩٧٥ مساعدا له ، وكان أول لقاء لهما بالمدرعات فى بداية عام ١٩٤٧ .

بعد ذلك أسند الى البطل مهام أخرى على المستوى القومى .

شرايين الدم فى الجسد

أبو المهندسين ..

لقاء وحوار معه فى يناير ١٩٧٤

لم يكن الساتر الترابى الضخم الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية للقناة لتغطية حصون بارليف هو المشكلة التى يجب أن نتغلب عليها .. كانت المشكلة حقيقة هى « الساتر الترابى » الذى اقامته قواتنا على الضفة الغربية ، فقد كان محتما اجراء فتحات فى ساترنا الترابى على الشاطىء تستقبل ارساء الكبارى حتى يتقرر عبور قواتنا ، وكان العدو بالضرورة سيشهد عملنا ، وكأننا بذلك نكشف له عن نوايانا ومناطق عبورنا ..

كيف واجهنا هذا الموقف ؟ ..

ـ انه أحد المواقف العديدة التى تجاوزها سلاح المهندسين فى نضاله المتصل منذ عدة سنوات استعدادا لليوم الخالد ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، يكشف عنها مدير السلاح « اللواء مهندس جمال الدين محمد على » الرجل الذى ظل يعمل ضابطا بالمهندسين ٣٠ عاما حتى عام ١٩٧٤ .

يبقى « سلاح المهندسين » فى كل جيوش العالم بمثابة شرايين الدم فى جسد الانسان تمد القلب بل كل الخلايا الحية بعنصر البقاء والنمو والحركة .

وفى حرب رمضان الخالدة ، أعطى « سلاح المهندسين » شجع العطاء ، وكانت مهامه من اطول واصعب واجبات القتال ، وقد جاد بعض أبطال السلاح بأرواحهم فـدية للنصر ، صعدوا الى رحاب الله وهم يصنعون دعائم الهجوم تحت قصف مكثف من طائرات العـدو بقنـابل الف رطل .

وعبر لحظة راحة ، تحدث أبو المهندسين العسكريين اللواء مهندس جمال الدين محمد على ، مدير سـلاح المهندسين ، حيث قضى الرجل ٣٠ عاما بالسلاح ، عن المعركة شـارحا الدور البطولى للمهندسين فى حرب رمضان الماجدة .

ـ بعد يونيو ١٩٦٧ ـ وتدمير طائراتنا فوق الارض ظهرت مشكلة حماية الطائرات الجديدة وتطوير وزيادة شبكة المطارات العسكرية بهدف زيادة كفاءةاستخدامها، وقد حمل سلاح المهندسين شرف هذا الوجب ، وبدأ الرجال العمل على الفـور قبل أن ينتصف شهر يونيو ١٩٦٧ ..

قلت لمدير السلاح :

ـ قالت بعض الصحف العالمية أن مصر تعتبر « رائدة » فى العالم ببنائها دشم الطائرات .. كيف حدث ذلك ؟

نعم ، نحن نعتبر « روادا » بدون أى مبالغة ، فقد اخذ حلف غرب أوروبا « حلف الاطلنطى » بأسلوبنا وأقام دشم الطائرات على غرار ما فعلنا ، كما طبقته دول أخرى فى قواتها الجوية .

لقد طلبنا عقب يونيو ١٩٦٧ ، ووصول الطـائرات الجديدة الينا ـ الخبرة ـ من أنحاء الدنيا ـ حتى من الاصدقاء السوفييت ، ولم يكن لديهم دشم أو ملاجىء لحماية الطائرت .. الاتحاد السوفييتى مثلا عمقه ١٣

الف كيلو متر طول مما يوفر له حماية جوية طبيعية، فلماذا يقيم دشما للطائرات ؟ ..

بدأنا العمل باجتماعات اشترك فيهـــا أكبر مهندسى الدولة لاقرار تصميمات الدشم التى وضعها ضباط من أخصائى التحصينات الوقائية بالسلاح ، وهى تصميمات مصرية صميمة ، ومررنا بعدة تجارب ، وتطور التصميم أثناء الانشاء ، فقد وضعنا فى الاعتبار مختلف الاسلحة والنيران التى يمتلكها العدو وما سيحصل عليه مستقبلا، لضرب هذه التحصينات ، مدتنا بهذه الدراسات جميـــع مصادر المخابرات ، وبالتالى حددنا درجة الوقاية اللازمة فى البناء نفسه .

وفى حرب ١٩٧٣ ـ ألقى العدو قنابله الضخمة ألفى رطل فوق هذه الدشم وأثبتت صلابتها وكفاءتها ، وقال وزير الدفاع الامريكى أخيراً فى تصريح له « ليس هناك علاج على الاطلاق لحماية الطـــائرات من اغارة الطيران المنخفض غير دشم الطائرات » وكان يتحدث عن الجولة الرابعة بيننا وبين اسرائيل .

حلف وارسو

قلت للواء مهندس جمال الدين محمد :

ـ قيل أيضا أن حلف وارسو أخذ أيضا بالاسلوب المصرى فى بناء قواعد الصواريخ المضادة للطائرات ايمانا بالتفوق العقلى الهندسي المصرى.. فهل هذا صحيح ؟ ..

ـ نعم هذا صحيح ، كما أخذت به بعض الدول العربية الشقيقة أيضا ، وقد حدث ذلك بعد غارات الطيران الاسرائيلى يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ ، بكثافة شديدة ، أكثر من ٢٤٩ طائرة قاذفة ومقاتلة عدوة هاجمت مواقع الدفاع الجوى المصرى وبطاريات صواريخه بهدف كسر

السلاح الحديث وتحطيمه نهائيا ، ووقف الرجال بكل الصلابة والايمان يسقطون الطائرات المغيرة ، واكتشفنا بعض الثغرات فى بناء قواعد الصواريخ حسب التصميم الروسى فطورنا التصميم تطويرا مصريا من واقع خبرة المعارك اليومية بين قواتنا والقوات الاسرائيلية طوال٦٩ ـ ٧٠ ـ وقد استفاد الاصدقاء فى حلف وارسو بهذا التطوير وكما قلت لك بعض الدول العربية الشقيقة .

لقد كانت عملية بناء قواعد الصواريخ المصرية من أروع وأعظم ملاحم شعبنا البطل ، وهى التى أشار اليهـا القـائد الاعلى الرئيس أنور السادات أكثر من مرة فى خطاباته الى الشعب ، حيث التحم سـلاح المهندسين والقطاع العام ، وشيدوا مواقع الصواريخ فى أربعين يوم خالدة ، انفقنا خلالها أربعين مليون جنيه بواقع مليون جنيه لليوم الواحد .

وقد اشتركت فى هذه الملحمة مؤسسات مدنية عديدة من قطاعات التشييد والطرق والنقل واستصلاح الاراضى، وكل قطاع استغل معداته الميكانيكية ومهندسيه وعماله.

واشتركت المراة الريفيـة بجانب زوجها فى اقامة القواعد ، كان نشاطها مشهودا وجسورا عملت الفلاحة المصرية تحت قصف القنابل الاسرائيلية فى بناء الدشم ـ ولم تتراجع او تخف ، كانت قوية صـامدة تعى دورها وما يقوم به أولادها وزوجها من أجل سلامة مصر .

كنا ننشىء المواقع ليلا مع آخر ضوء حتى أول ضوء ويحاول العدو ضربها نهارا ، فنعيد بنائها بكل الثبات والارادة الصلبة ، وكان حجم العمـالة ضخما جدا ، واستشهد لنا أبطال من المدنيين والعسكريين بجانب هذه المواقع من أسوان حتى الاسكندرية ، وكانت معركة تحدى بين المقاتل المصرى والعدو الاسرائيلى وأمكننا تنفيذ المهمة ،

وتساقطت الفانتوم وسكاى هوك وميراج العدو كالذباب تحت أقدام قواتنا .

ولقد أنشأنا مواقع مختلفة للدفاع الجوى وبطاريات صاروخية فى توقيت سريع ، وهى مواقع ميدانية ، وكانت مفاجأة للعدو حين تساقطت طائراته بين القاهرة والقناة ، وتكفلت هذه المواقع الصاروخية بحماية التحصين الثقيل بمنطقة القناة غرب ، من السويس حتى بور سعيد ، ولم تستطع الطائرات الاسرائيلية أن تنال من المواقع الهندسية المصرية بعد ذلك ـ فضلا عن دورها فى تدمير الطـــائرات المهاجمة بأعداد هائلة .

ممرات المطارات

ـ بعد ١٩٦٧ ، رأينا وكان ذلك ضروريا ، زيادة عـدد ممرات كل مطار ـ فى البـــداية كانت على شكل صليب فيضربها العدو فى التقاء الممرين وبالفعل أصبح لنا مطارات عسكرية كثيرة وبها ممرات عديدة أيضا تزيد من كفـاءة الطائرات المصرية ، لقـــد خططنا هندسيا لبناء الممرات ولست فى حل من الاشارة الى نوعية هذه التصميمات ، كما أعددنا شبكة مطارات تغطى أنحاء الجمهورية بأكملهـا وقد انشأنا وحدات مهندسين قادرة على صيانة الممرات واصلاحها اذا ضربت فى زمن قياسي ، وازالة القنـــابل الزمنية التى تسقط. ولا تنفجر ، والعـدو يمتلك دائما أحدث أنواع هذه القنابل الامريكية المتطورة ، فى حـرب ١٩٧٣ القى على مطاراتنا قنابل زمنية تبقى من ساعة الى ١٥ ساعة يوميا . وأنواع أخرى لها طبات الكترونية ضد الاهتزاز ، وفى هذه الحرب المجيدة عمل قطاع من المدنيين مع سلاح المهندسين فى اصلاح الممرات ، كان معنا رجال من مؤسسة الطرق والكبارى ، يعملون جنبا الى جنب

مع رجالنا فى كل مطاراتنا الحربية .

ولقد واجهنا هذه القنابل بأجهزة حديثة ، ومن قبل استطعنا بالتعاون مع وزارة البحث العلمي وعبر دراسات استغرقت نصف عام ــ أن نصنع كثيرا من التجهيزات المصرية لمطاراتنا الحربية ــ وجاءت حرب رمضان لتؤكد كفاءة ونجاح التخطيط والتحضير الذى طبقه أيضا سلاح المهندسين والقطاعات المدنية الاخرى ، وقد تحولوا جميعا الى عقل واحد ، وقلب واحد .

قلت للواء مهندس جمال الدين محمد على :

ــ لقد كان لسلاح المهندسين دور ضخم فى الاعداد لحرب التحرير مع القوات البرية .. هل نستطيع التعرض له بقدر من التفاصيل ..

ــ كان دورنا فى تجهيز المسرح العسكرى لقواتنا هندسيا على مستوى القوات الجوية والدفاع الجوى والقوات البحرية ــ أما على مستوى القوات البرية ، فقد قمنا بانشاء نطاقاتها الدفاعية ، وطرق المناورة ، والمواقع والسواتر الترابية فى غرب القناة ، ومواقع القتال التبادلية ومراكز رئاسات الوحدات الضاربة ومناطق الحشد للهجوم ، وكان اهم عمل تميز به العام الماضى قبل الحرب هو بناء المصاطب الترابية على الضفة الغربية للقناة ، حتى تسيطر النيران المصرية على خط بارليف خلال الساعات الاولى للهجوم ، نيران الدبابات والمدفعية المضادة للمدرعات ، لوقاية قواتنا المشاة وهى تعبر القناة خلال اقامة كبارى العبور الثقيلة والخفيفة .

مع عام ١٩٦٨ بدأنا فى اعداد مهمات العبور ، صنعنا محليا كبارى مصرية صميمة ونسبة كبيرة من معدات العبور لتلبى احتياجات قواتنا البرية .

لقد استغل مهندسونا كل قطعة خردة ، كل البراطيم القديمة ، وصنعا الاحزمة العائمة ، صنعا أجهزة الرباط للكبارى : سطحها العلوى ، قواعـــدها فى الماء ، طورنا المزلقانات الكبيرة عند بداية ونهاية الكبارى لتصبح عملية الترسية على الشاطئين الغربى والشرقى سهلة متيسرة كى تمر المعدات الثقيلة بلا عقبات .

هناك المقاتل مهندس فؤاد الذى قام مع رجال وحدته ببعض هذا العمل البطـولى فى سرية تامة وبكفاءة مصرية عالية ..

الساتر الترابى

لم يكن التغلب على الساتر الترابى لخط بارليف من ٨ الى ٢٠ مترا ارتفاعا الى جانب ٨ أمتار حتى ١٠ أمتار تراب مسطح فوق الخط ، وهى التى يستعملها العـــدو كمصاطب نيران لدباباته ومدفعيته ــ لم يكن ذلك بالمشكلة الاولى أمامنا ، بل كانت المشكلة هى اجراء فتحات خداعية بالساتر الترابى المصرى على القناة ــ فتحات خداعية يطلق عليها منازل وساحات اسقاط الكبارى .. ولقد أجرينا هذه الفتحات على طول القناة حتى لايعرف العدو من أين ستعبر قواتنا .

كل ٢٥٠ مترا أوجدنا فتحة ولم يستطع العدو على الاطلاق تحديد اتجاه عبورنا .

وكان الساتر الترابى الشرقى جزءا من خط بارليف الذى يشمل النقط الهندسية الحصينة وعـــددها ٢٧ نقطة ، ولم يتوقف رجال الاستطلاع من المهندسين عن العبور تسللا الى الشرق . ودراسة كل تدعيم فى حصـــون العدو وقد حرص منذ بداية عام ١٩٧١ على دعم تحصناته باستمرار هندسيا وقتاليا .

ـ هل تستطيع ان نعرف خط بارليف هندسيا من خلال تجاربكم ودراستكم لحصونه ومواقعه ؟ ..

ـ كل ٤ كيلو مترات أقام العـــدو نقطة قوية وقام بتوصيلها بالساتر الترابى فى بعض المناطق بلغ ارتفـــاعه ٣٠ مترا ـ وكانت النقط بمثـــابة هيئات حاكمة على المحاور الرئيسية فى المناطق الصالحة للعبور وتبلغ مساحتها فى المتوسط ٢٠٠ × ٣٥٠ م ومحاطة بأسلاك شائكة وحقول ألغام بعمق ٢٠٠ م فى المتوسط أيضا وبها جميع مرابض نيران الاسلحة ودبابات فى شكل دفاع دائرى بمدخل واحد وبها ملاجىء للافراد من طوابق متعـــددة وبدرجة وقاية عالية جدا لمقاومة قنابل الطائرات زنة ألف رطل وأكثر ، ومزودة بأجهزة تهوية وتنقية ضد الغازات وأسلحة التدمير الشامل ، وبها وحدات انارة وتكييف هواء وغيرذلك من المرافق الصحية ، وقد تكلف خط بارليف حسب تقدير العدو نفسه ٢٣٨ مليون دولار .

ـ قمنا بتجارب كبيرة ـ ميدان تجارب بالحجم الطبيعى أقمناه على كثير من فروع النيل فى مناطق مختلفة ـ وقد شيد المهندسون المصريون حصونا مطابقة تماما لحصون العدو ، وتعاملت معها أجهزة القيادة العامة والاجهـــزة الفنية المختصة فى القوات المســلحة الى جانب الاسلحة الضاربة ، واستخدمنا المواد الناسفة التى اظهرت مزايا وعيوبا ، وبدأ الموقف كالاتى :

ـ حتمية معاونة المشاة التى ستولى اقتحام النقط القوية العدوة وذلك بفتح ثغرات فى حقول الغامها ، وقد رافق المهندسون موجات العبور الاولى مع الدقائق الاولى للهجوم وقاموا بهذا الواجب ، وجاد الابطال بأرواحهم فدية للعبور التاريخى .

ـ سرعة عمل فتحات فى الساتر الترابى الشرقى وفى

وقت قصير جدا ، واقامة الكبارى فى الوقت نفسه وكل ذلك محدود بفترة زمنية قياسية .

وكنا قبل ذلك قد توصلنا الى نجاح هدم الساتر الترابى بطلمبات تعمل بموتورات توربينية كموتورات الطائرات ، وفى سرية شديدة عملنا على اختصار الوقت الى فترة قصيرة جدا تتفق مع انزال وتركيب الكبارى ـ وعملت وحدات الكبارى ـ وسبق هذا كله دراسات مستمرة من خلال معلومات مقاتلى الاستطلاع التى تتجدد باستمرار عن العدو .

وفى مناطق أخرى أخذت وحدات الكبارى بقيادة البطل الشهيد لواء مهندس أحمد حمدى عبد الحميد ، تقوم بانشاء وتشغيل العدد الكافى من الكبارى والمعدات والناقلات البرمائية لعبور معدات القتال الثقيلة كالدبابات والمدفعيات والصواريخ والامدادات بالذخيرة وخلافها .

خبرة السد العالى

لقد كان هدم السد الترابى الشرقى عملا معجزا لتربته الطفلية وتحولها الى جبل من الطين أمام قذائف الماء .. لقد تزحلق المشاة وهم يعبرون فما بال المعدات المجنزرة ، لقد هبطت كميات كبيرة من تراب ساتر بارليف الى الماء فحدث الاطماء ، وكان لابد من رفع الاطماء حتى لا يعوق تركيب الكبارى ، ولقد حرص المهندسون على اطلاق الماء فى أعلى الساتر ثم فى أسفله لمكافحة عملية ترسيب التراب فى القناة .

وهنا يهمنى أن أذكر أصدق المعاونة التى قدمها لنا المهندس صدقى سليمان من خلال خبرة بناء السد العالى ـ وعمليات التجريف التى تمت فى أسوان على السدود الترابية .

وفى الجيش الثالث قاموا بأعظم الاداء وكانوا يصلحون ويعيدون تركيب اجزاء الكبارى المضروبة بقنابل العـــدو فى زمن قصير .. كانت الكبارى وسلامتها هى كل حياتهم ورجائهم ، كما كانت وحدات المهنـــدسين المتخصصة فى انشاء حقول ألغام داخل سيناء تحت نيران العـدو قادرة على تحقيق المفاجأة للقوات الاسرائيلية التى تورطت فى هذه الحقول وتدمرت لها عشرات الدبابات .

ان استعداد المهندسين للمعركة لا زال قائما ومستمرا ، فى سيناء أو فى غرب القناة ، أو فى أنحاء الوطن ، فى كل مطار ، فى كل قاعدة جوية ، فى مواقع الدفاعات الساحلية بين قواتنا البحرية ، فوق كل طريق أسفلتى أو ساحلى ، مع كل كراكة تعمل فوق سيناء المحررة ، وكل ماسورة مياه تمتد الى قواتنا ، وكل قارب خشبى تخرجه مصانعنا الحربية ، مع كل قطعـــة صلب صغيرة تزيد من دعامة كبارى العبور ، مع كل حصيرة صاج تنتشر فوق الرمال لتعبر عليها وحداتنا الميكانيكية والمدرعة ، يعمل ســلاح المهندسين البطل ليل نهار ، رافعا راياته ، فاتحا لنيرانه ماضيا بايمان وصلابة واستطاعة واقتـــدار . تسبقه معداته ، لتشق دائما طريقا للنصر .

مهندسو النصر

عاشوا السنوات الست المريرة بكل كيانهم .. جهدا وفكرا وابتكارا ، واتصل ليلهم بنهارهم ، وعيونهم دائما على الفجر وقد آمنوا بحتمية مجيئه ، حتى بزغ نهار ٦ اكتوبر الخالد على مدى التاريخ ، فأرسوا بدمائهم وأرواحهم دعائم النصر ..

أولئكم الابطال العمالقة مقاتلى سلاح المهندسين .

انهم زراع قواتنا المسلحة الصلبة الممتدة الى قلب مواقع العدو ، ظلت استطاعتهم وقـــدراتهم كمياه الشلالات المنطلقة من خلف السدود ، تلك القدرات التى تملكها فصائل بعينها من الرجال ويتجاوزون بهـــا امكانيات البشر ، فكان أداؤهم لمهامهم فى حرب رمضان الماجدة ، جريئا غنيا بالعلامات المضيئة ، تزينه أشرف البطولات، وأغلى التضحيات .

لقد أوكلت القيادة العامة للقوات المسلحة اليهم مهـام وواجبات من أخطر وأهم أركان الاعداد للمعركة ، وبدأ نشاطهم على الفور مع بقية الاسلحة الاخرى منذ رفعنـا راية استمرار القتال بعد نتائج معـركة يونيو ١٩٦٧ ، وانضمام الطاقات الشابة الجامعة الى صفوفه المقاتلين ، وبناء الجيش بأسلوب عسكرى علمى حديث ، وبمعدات

متطورة تساير متطلبات العصر ومعركة تحرير سيناء من الاسر .

كان عليهم بناء مطارات حديثة وعديدة لقواتنا الجوية ودشم جديدة متفوقة على مثيـــــلاتها فى أسلحة طيران العالم ، وقد وضعوا فى الاعتبار مختلف الاسلحة والنيران التى يمتلكها العدو ، وما يمكنه أن يحصل عليه مستقبلا لضرب هذه الدشم ـ مدتهم بها مصادر المخابرات المختلفة، وعلى هذا الاساس حددوا درجات الوقاية اللازمة لبناء الدشم التى تلقت فى حرب ١٩٧٣ ، قنابل العدو زنة ألفى رطل وأثبتت كفاءتها وصلابتها ... ونجح مجهود الرجال

وما أكثر هذه الدشم وشبكة المطارات التى غطت أنحاء الوطن ، وما أعظم الجهد الذى بذله المهندسون لبنائها بمثل هذا الحجم كثافة وبنيانا ، حتى أخذ بها حلف الاطلنطى وطبقها فى مسارحه العسكرية الجوية ، كما أخذت به دول أخرى عربية وصديقة أيضا .

ومع بناء المطارات والدشم كان لابد من زيادة عـــدد ممرات كل مطار حتى اذا ضرب العـــدو بعضها استمر الباقى يعمل بلا توقف ، وبالممرات العديدة ترتفع كفاءة الطيارات والنتائج الايجابية التى يمكن تحقيقها ...

ولقـــد صمم المهندســـون العسكريون ممرات ذات تصميمات هندسية تدخل فى نطـــــاق السرية : وتكونت وحدات من المهندسين لصيانة هذه الممرات ليلا ونهارا قادرة على اصلاحها بوسائل فنية حديثة فى زمن قصير اذا أصيبت بقنابل العدو ، وعمل عـــــدد ليس بقليل من المهندسين المدنيين ، وكذلك من الفنيين أبناء القطاع العام فى مطاراتنا العسكرية خلال حرب اكتوبر المجيدة ، حين تعرضت ممرات الطائرات لقنابل زمنية من أحدث انتـــاج

ترسانات أسلحة أمريكا ، وبقيت من ساعة حتى ١٥ يوما دون انفجار ، حتى يكتشفها هؤلاء العمالقة ويجمعونها ، وبعضهم جاد بحياته كما ستتعرض له خلال السطور القادمة ، جاد بحياته مقابل رفع هذه القنابل دون تفجيرها ليضمن سلامة الممر وسلامة اقلاع طائراتنا .

لقد واجه مهندسونا وهم فوق ممرات مطاراتنا قنابل تلقيها طائرات العدو لم يستعملها من قبل ، غير أنهـــــا لم تشكل مفاجأة للرجال الذين تلقوا عليها دراسات طويلة سابقة كانت سبيلهم الى السيطرة على تلك القنـــــابل المضادة للاهتزاز وتبقى بلا انفجار مختفية عن العيون غير اليقظة ..٥٠ ساعة ، ويذهب اليها « المقاتل المهندس كمـا فعل البطل مهنـــــدس ، مرتضى » ابن قرية العجمين بالفيوم ، وهو لايعرف توقيت ضبط لحظة الانفجار فى الساعة الزمنية داخل القنبلة ، وبعضهم لم يكن يعرف نوع طابة هذه القنبلة أو تلك ، يذهب اليها ليعمل بيديه فيها قلب وعقل واحد ، لحركة ارادة فولاذية صلبة ، وتخطيط هندسى بارع تدربوا عليه مئات المرات ، وكان والضباط والجنود أبناء السلاح العمـلاق يتحـــركون امامى لانزال البراطيم واقامة الكبارى واجراء الفتحات فى الساتر الشرقى ، وتلغيم مصاطب دبابات العـــــدو بالضفة الشرقية ، وتخـــريم بعض مواقع دشم بارليف الحصينة بالديناميت فى وقت واحد ، كل مقاتل فى المكان المحدد له ، لا تزحزحه قنبلة من طائرة عدوة ، أو دفعـة رشاش اسرائيلى ، أو دانة دبابة باتون ، أو قصف مدفعية للعدو فى عمق سيناء ، وحين تصـاب براطيم ومعديات العبور يعيدون اصلاحها بكل الثبات الانفعـــالى والخبرة المدعومة بالايمان ، والثقة فى قدراتهم الفنية واقتدارهم

على تجاوز خسائرنا فى الكبارى : واعادتها الى العمل عبر زمن وجيز ..

يقول لى أحد قادة وحدات الكبارى :

ــ « بعض المقاتلين معنا لم يكن مضى على انضمامهم للسلاح الا عام أو أقل ، ووجدتهم أول من أسقطوا معداتهم فى مياه القناة ، ولم يتركوا الكبارى التى شيدوها بكل أعصابهم حين تعرضت للقصف الجوى ، ان الكبارى كانت كأبنائهم ، احتضنوها وظلوا فوقها حتى استشهد البعض وهو يحاول اصلاح الاجزاء المصابة قبل أن تنتهى الغارة ، لهفة وحبا وارتباطا بالكوبرى ..

انني أذكر « المقاتل البطل المهندس الصواف » ابن قرية برما بطنطا ، كان فى مقدمة جنوده وهم ينقلون معدات بناء الجسور ويقودون المعديات لتنضم الى بعضها وتتحول الى كوبرى جديد ، كان يعمل مع الجنود والضباط فى انزال البراطيم والبولدزورات الى الضفة الشرقية ثم ينتقل الى وحدات مدفعية المياه التوربينية ، فيرفع اطلاق الماء حتى يبلغ ٥٠ مترا ، ولكن ساتر العدو الترابى لم يزد على ثلاثين مترا على طول الجبهة ..

وعبر الرجال ، وجاءت دبابة اسرائيلية أفلتت من الالغام وأطلقت طلقاتها على المعديات فوق الماء ، وأصابت طلقة مباشرة معدية المقاتل الصواف واستشهد البطل العملاق بجانب كوبرى القنطرة شرق ، وبين جنوده الذين تقدموا ونسفوا الدبابة ، ثم عادوا لتكملة بناء الكوبرى ، وقد أطلقوا اسم قائدهم عليه ، تخليدا لشجاعته وقيادته الناضجة وحياته التى أهداها لجسور العبور ..

المقاتل البطل مهندس أبوزيد ، من أبناء أبو كبير شرقية ، كان دينامو الكبارى وصيانتها ، قضى ليلة ٧ أكتوبر بمنطقة الشط فى اصلاح الجسر ، وفى فجر اليوم

التالى ، أستشهد البطل وهو يقـــود مجموعة صيانة الكوبرى تحت قصف قنابل الفانتوم بعد أن أدى أعظم الاعمال يوم ٦ أكتوبر ..

البطلان المقاتلان المهندسان هنداوى ونبيه جرجس ، ابنا دمنهور ومفاغة ، ظلا بأقصى الصلابة والارادةالحديدية مع جنودهما فوق الكبارى يحميانها بالاصلاحات السريعة كلما تعطلت أو أصيبت بعض أجزائها ..

وحين عبرت وحدات المشاة مياه القناة عبر معهـــا « البطل نبيه جرجس » كعنصر مهندسين ..

حمل السلاح واشترك فى قتال أفراد العدو داخل دشم بارليف فى منطقة جنوب البحيرات ثم أستطلع الشاطىء وحدد أماكن فتح الثغرات مع وحدات الالغام والمفرقعات، وعلى الفور عمل معهم فى تجريف الساتر الترابى بطلمبات الماء التوربينية ، وتم فتح الثغرات ، كل كوبرى فتح له الرجال ٣ ثغرات لتصلح احداها ، وتولى البطل مسئولية صيانة مخرج الجسر من ناحية الشرق ، وكشف العدو هجومه المضاد على غرب وشرق الكوبرى ، ولم يلجـــأ «نبيه» ألى الملجأ القريب ، لم يختف لينجو بحياته ، بل فتح رشاشه ضد أفراد العدو دفاعا عن حماية الكوبرى ، وصعدت روحه الى الخالق وهو يواجه كتلا ضخمة من النيران تنهال فوقه وحوله ... كالامطار ..

واستشهد البطل فى مقدمة جنوده ، مع أول أضواء الفجر ، وكانت آخر كلماته لرفاق السلاح ، بعد أن علم باستشهاد زميله البطل هنداوى :

ــ « احموا الكبارى بأراحكم ياولاد ، الكوبرى ده هو مصر » .

انه الفداء بعينه ، ولا وصف آخر يمكن أن نجده لنطلقه على من يذهب سريعا بكل اللهفة الى الموت بقدميه طلبـــا

لنجاة الممرات والمطارات والطائرات ...

لقد ظل « البطل مرتضى » طوال ٦ أيام منذ أقلعت طائراتنا الى ضربة السيطرة الساعة ٢ ظهر ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، يقظا نشطا رافضا النوم غير ساعتين كل ٢٤ ساعة فقط مفجرا لقنابل العدو ويوم صعدت روحه الى رحاب الله يوم ١٢ أكتوبر كان قد أبطل لتوه ثلاث قنابل زمنية ، فجر الاولى بعيدا عن المطار ، كذلك فعل مع القنبلة الثانية ، لكن القنبلة الثالثة لم تمهله طويلا ، انفجرت وهو يحملها بين يديه ، وحوله اثنان من جنوده الابطال بهجت ومحمد ..

القاتل الخفرجى ابن المنصورة نفس الظروف ونفس القصة ونفس الأداء ، ولكنه جاد بحياته فى مطار آخر ..

لقد اشتهر « البطل الخفرجى » بالمعجزة ، أبطل فى يوم واحد عشرات من القنابل الزمنية التى القتها طائرات العدو فوق مطاراتنا وحول قواعد الصواريخ المضادة للطائرات ، ثم تكرر هذا العمل البطولى الفريد يوميا والله يحوطه بالرعاية فيفجرها بعيدا قبل أن تنفجر فى رجالنا ، وكان بعض رفاق السلاح يصفونه خلال حرب الاستنزاف واقامة قواعد الصواريخ وازالة مئات القنابل التى تلقى فوقها كل يوم وكل ليلة ، كانوا يصفونه بصاحب الذراع المحجب ، حتى استشهد وهو يؤدى واجبه البطولى خلال الاسبوع الثانى من المعركة .

ان أبطال وحدات ازالة القنابل من المهندسين قاموا بأعظم الاعمال الانتحارية خلال أكتوبر ــ نوفمبر ــ ١٩٧٣ ومن قبل عام ٦٩/٧٠ وكانت معطياتهم تتميز بالابتكار والسيطرة الفنية على الكترونات العدو ، وبعضهم تعامل مع قنابل لم يرها من قبل وتحولت فى دقائق الى لعبة من الحديد بين أصابعه ــ أمام قدراته العلمية وثروته من

المعارف العسكرية فى صنــع القنــابل الحديثة بمختلف أحجامها .

عمالقة الكبارى ..

وفى سلاح المهندسين بزغت كفاءات وعقليات هندسية راقية بين مقاتلى وحدات الكبارى طوال سنوات الصبر والصمت والاعداد للعبور العظيم .

استغل مهندسو قوات الكبارى كل قطعة خردة لديهم ولدى القطــاع العــام ، استغلوا البراطيم القديمة الى جانب الجديده ، صنعوا الاحزمة العائمة ، وأجهزة رباط أجزاء الكبارى وسطحها العلوى وقواعدها المائية ، صنعوها وطوروا فيها ، فى مصانعها الوطنية وبأيدى وتصميمات مصرية مائة فى المائة ، صنعوا المزلقانات الكبيرة عند نهاية وبداية الكبارى حتى تصبح عمليات الترسبة للكبارى عند الشاطئين الغربى والشرقى للقناة سهلة متيسرة تستغرق أقل الوقت ويتيسر مرور المعدات الثقيــلة كالدبابات وعربات الصواريخ المنقولة الى سيناء ..

وقام المهندسون بالتجـــــارب على المواقع لاكتشاف العقبات وتذليلها ، فوق كثير من فروع النيــل فى أنحاء الوطن ، أقاموا حصونا مطــابقة لحصون العدو ، خط بارليف ودشمه الهندسية الاشبه بالقـــلاع ، وشيدوا الكبارى فى توقيتات محددة ، الكبارى الثقيلة والكبارى الخفيفة ، وقامت وحدات أخرى بأعمال النسف والتلغيم ، بل وأعدوا الساتر الترابى الشرقى ليتدرب المهندسون على عمل الفتحات السريعة فيه ، حتى توصلوا الى نجاح هدم الساتر الترابى الذى أقامه العـــــدو بالموتورات التوربينية « موتورات الطائرات » وعملت وحدات هدم الساتر تحت قيادة وحدات الكبارى جنبا الى جنب ، فقد

كانت الخطة العامة للهجوم يوم ٦ أكتوبر الخالد تقضى بأن يؤدى رجال كل من الوحدتين وفى وقت واحد ، مهامها التاريخية خلال فترة زمنية محددة قابلة للاختصار ، ولكنها غير قابلة للزيادة .

وجاء اليوم الحق ، وتحول مهندسي الكبارى الى رجل واحد ، ذراع واحدة .

رص الالغام

بين مهام سلاح المهنـدسين ، تبرز واحدة من اعظم واخطر المهام : تلك هى تعزيز مواقع الهجوم برص حقول الغام ، وبعضها لابد من القيام به تحت طلقات المدفعية أو الدبابات من الجانبين،ولذلك تعتبر مثل هذه المهمة واحدة من العمليـات القتـالية الانتحارية ، يقوم بهـا عمـالقة وحدات الالغام من ضباط وجنود المهندسين ..

فى القطاع الاوسط ومعركة الدبابات الشـهيرة اكبر معارك العصر ، فى بداية أيامها التسعة ، كان هجوم مشاتنا ودباباتنا ضاريا كثيفا على لواءين مدرعين للعدو ، وقد اشترك الطيران المصرى فى القتال ثم جاءت الطـائرات الاسرائيلية وحاولت كسر هجوم قواتنا المشـاة والمدرعة والمشاة الميكانيكية : وهى تطور الهجوم وتتقدم الى عمق سيناء .. فى تلك الساعات الدقيقة تقدم عدد من أبطـال المهندسين وقاموا برص حقول ألغام أمام دبابات العدو لمنعها من التقدم مسافات جديدة ولفرض حصـار على حركتها ، يساعد مشاتنا على الالتفاف حولها وتطويقها .. وهى عملية لا يجرؤ مقاتلوا العدو على القيام بمثيلها لانها احدى واجبات الفداء والتضحية أغلى وأرقى التضحية..

ولقد قام بها متطوعان « البطل المقاتل مهندس التميمى، والبطل المقاتل المهندس البحيرى ، وظـلا مع جنودهما

يرصان الالغام أمام انتشار الدبابات الاسرائيلية والنيران تتساقط حولهما ، فى منطقة قتال لايزيد طولها على ٢ كيلو متر فقط ، وكان للعمل البطولى المجيد الذى قام به العملاق ، ودفعا حياتهما تمنا له ـ فضل حصار رجال المدفعية المضادة للدروع المصرية ونسف أفرادها الذين حاولوا الفرار ، فوقعوا فى « حقول الغام التميمى والبحيرى» ورفاق السلاح ، وظلت بقية الدبابات التى يتكون منها الاحتياطى التعبوى للعدو عاجزة عن نجدة الاحتياطى التكتيكى الذى انضم الى مقبرة الدبابات العدوة فى سيناء ..

سلام عليكم ايها المهندسون .. عقل ومستقبل مصر ..

سلام على شموخكم ، على بطولاتكم ، على أغلى تضحياتكم ، على ابتكاراتكم الهندسية التى أخذ عنها مهندسو أكبر جيوش العالم ..

سلام على المقاتلين المهندسين الذين لم ألتق بهم ، وكنت قد سعيت اليهم ..

سلام على من استمعت الى بطولاتهم صدفة وعبر جولتى مع السلاح البطل ...

سلام على المقاتلين المهندسين ، منتصر وعابدين وفتح الباب وحمودة وشطا وحربى وشفيق » .. وعشرات. غيرهم من رفاق المعركة الابطال أحياء وشهداء .

سلام عليكم يا جنود المهندسين العمالقة ...

سلام عليكم يا مهندسى النصر ، وقد رفعتم عاليا راية مصر ..

السويس وجيشها الثالث

أعطى مقاتلو الجيش الثالث ، قوات الفرقتين ١٩ و ٧ مشاة ووحدات الصاعقة ، وأسراب الطائرات الهليكوبتر، أرقى صفحات الشرف والاستبسال خلال مائة يوم من أبرز وأمجد أيام حرب أكتوبر الخالدة على مدى التاريخ ، وقد توجها القائد الاعلى للقوات المسلحة فى برقيته الشهيرة الى اللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث وهو يعيش ذروة قتاله المشروع :

« لتبق مقاومتكم وهجماتكم فى قمتها والله معكم ».

هذه بعض معارك الملحمة العسكرية التاريخية المصرية ملحمة الجيش الثالث البطل ..

أرهف العالم أذنيه وهو يستمع الى ملحمة الجيش الثالث البطل فى السويس وجنوب شرق سيناء ، وجبل المر ورأس مسلة وعيون موسى ، طوال مائة يوم محفورة فى تاريخ نضالنا المسلح ، تلك التى أطلق عليها العدو فترة الحصار ، ووصفها بعض المعلقين العسكريين العالميين بقطع الاتصال .. فعلى مدى التاريخ لم يحدث أن واجه جيش مقاتل تلك الصعوبات التى تجاوزها مقاتلونا دون أن يستسلم مقاتل واحد على الاطلاق ، بل قاتل أبطالنا خلال ماسموه بالحصار وحرروا مزيدا من الارض واستولوا على بعض الدبابات الاسرائيلية ، وقتلوا العديد من أفراد العدو

فى معارك كبريت المجيدة ، ورددت جماهيرنا اسم البطل الشهيد ابراهيم عبد التواب قائد كبريت وواحد من أبرز وأشجع أبنائنا .

ان ثمة بطولات رائعة قام بها عدد من الرجال الصناديد وقد تدربوا جيدا من قبل تدريبا رفيعا على هذه المهام : مهام نقل الامدادات الى قوات الجيش الثالث ، عبر طائرات الهليكوبتر فى طلعات انتحارية ناجحة ، وفى قوافل برية اخترقت الارض التى ادعى العدو سيطرته عليها ، وفى زوارق عديدة صنعت جسرا بحريا الى شرق سيناء حيث الجيش الثالث البطل .

كان أبرز أوضاع الموقف ان قوات الثغرة الاسرائيلية بقى مصيرها مرهونا بارادة مصر ، أو كما كتب صحفى انجليزى فى بداية عام ١٩٧٤ ، ان قوات اسرائيل فى منطقة الثغرة أشبه بوجودها فى فم تمساح كبير لم يطبق فكيه بعد » .

وصحفى فرنسى آخر قال عبارة أوقع « ان القوات الاسرائيلية فى منطقة الثغرة كما رأيتها هى المحاصرة بالقوات المصرية وليس العكس » .

السادات والسويس

لذلك كان « السادات » مشحونا بأنبل المشاعر ، وارقى ثبات الاعصاب ، وهو يشرف على خطة فتح نيران الجيش الثالث من الغرب والشرق فى وقت واحد على قوات العدو المدرعة التى قطعت الطريق عرضا بين البحيرات والادبية ، وتقدمت نحو مدخل المدينة ، وكان ذلك خلال اليوم الخالد يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٧٣ ، يوم الالتحام الشهير بين جماهير السويس ومقاتلى الجيش الثالث « من المشاة والمدفعية والصاعقة » داخل المدينة بينما طائراتنا تلقى بقنابلها فوق

قوات العدو عبر آلاف الطلعات تحت قيادة الفريق حسنى مبارك .

وكان يوما مشهودا بالبطولات الاقرب الى المعجزات...

لقد حمل جندى شرطة ضابط شرطة أصيب معه ، حمله الى سيارة الاسعاف والدماء تنزف من الجندى والضابط معا ، واستشهد الاثنان وذراع كل منهما تلتف حول خصر الآخر ، وفى اليد الاخرى بندقية آلية .

وفى السويس وقعت معركة شنودة وغريب ، شنودة جندى الصاعقة الجريح حاملا قائده أحمد غريب وقد أصيب هو الآخر ، وشنودة فاتحا رشاشه بيمناه على جنود العدو، حاملا قائده غريب بيسراه ، والدماء تنزف من سيقان شنودة العملاق ، واذا بجنود العدو يفتحون رشاشاتهم على السيقان الجريحة والضابط الجريح فوق كتف البطل ، ويستشهد البطلان بعد أن دمرا أربع دبابات اسرائيلية وحصدا عشرات من جنودها ..

وانتهى اليوم بانتصار الشعب والجيش ، وامام كل شارع ، وأمام بعض البيوت بقيت الادلة الدامغة ، دبابات وعربات مدرعة اسرائيلية محترقة ومدمرة ، وقد وجدوا « ٣٤ » دبابة لم يسحبها العدو ثم اكتشفوا وجود دبابات اخرى حاولت الدخول الى أزقة حى الاربعين طلبا للنجاة .

وقال السادات بعد ذلك كلمته الشهيرة :

ــ « ربما كنت مدفونا الآن بمنطقة القناة » .

اربعة من العسكريين

بين العسكريين أبناء الجيش الثالث ، تقدمت أسماء اربعة رجال ، سلسلة الابطال الذين قادوا حرب السويس من الضباط وأبناء المدينة ، ذلك كان دورهم وقدرهم وقد

حققوا انجازات رائعة على مستوى العبور والهجوم فى سيناء ، وتجاوزوا العقبات الفنية التي واجهت الجيش الثالث منذ ساعة الصفر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، واستطاع الرجال التغلب عليها ، وعلى مستوى العمل العسكرى الذى توج العسكرية المصرية بتاج الفخار والشرف حين صمدوا وقاتلوا وحرروا مزيداً من الارض خلال ما اسماه العدو بالحصار ، وأسماء بعض الملقين العالميين بقطع الاتصال ، وقد تجاوز الاربعة هذه المسميات كلها بواقعها الهزيل ، ابتداء من ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، حتى انسحب العدو الى خلف المضايق .. انهم :

لواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث وكان قائداً للفرقة السابعة مشاة برتبة عميد .

لواء يوسف عفيفى وكان قائداً للفرقة ١٩ مشاة برتبة عميد أيضا ، والفرقتان من فرق الجيش الثالث .

العميد فتحى عباس أحد قادة المدينة .

المقاتل بسيونى من قادة الصاعقة المحليين وقد قاد معارك وحداته تحت اشراف العميد نبيل شكرى قائد قوات الصاعقة .

لقد أستعد جنودنا باحتلال الساتر الترابى على ضفتى القناة ونيرانهم موجهة نحو العدو اذا أقترب من السويس ، وتقدمت مجموعات الأستطلاع ليلة ٢٢ أكتوبر الى الضفة الغربية لرصد نشاط العدو المدرع .

بعد ذلك قام القادة بتوجيه بعض مدفعيات الفرقة ١٩ مشاة لتغطية قطاعات معينة غرب القناة ودفعت مركز ملاحظة الى هناك لأدارة نيران مدافعنا المصوبة نحو القوات الاسرائيلية .

وقد فتحت المدفعية المصرية نيرانها خمس مرات يوم ٢٢ أكتوبر على مدرعات العدو التى حاولت احتلال مركز

قيادة الجيش الثالث المتقدم غرب القناة وحطمت هـذه المحاولة تماما .

بعدها مباشرة تحركت مجموعة صواريخ مضادة للدبابات قادها البطل حسام الى أرض الغرب ، وقد عبرت القناة فوق ناقلات برمائية ، وحاول العدو قصفها بالطـائرات ولم ينجح اذ تصدت لها مدافعنا المضادة لها ، واحتلت المجموعة مواقعها على بعد ٨ كيلو مترات شمال المدينة لمواجهة الدبابات الاسرائيلية اذا توجهت الى مدخل المدينة على طريق المعاهدة شرق مطار الشلوفة .

السويس .. لا

وجاء العدو أمام منطقة المثلث ، لواء اسرائيلى مدرع يضم ١١٠ دبابة و ٩ عربات جنزير كامل ، ودفع كمفرزة أمامية ٥٠ دبابة أو أقل قليلا ، وتعامل معها رجال مدفعيتنا الصاروخية والميدانية ، وكانت معركة من معـارك ثبات الارادة المصرية والتدريب الجيد ، كما أخذ المقـاتلون المصريون يقتربون من الدبابات وهى فاتحة لنيرانها حتى ٢٠ مترا ، ويطلقون صواريخهم ، فدمروا ٩ دبابات على المواجهة ، و ٤ دبابات فى الجانب الايمن للواء الاسرائيلى المدرع خلال الاشتباك الاول ، وارتد العدو مذعورا ، وقال أحد ضباطه فى اللاسلكى مخاطبا قائده وهو يلهث :

ـ السويس .. لا .. السويس .. لا ..

من السويس للبحيرات

وفى يوم ٢٤ أكتوبر قاد العميد أحمد بدوى اللواء بعد ذلك ، كتيبة مشاة من الفرقة السابعة عبر القناة الى الغرب وهذه الكتيبة تضم بين رجالها ضباطا من صغار الرتب

حملوا نجمة سيناء وهم أحياء تقديرا لبطولاتهم في معارك الثغرة .

قال لى المقاتلان « برعى وعلوان » من ضباط هـذه الكتيبة :

ـ لقد ذهبنا الى منطقة البحيرات وأخذنا نعمل في تدمير مدرعات العد وعربات صواريخه ، وقد فوجيء بنا تماما ، وكانت المفاجأة كما هى العادة مناخا رائعا لفتح نيراننا ، ثم عدنا الى الشرق فى سيناء .. بعد ذلك تكرر عبورنا والتحامنا بالعدو فى غرب القناة .

وفى يوم ٢٤ أكتوبر أيضا دمر رجال الفرقة ١٩ على طريق المعاهدة ١١ دبابة وعربة مدرعة .. ثم عاد رجالنا الى السويس حين فرغت ذخيرتهم وتفرقوا الىمجموعات اقتناص والتحموا برجال المقاومة الشعبية ، ورجال منظمة سيناء ، ورجال الشرطة ، وعناصر تمثل بعض أسـلحة قواتنا المسلحة التى وصلت قادمة من الشرق .. وحمل الجميع مدافع آر ـ بى ـ جى وقاموا بمعركة شعبية مسلحة وأحرقوا العدو الذى استطاع التسلل من المثلث والاربعين عن آخـــره . وارتفعت ألســـنة اللهب الى السماء ..

كانت معركة من أروع وأخلد معارك جماهير الشعب الملتحمة بوحدات الجيش ، وفى الوقت نفسه تعاودالوحدات العسكرية المضادة للدبابات الحصول على ذخيرتها المحمولة من عمق الجيش الثالث بسيناء ، استعدادا لمعركة أكبر ، فالعدو استمات فى دخول السويس وقد تخيل أن المقاومة ستضعف ساعة بعـد أخرى ، ولم يدر بحساباته العكس تماما وهو ما حدث .

حاول العدو غزو المدينة بعد ذلك من ثلاثة اتجاهات :

الجناين فى خط السويس ..

طريق مصر ــ السويس ، نحو حى الاربعين .

طريق الزيتيات فى اتجاه بور توفيق .

وبدأنا القتال رغم كثافة دبابات العدو وعرباته المجنزرة وغارات طائراته التى دمرت بعض كبارى قواتنا فاستعاض رجالنا بالمعديات والناقلات البرمائية ، وظل القتال ضاريا لا هوادة فيه من الساعة الحادية عشرة ظهرا حتى الخامسة والربع مساء ، دمرنا خلالها ١٩ دبابة و ٩ عربات مجنزرة و ٣ حاملات جنود وأربعة لوارى ، ووجدنا بعد ذلك ٤١ جثة محترقة تماما لجنود العدو ، عجز عن حملها حين فر عائدا الى الغرب ..

وفى يوم ٢٥ اكتوبر ورجالنا انتهوا تماما من اعادة توزيع مواقعهم المختارة عسكريا ، وقد تمركزت فيها عناصر شعبية وأفراد من القوات المسلحة استطاعوا تدمير دبابات العدو على طريق الزيتيات ، بقيادة المقاتل عبد الرحيم ، والمقاتل عزت ، وانضمت بعد ذلك عناصر الصواريخ المضادة للدبابات الى عناصر الآر ـ بى جى لتحمى مداخل المدينة ، وقد اشتركت فى قتال الدبابات الاسرائيلية التى حاولت التقدم يومى ٢٦ و ٢٧ أكتوبر ، أول وثانى أيام عيد الفطر الماضى على طريق المثلث وعلى طريق حوش الدرس تحت مظلة جوية من الفانتوم وسكاى هوك تحاول قصف قواتنا فى الغرب وفى شرق سيناء ، وقد أسقط رجالنا من مقاتلى الدفاع الجوى عديدا من طائراته فوق المسرحين ، طوال يوم ٢٦ أكتوبر ، وتدمر له ٧ دبابات جديدة و ٣ عربات جنزير ، وكانت السويس ملفوفة بأكملها فى غطاء ضخم من النيران والدخان الاسود والشظايا المتناثرة ، والطلقات الطائشة ودماء الشهداء ، غير أن مستوى الضبط والربط بين المدنيين ظل عاليا تحت قيادة المقاتل عميد فتحى عباس ومعاونيه ..

محمد الصغير

وبقيت السويس شامخة ، صـــامدة بفضل الذراع الواحدة القوية ، ذراع الجيش الثالث وجماهير المدينة ، شرطة ، ومقاومة شعبية ، وأعضاء منظمة سيناء ، بل واطفال السويس الذين عملوا فى نقل الذخيرة الى المقاتلين ، ومن بينهم الصبى محمد ، الذى اهتم الرئيس السادات بالسؤال عنه والالتقاء به .. ذلك ان محمد ابن الاربعة عشرة عاما دمر وحده دبابة سنترين بقاذف آر ـ بى جى ، كان قد سقط من ذراع شهيد بطل بجـــانبه ، ولم يهتز الصبى العملاق ، أمسك بالسلاح الصغير ، وبدون تدريب أطلق الطلقة الاولى وكانت فى قلب الدبابة العدوة .

قال محمد الصغيرة للرئيس السادات وهو يصف تلك اللحظات وقد ارتدى ملابس الميدان :

ـ « كنت قاتل يا مقتول » .

انها الحرب ، الحرب تعلم الحرب ، كلمات قليلة قالها « السادات » وهو يصافح البطل محمد ابن السويس ، مودعا .

وحين جاء حاخامات العدو الى سيناء يطلبون جثث قتلاهم فى معارك السويس كانوا يطلبون كشفا سجلوا به الآتى :

أسماء ٣٧٣ جندبا اسرائيليا قتيلا .

٦٨ ضابطا اسرائيليا قتيلا .

٢٣ طيارا اسرائيليا قتيلا .

وضحك ضابط الاتصال المقاتل فؤاد سلطان ، وقال للحاخامات بالانجليزية :

ـ ربما كانوا أكثر من هذا العدد .. ألا تظنون ذلك ؟!

ونظر الحاخامات فى دهشة بعضهم الى بعض ... ثم أعادوا قراءة سجلاتهم مرة أخرى .

صراع الإعاقة والسيطرة

فى لقـاء القـائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السـادات مع قادة حرب أكتوبر مساء الثانى من أكتـوبر ١٩٧٤ ، قدم للجماهير العربية بعض القـادة الذين ظلت أسماؤهم بعيدة عن العلنية فترة طويلة قبل وبعد الحرب .

ومن بين هؤلاء القادة اللواء محمد رفعت وهبة قائد سلاح الاشارة ـ السلاح العمـلاق الذى ينتسب اليه الرئيس السادات ضابطا بالقوات المسلحة .

وفى هذه الصفحات نعرض بقدر من التفصيل قصة هذا السلاح الذى تفوق دائما برجاله .. وامكانياته العلمية المتطورة .

لقاء وحوار فى نوفمبر ١٩٧٤

انه كالشريان التاجى أو الاورطى بالنسبة لجسم الانسان ... هو سلاح الاشارة بين أسلحة الجيوش ، وكما وصفه بعض اساتذة العسكرية فى العالم « لسان القادة وآذانهم بل وعيونهم يرون بها أعمق ما حولهم » .

ـ « ان الاشارة هى حواس القائد » .

سمعت فى لقاء مع أحد مقاتلى « الاشارة » بقواتنا المسلحة ، ممن حققوا أقصى الخبرات واعطوا السلاح أحلى سنى العمر قصة طريفة قبل أن يمضى بنا الحديث الى دور « الاشارة » فى معركة تحرير سيناء .

ـ هل تعلم لماذا أطلقت جماهير شعبنا منذ البداية ، على ادارة التجنيد ، اسم « النضارة » ؟

أيام محمد على ، كان على طريق مصر ـ السويس عشرة أبراج مراقبة لارسال البرقيات « بالمرايات » وفوق كل برج وضعوا « الهليوجراف » أو التلسكوب أمام المرايا حتى يرى العامل فوق البرج عشرة كيلو مترات أمامه بوضوح أثناء استقبال البرقيات أو ارسالها، وكانت الابراج نواة سلاح الاشارة فى مصر ، ثم أنشأوا « ادارة التجنيد » بجانب أول برج طريق مصر ـ السويس ، فأطلق الشعب اسم « النضارة » على ادارة التجنيد ، وما زالت فئات عديدة من الجماهير تتداول الاسم القديم حتى اليوم .

ولقد قيل ان مهندسى سلاح الاشارة ، قد طوروا وابتكروا فى المعدات الحديثة ، وان بعض الدول الكبرى أشادت بهذه الاضافات التى قامت على دعامتين قويتين.

الاولى وهى الاقتدار العقلى لمهندسي الاشارة وكفاءتهم الهندسية ـ النامية باستمرار ، والثانية ما فرضه الموقف علينا ، فقد بذلوا نشاطا ضخما متواصلا للحصول على معدات اشارة من الشرق والغرب . وكان لابد لمهندسينا من الربط بين هذه الاجهزة وتشغيلها معا بأقصى كفاءة استخدام . ومن هنا استطاع البعض أن يطور ويضيف الى المعدات الشرقية والغربية ، وكان الاختبار الاول خلال عمليات الاستنزاف ، حتى جاء الاختبار الكبير فى حرب ١٩٧٣ ، وبرز دور سلاح الاشارة :

ـ كان بين المشاكل الرئيسية الاولى التى يجب أن تتجاوزها قواتنا لنبدأ عبور القناة ، مشكلة الاشارة ، وضرورة توفيرها بكثافة عالية الكفاءة حتى يتم توصيل جميع قيادات وعناصر القوات بعضها ببعض خلال الدقائق الاولى للتحرك ، بل قبل الدقائق الاولى بوقت كبير ، ولم

يعد هذا سرا الان ، كي تتم السيطرة القيادية على الموجات الكثيفة من أبنائنا المقاتلين ، وكان على الاشارة نقل معدات كبيرة الحجم ودقيقة الحجم الى الضفة الشرقية ، وقد عبروا بنجاح رائع بفضل التدريب الذى استمر واقعيا خلال سنوات الصبر والصمت .

لم يكن التدريب فى نطاق تمثيلنا للقناة بعيدا عن منطقة القناة فحسب ، بل كان التدريب فى القناة نفسها ، عبر جزيرة البلاح ، وخلال « العمليات » لم يشعر أحد فى سيناء أو الغرب ، حتى أثناء ما أطلقوا عليه قطع الاتصال بالنسبة للجيش الثالث البطل ، انه منقطع عن بقية القوات اشاريا ، وجاء الفريق أول الجمسي رئيس الاركان وقتها ، ووزير الحربية ، وقال تحيته للاشـــــارة ، وتضمنت كلماته :

ـ « ان سلاح الاشارة على مستوى القيادة العـــــامة والجيوش والمناطق العسكرية ، جعلنـــــا لا نفقد الاتصال اطلاقا فى أى مرحلة من مراحل القتال » ..

لقد كان فى اعتبارها قبل الحرب أن العدو الاسرائيلى سيقابلنا بموجة كثيفة من الاعاقة اللاسلكية على مواصلاتنا وكان درسا من ٦٧ ، وقد قام العدو فعلا باستغلال كل امكانياته العلمية فى توجيه الاعاقة وكانت وســـــائلنا مضادة ١٠٠ ٪ ، وبعد فترة من الوقت أقلع العدو عن محاولاته تماما ، وقد تأكد له فشلها .

ان سلاح الاشارة أصبح يضم الان جميع المعـــــدات الالكترونية ، وعلى مستوى الدول الكبرى لا يطلق عليه سلاح الاشارة بل يسموه سلاح المعدات الالكترونية ، لانه يشمل المواصلات الاشارية ومعدات الحرب الالكترونية ، ووسائل الادارة الآلية الالكترونية للصواريخ عابرة القارات، والصواريخ المضادة للصواريخ ، ومن هنا استطاع سلاح

الاشارة المصرى التفوق على العدو بنوعية المقاتل المصرى نسيجا وتدريبا وعلما ، وامكانياته الالكترونية التى سادها بخصائصه مجتمعه .

لذلك قال بعض الصحفيين الاجانب ان سلاح الاشارة المصرى تفوق على اسرائيل بعشرات السنين .

واذا كان التاريخ يسجل أن مصير عمليات العاشر من رمضان قد تحدد فى الساعات الاولى للعمليات بنجاح العبور ، واقتحام دفاعات العدو فالاثر الكبير فى استمرار احراز المبادأة يعود الى وسائل الاتصال الاشارية الرئيسية فى هذه المرحلة ومن بينها المواصلات اللاسلكية وفى بعض العمليات الخاصة كانت هى الوسيلة الوحيدة وقد أمكننا أن نحدد تماما الدور الذى لعبته المواصلات اللاسلكية وخاصة فى المستويات التكتيكية الصغرى ، والوحدات المقاتلة حتى مستوى قوة لواء وفرقة ، عندما كان أجزاء منها شرق القناة والجزء الآخر ما زال فى الغرب .

وكان لاستخدام أجهزة لاسلكية متطورة مع بعض القوات التى قامت بعمليات ذات طابع خاص مثل قوات فتح الثغرات فى الستائر الترابى وقوات الصاعقة خلف خطوط العدو ، أثر كبير فى استمرار احراز المبادأة والسيطرة على عناصر هذه القوات طوال العمليات — الى جانب عمليات القوات الجوية والبحرية والاتصال اللاسلكى ظل مستمرا بين وحداتها بأساليب اتصال مختلفة وليس أسلوبا واحدا دون تخلخل على الاطلاق عبر حلقات السيطرة على التشكيلات .

ثمة مناخ له دلالات هامة حين بقى المقاتلون من أفراد المحطات اللاسلكية قبل الحرب وخلالها وبعدها يعملون جميعا كفريق واحد بمعنى أن كل واحد يعرف الآخر تماما بكل ما يحتمله هذا المعنى من أبعاد ، كل فريق يعرف

الافراد الاخرين فى المحطات المقابلة ليس فقط على المستوى الشخصي بل يعرف ويلم بأسلوب وخصائص عمله بحيث أصبح الفرد يعلم على الفور أن زميله المقابل له قد تغيب عن محطته بمجرد كشفه ان خصائص عمل المحطــة قد اختلف عما أعتاده ، ولا شك ان هذا المستوى من التدريب سهل استمرار الاتصال اللاسلكى بل وحمى مواصلاتنا من تدخل عناصر الاعاقة والخداع الذى لجأ اليه العدو من قبل وعجز بعد ذلك فى حرب عام ١٩٧٣ عن ممارسته ضدنا ..

لقد ظل سلاح الاشارة يواصل التدريب الراقى حتى ٦ اكتوبر المجيد يواصلون التدريب التخصصى والتنسيق الدقيق مع التسلسل الزمنى بما يتناسب والاشكال المختلفة لدفاعات العدو ، ويتفق فى الدرجة الاولى مع العمليــات الهجومية غير التقليدية التى ستقوم بها قواتنا المسلحة والتى تتطلب من « الاشارة » ترتيبات خاصة .

مثلا كوابل المواصلات الاشارية أنشئت عبر القناة خلال الدقائق وليس الساعات الاولى لعبور قواتنا قناة السويس، وبقيت الوحدات الفرعية الصغرى على أتصال متكامل خلال تنفيذ المهام ، وحققنــا أعلى السرعات فى أتصــال مراكز القيادة وبالتالى مراكز الاشارة فى مستويات القتال التكتيكى والتعبوى ، كما استخدمنا معدات الاتصـــال اللاسلكى تكتيكا وتعبويا واستراتيجيا أيضا مما زاد ودعم ثبات نظام المواصلات الاشارية لقواتنا .

ان الاتصال اللاسلكى متعدد القنوات يجمع بين خصائص الاتصال الواحد عبر المواقع الثابتة وبين أسلحة مختلفة مما ساعد على سهولة توصيل الاوامر القيادية الى المقاتلين وتلقى البلاغات والمعلومات بنفس السرعة والسهولة .

ان وحدات الاشارة التى تعمل فى الانشاءات الخطيــة

الميدانية استطاعت خلال أعوام قليلة سابقة للعمليات انشاء عدة آلاف كيلو مترات من الكوابل الخطية الثقيلة ـ وهذه المواصلات هي اكثر الوسائل الاشارية تعرضا للقطع والتدمير من قصف المدفعية أو الطيران ونتيجة تحرك قواتنا المدرعة والمجنزرة ، وقد بقيت هذه الخطوط بفضل يقظة الرجال ونشاطهم وجرأتهم وتدريبهم بقيت متوفرة سليمة لكافة عناصر قواتنا طوال العمليات ، وجاد رجال الاشارة بأرواحهم لكي يبقى الاتصال مستمرا وسليما ومفتوحا بين القائد والمقاتلين عبر جميع مستويات القتال .

انني أذكر بالاكبار والخشوع لذكرى الرجال المعطرة .. البطل المقاتل شلبي ،البطل المقاتل نور ، البطل المقاتل جرجس ، البطل المقاتل على ، البطل المقاتل نعمان .. وغيرهم كثيرون كان تقدمهم الى الخطوط الامامية ، واستشهادهم دفاعا عن استمرار الاتصال أوسمة ترصع سلاح الاشارة وتاريخها النضالى الطويل ، وصراعها المستمر منذ العشرينات لكى يبقى لها التفوق دائما تصنعه عقول مصرية شابة قادرة على الابتكار والاضافة العملية ، وكان الرئيس السادات أحد هؤلاء الشباب حين عدل وطور وابتكر فى معدات الاشارة ، وتحدى المستعمرين الانجليز وظل يكافح دفاعا عن تمصير السلاح حتى جاء فى نهاية عام ١٩٧٣ ، ليقول لسلاحه الذى عاش به أحلى سنى العمر :

ـ « أريد الاشارة فى الطليعة حين نحارب معركتنا ، مستطيعة دائما بعقول وايمان رجالها قبل معداتها » .

« ان معدات الاشارة فى امكانى توفيرها لكم ، ويبقى فى الاهم الرجل الذى يجيد استخدامها ، ان مقاتل الاشارة لابد أن يكون فى الدرجة الاولى من المغرمين بهذا السلاح ..

وقامت المعركة وتصاعد ايقاع الرجال ...

معارك المظلات

حين قدم القائد الاعلى للقــوات المسلحة قادة حرب أكتوبر الماجدة ، وهو يتوسط غرفة العمليات ، مساء الثاني من أكتوبر ١٩٧٤ ــ قال مشيرا ، الى قائد وحدات المظلات :

ــ « العميد محمود حسن عبد الله قائد وحدات الابرار الجوى التى قامت بمهام قتالية من أمجد واروع معارك الحرب . . كل معركة من معاركهم تحتاج الى مجلدات » .

هذه صورة من قريب لقوات المظــلات المصرية وقـد حصلت على وسام الجمهورية العسكرى يزين علمها ، كما حصل قائدها البطل على وســـام نجمة الشرف فى فبراير ١٩٧٤ بجلسة التكريم التاريخية التى أقامها الرئيس السادات وأعضاء مجلس الشعب تمجيدا لاغلى التضحية والفداء ، فى ميدان القتال وتحرير سيناء الأسيرة .

صرخ الجنرال الاسرائيلى ايريل شارون فى اللاسلكى يستنجد بقيادته :

ــ « أمامى قوات مصرية تقاتل بضراوة ، خسائرى كبيرة ابعثوا لى بنجدة مدرعة » .

والتقطت أجهزة التصنت الالكترونية المصرية استغاثة شارون ، ولم تكن هذه القوات المصرية التى تحدث عنهـا الجنرال الاسرائيلى غير وحدات مظليين بقيادة المقــاتل « عزمى » قاتلت واستبسلت ضد قوات اسرائيل المدرعة

والميكانيكية ، وكبدتها خسائر ضخمة فى عمق سيناء ، والضفة الغربية .

لقد أضافت المعركة الحديثة بأسلحتها الالكترونية تحولا بارز فى نتائج القتال ، غير ان مصدر هذه النتائج كما اثبتت حرب اكتوبر سوف يظل دائما نابعا من قدرات الرجال الذين يستخدمون هذه الاسلحة ، والروح النضالية التى تعكسها نوعيتهم القتـــالية وايمانهم وتضحياتهم الخالدة .

وكما يقول الفريق أول محمد الجمسي وزير الحربية :

ـ « لم تكن انتصارات قواتنا المسلحة فىحرب اكتوبر تتم على هذه الصورة المشرفة بدون المقاتل المصرى ، فهو المفاجأة ، وهو القيمة الحقيقية لهذه الانتصارات » .

وفى هذه الحرب الماجدة قامت قوات المظـلات المصرية بأعمال بطولية رائعة بين قوات الجيشين الثانى والثالث عبر جميع مراحل الحرب .

لقد اشتركت المظلات فى اقامة السد البشرى الذى واجه الدبابات الاسرائيلية .

وكان قرارا تاريخيا باستخدام رجال المظلات ليقتحموا مع الموجات الاولى قناة السويس حاملين أسلحتهم الخفيفة والصواريخ المضادة للدباباتعلىطولالمواجهة منالسويس جنوبا حتى بور سعيد شمالا ، وأسهموا بالروح فى مهـــام بناء رءوس الكبارى وتأمينها ثم الاشتراك فى صد الهجمات الاسرائيلية المدرعة المضادة ، الى أن اندفعوا فى عمق العدو وقاتلوا فى كمائن ناجحة واقتنصوا خلالها دباباته ومشاته الميكانيكية المدرعة .

فقد تمكن رجال المظلات خلال هذه المرحلة الاولى من تدمير ١٥٥ دبابة اسرائيلية بخلاف العربات المدرعة وذلك فى مواجهة الجيشين الثانى والثالث .

وحارب المظليون المصريون فى معارك جبل المر بقطاع الجيش الثالث معارك مشرفة شرسة وفى منطقة الفردان شرق ، وشرق بور فؤاد مع قطاع الجيش الثانى معارك أخرى لا تقل ضراوة ، وصعدت الى رحاب الله أرواح أبطاله عمالقة من المظليين أصحاب الرصيد الكبير فى الاقتدار والشجاعة والاقتحام والقتال المتلاحم بالسلاح الابيض .

بعدذلك أسقط رجال المظلات حاملو الصواريخ المضادة للطائرات تسع طائرات للعدو بينها ثلاث طائرات فانتوم .

وفى معركة أخرى قاتل ٦ من رجال المظلات وحدة ميكانيكية للعدو ، وأحصوا جثث القتلى الاسرائيليين بعد المعركة فكانت ١٥ فردا .

ان حرب أكتوبر قدمت الدليل العملى على أن خفة الحركة هى احدى وسائل النصر بالقدرة على الالتفاف والتطويق فى المعركة الحديثة ، واستطاع المظليون المصريون فى معاركهم المميزة بخفة الحركة المشفوعة بالقدرة على المناورة ، امتلاك وسائل فعالة نابعة من كفاءة انتاجهم للنيران ، تدمير طلائع الدبابات الاسرائيلية ، وكانت كل هجماتهم وكمائنهم على طول المواجهة ...

ان المظلات أو القوات الخاصة أصبحت اليوم عنصرا رئيسيا متقدما فى مهام القتال المتنوعة ، لما تنفرد به من خصائص وصفات ذات تأثير حيوى فى نتائج المعركة ، قبل أن تنطلق أول طلقة فى هذه المعركة أو تلك .. ولذلك يتم تدريبهم بأقسي وأشق وأطول برامج التدريب الواقعية بالذخيرة الحية وهى ما قامت وأدت وخططت وارتبطت به وحداتنا المقاتلة قبل حرب أكتوبر وبعدها .. عبر مهام ذات توقيت زمنى محدد ، يقبلون عليها برغبة ملؤها الايمان والامل فى تحرير بقية الارض الاسيرة بسيناء .

ان التـــدريبات تتم الان وسط مناخ ينم عن مجتمع عسكري يتنفس أعطر الذكريات .. ذكريات معارك أكتوبر المضيئة على مر الايام ومعارك الشهداء العمالقة من رفاق السلاح ، وفى شمول تام وروح جماعية هائلة وفكر متقارب وثقافة عسكرية نامية ، وخط معلومات متكامل يخدم هذا كله ، يتلقون مهامهم يؤدونها بالتمام باذلين أقصى الطاقة البشرية فى معسكرات مترامية انعدمت فوقها مظـاهر الفوارق الاجتماعية بين الضباط والجنود ، وتوجدت في اطار ضخم من الضبط والربط وربطت بين مقاتليها وحدة الدم واخوة السلاح وشرعية الهدف .

ثمة مهام موكولة لوحدات المظلات أبرزها مساعدة القوات الرئيسية بسرعة القضاء على العـدو فى العمق ... أو حتى تنسحب قواته ..

الاستيلاء على الخطوط الهامة والممرات الجبلية لمنـع احتياطيات العدو من التقـدم عبر العمق أو انتشـار قواته .

تدمير الاهداف الحيوية للعدو مثل أســـلحة التدمير الشامل ومراكز قياداته والمطارات الحربية .

العمل فى ارباك سيطرة العدو على قواته وارباك نشاط عناصره الادارية ووحداته الضاربة .

تأمين عمليات الابرار البحرى بالاستيلاء على قطاعات ساحلية .

احتلال المطارات والتمسك بهـــا ، وأراضى النزول والقواعد البحرية .

تدمير مخازن ذخيرة العدو .

القيام باغارات مفاجئة على مؤخرة العدو .

هذه بعض المهام ، وكان للمظليين المصريين شرف القيام باكثرها ، حتى ان أحد الاسرى من ضباط اسرائيل قال

لضباطنا « ان وحدات مظلاتكم قاتلت أمامنا كصخرة كبيرة من الصعب زحزحتها » .

ان خبرات رجال المظلات بالملاحة وقدرتهم على تمييز معالم الارض التى قد يسقطون فوقها أو يصلون اليهـــا برا الى جانب امكانياتهم العلمية فى قراءة الخرائط والصور الجـوية بسهولة تجعلهم قادرين على التعرف بالهدف فى وضوح رؤيا ثم اســتطاعتهم على التجمـــع السريع عقب الاسقاط والتقاط عبوات السلاح والذخيرة الملقاة خلفهم، أو أمامهم واعدادها لفتح النيران والاشتباك الفورى مع العدو فى أقل وقت ممكن .. هى خصائص ومميزات قتال رجال المظلات ، ولقد اثبتت حرب أكتوبر ان معرفة المقاتل بالارض التى سيقاتل فوقها واستيعابه لما تحمله من أسلحة معادية وموانع تقضى على الرهبة التى يمكن ان تصيب المقاتلين اذا قاتلوا فوق أرض يخطون نحوها لاول مرة ، ولذلك كانت هناك برامج مستمرة فى الانتقال الى مسرح سيناء قبل ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، للاستطلاع أو للقيام بغارات مفاجئة ، وعمليات الالتفاف والتطويق، تطعم بها كل مقاتل من أبناء قواتنا المسلحة ، وفق خطة زمنية معينة ، وكان لها أعظم الاثر فى نتـــائج اقتحام مواقع تمركز قوات اسرائيل التكتيكية والتعبوية والاستراتيجية المنتشرة بين صحراء سيناء عمقا... قبل عبور قواتنا الضاربة الرئيسية مياه قناة السويس ظهر السادس من أكتوبر ، وفى العمق قاتلوا معاركهم، وهى معارك انتحارية مائة فى المائة، فقد قاتل العمالقة وظهرهم للحائط ، وظلوا لاسابيع متصلة يفتحون نيرانهم بالرى الصلابة وأغلى التضحية ، ولم تكن انتصاراتهم الخالدة على مدى الايام غير محصلة طبيعية لتدريبهم المتكامل الذى استمر بلا توقف وبلا هوادة قبل اكتوبر المجيد وبعده ...

ابراهيم الرفاعي
البطل الملحمي

هل يموت الجبل ؟ ..
هل يموت النهر ؟ ..

ان الشهداء فى ساحة القتال هم طليعة النصر وألويته الخفاقة ..

وفى قتالنا مع العدو الاسرائيلى تألق كثير من أبطالنا ، وأضافوا الجديد الى سجل معارك قواتنا ، ومنحوا الوطن أغلى ما فى الحياة ، لكى تبقى لنا الحياة ، منحوه أرواحهم فدية وجزية للنصر والكرامة .

ولذلك سيأتى يوم ما يظهر فيه بين قرى ريفنا الرائد العظيم ، عازف ناى وأرغول ، ومؤلف مجهول يغنى الملحمة والاساطير ، ولكنه سيروى هذه المرة أسطورة حقيقية . سيغنى للاجيال .. قصة البطل الملحمى الغائب ، أمثال نجم ومدنى والاتربى وطلال ، ومن قبلهم وبعدهم كثيرون ، تسابقوا فى البذل وحققوا بدمائهم أشرف وأغلى النصر ..

وجاء «الرفاعى» وظل مثلا يحتذونه ، وعلما يتبعونه ، وبطلا ومعلما ومقاتلا وشهيدا ، فى المقدمة دائما .

هذه صفحات من طفولة الرفاعى ، من صباه ، من ألبوم شبابه وعسكريته ، قبل أن يجود بحياته ، لتظل مصر رافعة لرايات النصر .

لم يصدق أحد من رفاق السلاح ، أو ممن عرفوه مقاتلا واقتربوا من أعماله القتالية الانتحارية البارزة ، أن الموت قد غلب المقاتل ابراهيم الرفاعى !

ولقد أستشهد البطل العميد أركان حرب ابراهيم السيد الرفاعى فى مقدمة رجاله يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ وهو يقاتل العدوالاسرائيلى بعد أنقام بعشرات الغارات الانتحارية على مواقع القوات العدوة بالضفة الشرقية للقناة وفى عمق سيناء ، منذ نهاية الاسبوع الثانى من يونيو ١٩٦٧ ، وكانت جسارته دائما تتجاوز الموت ، بل ان أحد جنوده قال عنه :

ـ « ان الموت يخاف الاقتراب من القائد الرفاعى » .

قاتل « الرفاعى » قائدا لوحدات العمليات الخاصة بين قوات الصاعقة فترة طويلة ، وكانت المهام الانتحارية التى يقوم بها معجنوده وضباطه تمثل اقتحاما للموتوانتصارا أقرب الى المعجـــزات منه الى النصر فى اغارة أو هجوم الانقضاض المفاجىء على القوات الاسرائيلية .. ومن هنا كانت أسطورته !

وكللت مهامه دائما بالنجاح ، وبأقل خسائر فى أرواح رجاله ، وبمكاسب ونتائج بارزة لها أقصى الاهميـــــة فى حسابات قيادتنا العسكرية ، وعلى حد تعبير ضابط صغير من قواته « كانت جرأته المذهلة فى الهجوم تصيب العـدو بالشلل فنمتلك السيطرة الكاملة على منطقة القتل » ..

بقدر شراسته وقدراته المتفجرة أثناء القتال ، وضراوة هجومه على قوات العدو ، كان بعيدا عن مسرح المعركة فى سيناء ، هادئا مبتسما رقيقا كالنسمة عطوفا محبا لجنوده وضباطه ، فنانا يرعى هـواية الفن فى رجاله قارئا للسير والآداب والتاريخ ، متدينا قارئا دائما للقرآن الكريم ، أبا وزوجا ، وابنا بارا قبل كل شىء بوالديه وأفراد أسرته فى قرية « الخلالة » مركز بلقاس دقهلية .. القرية الصغيرة

النائمة فى أحضان الدلتا وقد أنجبت البطل ، مدعومة بالاصالة المصرية فى تاريخ نضالنا الوطنى .

ان تقييم البطولة الفذة التى يمثلها المقاتل العميد ابراهيم الرفاعى قائد كوماندوز قوات الصاعقة ، تتطلب بالدرجة الاولى العودة الى طفولته وصباه ، فالبطل لا يولد بطلا ، والبطولة ليست وليدة لحظتها ، بل هى تربية واستقبال تنمو مع الانسان حتى تأتى لحظة يتوهج فيها البطل ويصبح واحدا من رواد القدرات الخارقة التى تجتاز امكانيات البشر ، فتعطى أعظم وأغلى العطاء .

عمره العسكرى

قبل الغوص فى حياة البطل ابراهيم الرفاعى ، ما هو التقييم القيادى لعسكريته ، وعملياته الهجومية ، وكلها لم يدع عن قائدها شيء على الاطلاق ، بينما العالم أجمع كان يتحدث عن جسارة وضراوة تلك المهام ؟

ـ أبسط جواب ، هو مجموعة الاوسمة والانواط التى أهدتها القيادة العليا للقوات المسلحة ، الى صدره خلال عشرين عاما ، هى عمره العسكرى .

ولد البطل يوم ١٩٣١/٦/٢٧ وتخرج فى الكلية الحربية يوم عيد ميلاده ، عام ١٩٥٤ .

والتحق بقوات الصاعقة ، فى بدء تكوينها بأبى عجيلة بسيناء ، تحت قيادة المشير أحمد اسماعيل على ، وكان برتبة مقدم ، وحصل « ابراهيم » على وسام بطولة الجيش ثم نوط الجلاء فى نفس العام .

وحارب فى ١٩٥٦ معركة بور سعيد . وتأكدت هناك شجاعته ومعدنه القتالى وروحه النضالية ورباطة الجأش التى يتمتع بها ، فقد واجه وحده فى بور سعيد عربتين انجليزيتين محملتين بجنود الاحتلال البريطانى ، وقادهما

بدهاء الى كمين أعده زملاؤه من رجال الصاعقة ، وقامت معركة ناجحة تكررت عدة مرات وكانت بمثابة نقطة البداية لمآثر ابراهيم الرفاعى الباسلة .

حصل بعد ذلك على نوط الاستقلال عام ٥٦ ونوط النصر عام ٥٧ ، ونوط الشجاعة العسكرى من الطبقة الاولى عام ١٩٦٠ ، ونوط الوحـــدة عام ٦١ ونوط الجيش عام ١٩٦٣ .

وبعد نتائج معركة ١٩٦٧ ، وقيامه بالمهام الانتحارية خلف قوات العدو فى سيناء خلال بداية النصف الثانى من عام ١٩٦٧ حصل مرة اخرى على نوط الشجاعة العسكرى فى ٢١ اغسطس ١٩٦٨ ، وكانت القوات الخاصة تقوم بعمليات هجومية ضد القوات الاسرائيلية دون أن تعلن قيادتنا عنها او تذيع شيئا من تفاصيلها ، ذلك لان الموقف العـــام لم يكن يسمح باذاعة مثل هذا النشاط ، فى الوقت الذى اختار فيه مقاتلو هذه الوحدات أصعب الطرق الحافلة بالموت ، وقد توحدت ارادتهم ، وتسابقهم نحو عبور القناة غنى بالعلامات المضيئة ، بالدلالات على أصالة المقـــاتل المصرى ، بالبطولات وأغلى التضحيات .. أعطاها الرجال بلا حدود أو حساب ، وفى أقصى ظروف السرية والكتمان ، فكانوا وقوداً للمعركة .

وقام البطل ابراهيم الرفاعى بدور قيادى مكثف فى تدريب الرجال ، ثم قيادتهم الى سيناء ، ومن الصاعقة كان أول شهيد من أبنائنا يدفع حيـــاته ثمنا لنصر مجموعته وسترها اثناء عودتها الى قاعدتها ، وهو « البطل الشهيد فاروق نجم » ، وقد استشهد فى أكتـــوبر أيضا ــ عام ١٩٦٨ ، وحصل على نجمة الشرف العسكرية ، ولم تعلم الجماهير ببطولته حتى يونيو ١٩٧٠ .

حصل الرفاعى ومنذ شهر اكتوبر ١٩٦٨ على النجمة

العسكرية ، ثلاث مرات ، تقديرا لبطـولته ، وقيادته الناضجة ، واستطلاعه لمواقع العدو بأعظم أشكال الجرأة والخبرة والايقاع الصارم فى الهجوم ، وفى احدى هـذه المهام دمر قطارا محملا بالذخيرة والسلاح للعدو ، وفى مهمة اخرى دمر المناطق السرية التىتضم مخازن تشوين الذخيرة الاسرائيلية .. حصل على النجمة العسكرية الاولى فى ٥ أكتوبر ١٩٦٨ ، وعلى الثانية فى ٢٣ أكتوبر عام ١٩٦٩ ، وعلى الثالثة فى ١٨ ديسمبرمن نفس العام ١٩٦٩ وكان قد ذهب الى فدائيى فلسطين يدربهم على أسلوب الصاعقة فى القتال الخاطف ويقود بعض عملياتهم ..

وجاء عام ١٩٧٠ ، واستمرت ذراعه القوية تطول قلب مواقع العدو قادما اليها من الاردن وسيناء ، يفجر فيها النيران والديناميت ويمارس القنص الحر ضد أفراده فى عرباتهم المدرعة ودباباتهم ، وفى أغسطس عام ١٩٧٠ توقف اطلاق النار ، لكن نشاط البطل فى سيناء هو ورجاله لم يتوقف أبدا حتى دارت حرب ١٩٧٣ ، الماجدة ، وهو فى تمام الاستعداد لها .

نعود الى عام ١٩٧١ ، وفى ابريل يحصل الرفاعى على نوط الواجب العسكرى من الدرجة الاولى مرة ثانية ، وفى اغسطس من نفس العـام يحصل على ترقية استثنائية تكريما لنشاطه العسـكرى السرى فى مسرح العـدو وابتكاراته فى تطوير واستخدام السلاح الخفيف ويهديه القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات ، هو ورفيق سلاحه «على» وسام نجمة الشرف العسكرية، أرفع وسام عسكرى حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، وكان يهـدى لأبرز الشهداء الأبطال فقط ، حتى عام ١٩٧٠ .

كان البطل الرفاعى جديرا بكلّ هذه الاوسمة ، لقد ازداد حجم أعمال قيادته ومهامها ونشاطها وحوله رجاله

العمالقة . يعملون خلف وحدات العدو ، ومناطق تمركز قواته التكتيكية واحتياطها الاستراتيجى طوال سنوات الصبر والصمت ، كما ارتفع معدل التدريب ومستوى برامجه ، على أساس الخطة العامة لتفاصيل الهجوم ومدى اتساعه ، وتضاعفت جولات الاستطلاع ، وجلب المعلومات عن كل جديد لدى العدو ، وظل الرفاعى يعمل بلا هوادة حتى أجازات الاعياد لم يكن يفارق خلالها ضباطه وجنوده، صقلتهم خبرات المعارك السابقة وقد تطعموا بها ،وصهرتهم التجربة العريضة الفنية بأرقى أشكال الهجوم الانتحارى طوال ٦٨ ــ ٦٩ ــ ٧٠ فاكتسبوا صلابة فولاذية على مجرى الحياة ، ونضجا وجسارة لخوض الحرب فوق مناخ قتـالى يعززه الدم المشترك والتآخى العميق بين الضباط والجنود، والخصال المعنوية العالية ، والثبات الارادى الذى زودهم بالفطنة والابداع وامتلاك السيطرة .

أصيب البطـل ثلاث مرات فى اليمن ورمانة ورأس التمساح .

وجاءت حرب ١٩٧٣ ــ الماجدة ــ وقبل أن تنزل ستائر اليوم الخالد ، كان الرفاعى ورجاله قد دمروا خزانات البترول فى بلاعيم وحرموا العدو منها ، ثم قام بعدة عمليات هجومية أخرى ، وسعادته كمياه البحار لا تفرغ أبدا ، تألق هو وعمالقته وأبدعوا أشرف وأنبل القتال وأشرسه ، وأصابته شظية وهو يواجه دبابات العدو ، وكان وساما جديدا فوق صدره ، واستشهد البطل مقاتلا فوق قدميه بمقدمة جنوده ، واهدى القائد الأعلى سيرته العسكرية ، وسام نجمة سيناء فى أعظم حفلات التكريم الوطنية التى شهدها جيلنا .

البطل لا يولد بطلا ...

ـ كيف تحقق هذا النسيج البشرى للمقاتل البطل الشهيد العميد أركان حرب ابراهيم السيد الرفاعى ؟

يقول شقيقه سمير :

ـ انه لم يكن وليد خبطة حظ عشواء بل نتاج طبيعى للايمان الفريد بالعسكرية المصرية عشقا وولها ، ولقد أعطاها حياته فى النهاية ، دفاعا عن كرامتها وشعلتها المضيئة .

ـ ولكن من أين نبعت بطولته ؟ والأبطال لا يولدون ابطالا .. ؟

ان بطولة الرفاعى هى جزء من عمره نمت معه منذ طفولته ، وهى بطولة لا تنمو الا فى بيئة الصدق والايمان والشرف ، والاسرة القوية المتماسكة ، وهى بيئة لا تظهر وتعيش بالتالى الا فوق مناخ انسانى راق ، يرتفع فوق أخطاء الانسان ومثالبه .

وذهبت الى الاب فى قريته ، والى الام ، والاشقاء والزوجة أستمع اليهم وانقل عنهم سيرة الفتى الابن الاكبر « ابراهيم » قبل أن يرتدى أشرف الزى وأعظمه ، ويهب مصر حياته مقاتلا فدائيا ، قائدا لوحدات كوماندوز قواتنا المسلحة .

انهم أربعة ذكور أشقاء ، أكبرهم البطل ابراهيم ثم سمير خريج كلية التجارة ، وثالثهم سامح بطل آخر كان له شرف السبق بالشهادة فى حرب اليمن عام ٦٣ ، ورابعهم المقاتل سامى ، اشترك فى معركة ١٩٧٣ بقوات الجيش الثالث البطل .

عام ١٩٥٦ بمعركة بور سعيد كان الاشقاء الاربعة يقاتلون دفاعا عن المدينة ، حمل العسكريون الثلاثة السلاح

بحكم انتمائهم الى القوات المسلحة ، وقد ضمتهم الصاعقة معا ، وحمل «سمير» السلاح وهو خريج التجارة كفدائي بعد أن تدرب عسكريا ، وقاتل مع زملائه ممثلين لطلبة تجارة عين شمس تحت اسم كتيبة ٤١٢ جامعة ، وحصل سمير على ميدالية وطنية .

كانوا أربعة عشر فدائيا .

وعندما قامت ثورة اليمن عام ١٩٦٢ كان الاشقاء الثلاثة « ابراهيم وسامح وسامى » يقاتلون معارك رأس العرقوب وصرواح ومأرب ، جنبا الى جنب واستشهد « سامح » فى ٢٥ مايو ١٩٦٣ .

لهذه الاسرة التى ضمت هؤلاء الابطال جذور عسكرية قديمة هى المناخ الذى أرضع « ابراهيم وسامح وسامى » عشقهم وايمانهم بالعسكرية المصرية .

يقول الاب :

ـ لولا ضعف بصر « سمير » لأصبح جنديا هو الآخر ، وقد عاش الاربعة ملتصقين متقاربين قلبلا وعقلا واحدا .

نعود الى المـاضى ، الى عام ١٩٤٠ ، والحرب العالمية الثانية فى بدايتها ، وابراهيم فى التاسعة من عمره وقد تعلق بجده لأمه ، وشقيق جده ، عم أمه ، وكان الاول قائدا للمدفعيـة وهو المرحوم القـائمقام عبد الوهاب لبيب ، والثانى هو المرحوم البكباشي أحمد حلمى من ضباط المشاة وأولادهما من العسـكريين ، وحاربا فى معركة تحرير السودان ، وكان الجيش هـو كل حياتهما فورثا « ابراهيم » هذا الحب .. حديثا وتربية وقصصا عسكرية بطولية مثيرة يروونها له عن الضابط أو الجندى المصرى .

فى هذا المنـاخ أخذت تنمو ملامح شخصية البطل ابراهيم ، من خلال اهتماماته فكان الاول فى شهادة الدراسة

الابتدائية على مستوى منطقة الغربية ، واشترى بعد أن ادخر من مصروفه بندقية صيد ، وطلب أن يقضي أجازته السنوية في قريتهم « الخلالة » مركز بلقاس ، يتدرب على صيد الحمام .

كل عام في مدرسة !

يقول لي الاب الاستاذ السيد الرفاعي ، والشموخ يملأ روحه وكلماته :

ـ بعد أن تخرجت في مدرسة الحقوق عملت معاون ادارة بأقسام الشرطة ثم مأمورا لها ، فقد كان نظام الشرطة في الأربعينات يقتضي أن يكون المأمور من رجال القانون ، وكانت تنقلاتنا كثيرة بحكم عدم انتمائي لحزب معين ، وهي تنقلات أشبه بالعقاب ، كل عام في مديرية !

اذكر ابراهيم وسمير في بداية المرحلة الثانوية ، انهما لم يستقرا عاما واحدا بمدرسة واحدة أول سنة لهما بالثانوى التحقا بطنطا الثانوية ، ثم بالمنيا الثانوية ، ثم بأسيوط الثانوية ، ثم مغاغة ، ثم كشك الثانوية بميت غمر ، ثم الزقازيق الثانوية ، وفي المدرسة الاخيرة حصل «ابراهيم» على الثانوية العامة ...

كان ولداي يستيقظان من نومهما قبل الفجر، بساعتين ليستقلا القطار ويلحقان بالمدرسة في موعدها .. ويعودان الى البيت بعد الغروب ليبدأ كل منهما مذاكرة دروسه ويستعدا للنوم ورحلة العذاب في الفجر التالى، ولم يتبرم أحدهما أو يشكو ، ولم يرسبا عاما واحدا ، وكان ابراهيم دائم المرح ، يكفيه أن يتسلق النخيل يوم الجمعة ويصطاد الحمام والسمك ، أو يدرب زملاء الدراسة على استعمال بندقية الصيد ، والنبلة ، والسباحة ، وكان سعيدا بهواياته ، وحوله دائما شقيقاه سمير ، والشهيد سامح .

ويستعيد الأب الشيخ ذكرياته مع ولده الاول ابراهيم، ويعود الى عام ١٩٤٨ ، والجولة الاولى مع اسرائيل فى فلسطين .

ـ « رأيت ولدى فى السابعة عشرة من عمره ، يعطى كل اهتمامه للاخبار الواردة عن جيشنا وهو يحارب دفاعا عن أرض فلسطين ، ويتدرب كل يوم بالبندقية ويسأل عن امكانيات التطوع والقتال هناك ، وعاد «شفيق شقيقى» وكان ضابطا احتياطيا حمل شرف القتال فى الخليل كما قاتل مع ابراهيم وسامح فى اليمن بعـــد ذلك ، عاد « شفيق » فى أجازة قصيرة الى قريتنا ، وتعلق به ابراهيم وحاول أن يقنعه باصطحابه معه الى أرض المعركة ، وكم اصابه الحزن حين لم يتحقق حلمه ، فطالبنى بالالتحاق بالمدرسة الثانوية العسكرية ، ووافقت أمام ميوله وارتباطه الكامل بالجندية المصرية ، وقد حصل على بطولة اختراق الضاحية عام ١٩٤٩ .

وقضى ابراهيم عامين بالمدرسة التحق بعدها بالكلية الحربية فى نهاية ١٩٥١ وتخرج بعد عامين من قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، مقاتلا بسلاح المشاة ثم الصاعقة ..

قال لى شقيقه المقاتل سامى :

ـ « كان الاول دائمـــا فى الرماية بين طلبة الـــكلية الحربية ، وفاز بشريط ترقية عندما تسبب فى فوز فريق الكلية على سلاح الفرسان بمباراة كرة القدم ، وعرفه الجميع قناصا من الدرجة الاولى ، ثم أخذ يقرأ كثيرا فى كتب السلاح وتاريخ الحروب والقادة ، وساعدته هذه القراءات على تحقيق ابتكارات رائعة فى استخدام الاسلحة الصغيرة واضافات متميزة لها ، لست بحل من الاشارة اليها ، ولكنها أعمال بارزة استقبلها خبراء التسليح فى قواتنا بتقدير كبير..

مع زوجة البطل

قالت السيدة نادية التهامى ، زوجة البطل ، وأم أولاده ليلى وسامح :

ـ « كان مغرما بكتب الثورات ، والاقتصاد والآداب ويحرص كل الحرص على اقتناء اى كتاب يصدر فى أى جهة من العالم عن العدو الاسرائيلى » .

« ولقد سافر كثيرا الى بلاد أوربية عديدة فى مهـام مختلفة ، ولأنه يجيد الانجليزية والفرنسية والروسية والعبرية يعود محملا بالكتب الصادرة بهذه اللغات ، وباللعب لسامح ولده ، وهى دائما مسدسات ودبابات وأدوات تنشين ، وكثيرا ما صحبه وهو فى الثامنة من عمره ليبقى معه عدة أيام فى مشاريع المنـاورات ، واجازاته الدراسية السنوية مع أبيه دائما فى معسكر الصاعقة » .

ولقد استشهد شقيق السيدة نادية بعد استشهاد زوجها بأيام قليلة ، وقالت الأم الصلبة لأولادها :

ـ « لكما أن تفخروا بأبيكما وخالكما وعمكما من قبل، لقد اختار الله لهم أشرف النهايات » ...



سلام عليكم أيها البطل العملاق الرفاعى .

سلام على ثروتك العسكرية التى زرعتها فى أرواح ضباطك وجنودك .

سلام على سيرتك مقاتلا حيا وشهيدا ، ودما نابضا ساخنا متدفقا تتفتح امامه شرايين الاجيال القادمة .

ان الشهيد لا يموت ، بل يبقى كالجبل كالنهر ، تتجدد حياته بتجدد النهار والليل ، لتبقى مصر رافعة لرايات النصر ..

سدراك - بطل الصمود

هو واحد من الصامدين فوق ضفة القناة غرب منذ عاد بالرغم منه الى قاعدة الألم والمرارة ومناخ الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ ..

ولكن البطل تجاوز الواقع المؤلم الى رؤيا جديدة .. هى ضرورة العودة للقتـــال مرة أخرى ، ورفع راية استمرار المعركة ..

ولقد قاتل سدراك برجاله معارك متميزة فى سيناء عام ٦٨ ــ ٦٩ ــ ٧٠ .. ولكنه كان يعود بهم دائمـــا الى الغرب ..

وفى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عبر المقاتل سدراك الى سيناء وكان يعلم انه ذاهب ليتمركز فوق الارض الاسيرة بعد تحريرها .. ولذلك جاد بالروح وهو يتقدم قواته فى القطاع الاوسط من سيناء بمســافة كيلو متر .. وهى مسافة متميزة فى لغة الميدان والحروب .. ولكنها خاصية القائد المصرى التى أظهرتها العسكرية المصرية فى حرب رمضان ..

ولقد كان البطل المقـــاتل الشهيد لواء شفيق مترى سدراك هو أول الابطال الذين كرمهم القائد الاعلى الرئيس أنور السادات فى الجلسة التــاريخية الوطنية بمجلس الشعب صباح ١٩ فبراير ١٩٧٤ ، اكبارا وتكريما لسيرته

العسكرية وكفاءته القتالية ، واستشهاده البارز فدية للنصر وطليعة له ..

المقاتل البطل الشهيد لواء شفيق مترى سدراك .

من مواليد عام ١٩٣١ ــ قرية المطيعى مركز أسيوط لأب كان يعمل بالتدريس الثانوى .

قضى بكلية التجارة عامين ثم عاد الى الكلية الحربية وتخرج فيها عام ١٩٤٨ ، مقاتلا بسلاح المشاة .

خدم فى السودان الشقيق مرتين .

حصل على شهادة أركان حرب وهو برتبة رائد .

عمل مدرسا لمادة التكتيك بالكلية الحربية ثم كبيرا للمعلمين بها .

اشترك فى معركة أبو عجيلة عام ١٩٦٧ وهى من أشرف وأرقى معارك قواتنا فى تلك الجولة المشئومة ، وكان قائدا لكتيبة مشاة ، وقد حصل على ترقية استثنائية لقيادته البارزة وتكبيد العدو قدرا هائلا من الخسائر فى الارواح والعتاد .

منذ نهاية عام ١٩٦٧ ، وهو يحارب فوق الضفة الغربية حتى أستشهد يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ ، قائدا لقوة لواء مشاة فى القطاع الاوسط بسيناء ...

عبرت وحدات كثيرة من قواته مرات عديدة الى سيناء، خلال معارك الاستنزاف عام ٦٩ ــ ٧٠ ، وكان لمعاركها فى قلب مواقع العدو نتائج عسكرية قتالية على درجة كبيرة من الاهمية . فى مناطق بور سعيد والدفرسوار شرق وجنوب البلاح والفردان .

كان من أوائل خريجى أكاديمية ناصر العسكرية العليا، ويعتبر واحدا من علماء قواتنا المسلحة فى العلوم العسكرية والتكتيك .

عبد التواب، وحواش

كان صموده قويا كالصخر ..

وهجومه شامخا كالسماء ، ولقد قاتل أجسر القتال جرأة وانتحارا ، وصـــمد أشجع الصمود وأنبله أمام الحصار والنيران تنهال عليه من الطـــائرات والمدفعية والدبابات ، وتألق وأبدع وهو يتجاوز كل هذه الظروف ويقود كالعملاق من مواقع قواته المحاصرة هجوما مضادا لم ينقطع أو يتوقف قط ، فأضاف الجديد الى سـجل الشرف والفخار لقواتنا المسلحة ، وأدخل « كبريت » التاريخ من أخلد وأمجد أبوابه ، وقدم حياته فدية لتفوق المقاتل المصرى وتأكيد نوعيته واستمرار ســـيطرته وصموده .

انه البطل الشهيد العقيد ابراهيم عبد التواب أحمد ، قائد ملحمة كبريت ، والحاصل على نجمـــة سيناء من الدرجة الاولى .

لقد بلغت أنباء الحصار والقتال حول كبريت مسامع العالم طوال أيام حصارها التى استمرت أربعـة أشهر ونصف ، عاشها رجالنا فوق بركان نهارى ليلى من نيران صواريخ الطائرات الاسرائيلية ودانات دبابات العـدو ومدفعيته ، وأثارت بالدهشة كلها معلقين عسكريين فى الغرب والشرق ، فتحدثوا عنها بالتحليل والتفسير ..

كيف صمد المقاتلون المصريون !؟

من أين حصلوا على الذخيرة والسلاح ومواد الاعاشة وهم القوات المحـــاصرة من الضفتين الشرقية والغربية « بعد وقوع ثغرة شارون » وتدفق قواته الى الجيب الاسرائيلى كيف حصلوا على هذه الامدادات .. لا من أجل الدفاع عن بقائهم ، بل ليشنوا هجوما مضادا يتكرر كل عدة أيام ، ويحققون مكاسب مرحلية صغيرة ، ولكنها تترك أسوأ الأثر فى جسد القوات الاسرائيلية وعقـــل قيادتها !؟ ..

ولقد فطن بعض المعلقين العالميين الى الحقيقة ، فقالوا انها الروح المصرية الجديدة التى قادوا من خلالها هجوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ والعلاقة النفسية التى تربط المقـــاتل المصرى بأرضه فى كبريت أو سـيناء أو غيرها ــ هـذه العوامل وحدها هى دعائم ذلك الهجوم الذى تشنه تلك القوات قليلة العدد المحاصرة فى كبريت ضد قوات تفوقها عددا وسلاحا ، مما نشر قدرا كبيرا من الهلع والخوف والرعب لدى قادة وقوات الحصار الاسرائيلية وأصابهـا بالشلل امام جسارة ومفاجأة المصريين لهم .

البطل عبد التواب

هى الحقيقة التى ذكروها ، لقد أسقط أبطال كبريت من حســـــاباتهم اليومية ، من لغتهم كلمات المرونة أو الاستسلام أو الخوف والجوع والعطش ، وكانوا عمالقة وهم يطبقون هذه الشعارات الى واقع عملى فوق مواقعهم فجسدوا الشرف المصرى والكرامة المصرية فى أرقى الصور والسلوك .

وتسى القادة والضباط والجنـــود من قوات الجيش الثالث على حد تعبير اللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث « الاسماء العسكرية » لوحدات هؤلاء الرجال المحاصرين

الشجعان ، وكنا نشير اليهم فنقول « رجال كبريت » .
لقد هاجم رجالنا مواقع العدو فى كبريت شرق يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وهى مواقع هندسية حصينة أشبه بمنطقة عسكرية متكاملة ، وفى ٩ أكتوبر سقطت فى أيدى قواتنا ، ووقع فى الاسر ضباط العدو من الاحياء وجنودهم بعد معركة ضارية فقدت فيها القيادة الاسرائيلية عشرات الطائرات عبر غارات مستمرة ليل نهـــار منذ ٦ حتى ٩ أكتوبر حتى لا تسقط هذه المواقع الضخمة فى أيدينا فهى تمثل أهمية استراتيجية كبرى لتحكمها فى المنطقـة شرقا وغربا ، وكانت « مدخلا للثغرة » حين خططوا لها قبل أكتوبر ١٩٧٣ لمواجهة عبور القوات المصرية قنـاة السويس ، ولم يكن فى حساباتهم أن يواجهـــوا رجالا لا يخفضون السلاح قط ويقودهم بطل من ديروط هو المقاتل ابراهيم عبد التواب ، فخر مشاة الاسطول .
ـ كانت القـــوات الاسرائيلية قد دخلت من الثغرة احاطت بمواقع قواتنا فى كبريت شرق من كل جانب حتى أصبحت كجزيرة محاطة ببحر كبير من قوات العدو وكان عدد أفراد قواتنا فى كبريت ما يقرب من مائتى مقاتل ، وبعض الدبابات ، وهاجمت قوات اسرائيل بأعداد ضخمة جدا من كل جانب ، كان هجوما دائريا مكثفا بالنيران ، اشتركت فيه ٤٠ دبابة للعدو وكثير من المدفعيات ، ثم ركزوا على رجالنا بالطائرات تسقط قنابلها ألف رطل فوقهم .. نهارا وليلا وكانت مفاجأة ضخمة للعدو حين فوجىء برجالنا لا يستسلمون بل يفتحون نيرانهم يشتبكون مع قواته ويسقطون طائراته ، ويتقـــدم جنود المدفعية المضادة للدبابات فيلتحمون بدباباته يدمرونها ويشعلون النيران فى وحداته المدرعة المهـــاجمة فيرتد هلعا الى الانسحاب .

وكان لهذه الاعتبارات أسوأ الأثر على معنويات ضباط وجنود العدو ـ خاصة عنـــدما قامت قوات البطـــل عبد التواب بهجوم مضاد ناجح ثم يتكرر هذا الهجوم بالمفاجأة كلها .

كان عبد التواب أعظم المثل للقـــائد المصرى الجسور وأصالته الفريدة المتميزة ، وذاته المتفردة بتكوينه وسلوكه وتفكيره وايثاره لجنوده وضباطه .

عروض العـدو

لقد عرض العدو على قوات كبريت حين فشل هجومه المتكرر لاسترداد مواقعه القديمة التى استغلتها قواتنا أمثل استغلال ـ عرضوا عليهم بعد تدمير الحصار أن يخرجوا سالمين بدون سلاح فكان الرد هجـوما انتحاريا شنه أبطالنا ، وعاد العدو يعرض خروج رجالنا بالسلاح وتوفير السلامة الكاملة لهم ، وجاء الرد مرة ثانية بفتح النيران المصرية من اتجاهات لم يتوقع العدو أن يظهـر رجالنا فوقها .

وجاءت الطائرات الاسرائيلية بعد ذلك تلقى قنابلهـــا وصواريخها جو ـ أرض ، ولكن مقاتلينا أسقطوها بكل الشموخ .. ووقفوا عمالقة صناديد رافعين لراية مصر فاتحين نيرانهم مطورين قتالهم ، مجـــددين هجومهم ، متجاوزين الموت فى كل ساعة من ساعات الحصار المحكوم جيدا حولهم .

قال لى أحد مقاتلى كبريت :

ـ قال لنا القـائد عبد التواب ، هذا قدرنا ، ويوم نفضل الحياة على الاستشهاد فسنصبح وصمة فى جبين مصر .. سندافع عن كبريت ، بالهجوم المضاد المستمر ، لنجعل أسلوب قتـــالنا صفحة فريدة بارزة فى تاريخ

العسكرية المصرية ، أنا شخصيا ساشترى بعمرى ، سلامة كبريت » ...

وبالاصرار كله وبالعناد والارادة الحديدية والثبات المعنوى قام خريجو العلوم من جنودنا بتقطير الماء من البحيرات ، وحصلنا على الطعام من الاغارات التى كنا نقوم بها على مواقع العدو ، واتصلنا بقيادة الجيش الثالث ، وجاءت الذخيرة ومعها الطعام ، وكميات من الماء ، وبعض الأطباء ، وقمنا بهجمات جديدة ناجحة وطهرنا بعض المواقع وسيطرنا عليها تماما وبلغتنا تهنئة القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وتهانى قائد الجيش وشعرنا بأننا مزودين بحماية ورعاية الله ، وان مصر كلها تنظر الينا.

كان القائد عبد التواب يصلى بنا الفجر كل صباح ، ويطلب من المقاتلين المسيحيين قراءة الانجيل كل يوم ثم يقود الهجوم بنفسه ضد دبابات العدو .. ذات يوم دمر وحده ٣ دبابات باتون ، وقال الفضل للجنود حولى ، بدونكم ، وبدون أصالتكم ، ماذا أستطيع أن أحققه !!

وظل آخر من يأكل ، وآخر من ينام ، وعندما تغمض عيوننا تبقى عينه مفتوحة يقظة تكشف ظلام الليل ، كان القوة والاقتدار والجسارة فى أرواحنا ، حتى قدم البطل روحه فداء للنصر فى احدى معاركنا الهجومية التى خاضها يوم ١٤ يناير ١٩٧٤ ، وكان كعادته دائما يتوضأ ويصلى قبل فتح النيران .

وقال مقاتل آخر :

ـ « طلب القائد ازالة شعور رؤوسنا للوقاية من الامراض بعد أن قررنا توفير مياه غسل الرأس والاستحمام للشرب فقط ، وشاهدنا مراقبو قوات العدو ، فاذا بهم يزيلون شعورهم جميعا ، ويضعون كمامة الغازات فوق صدورهم ..

وضحكنا حين رأيناهم ، لقد تخيلوا اننا نستعد لشن غارات بالغاز عليهم حين أزلنا شعرنا حتى يسهل ارتداء الكمامة واستعمالها بسهولة ، فحاولوا أن يشعرونا أنهم هم أيضا على استعداد مثلنا !! »

« ماذا تسمى هذا التصرف ؟ »

ـ « لا شيء بغير الخوف والقلق والرؤيا المضطربة » .

هديتى لأولادى

قالت لى زوجة البطل :

ـ كان يحمل المصحف فى جيبه دائما ، وعندما أصيب قال لرفيق سلاحه خليل :

ـ « احمل هذا المصحف الى اولادى .. انه هديتى لهم » .

لقد تزوجته عام ١٩٥٩ ، ورأيته انسانا عاشقا لمصر وللعسكرية المصرية ، عشقا يفوق الكلمة والمعنى ، وقاتل بقوات الصاعقة ، وخدم مدرسا بالكلية الحربية ، ووقعت أحداث ٦٧ فطلب نقله الى تشكيلات الميدان ومنذ عام ٦٨ ، وهو يقاتل بالجيش الثالث ، وفى عام ١٩٧١ ، انضم الى قوات مشاة الاسطول حيث استشهد وهو يقود رجاله فى منطقة كبريت .

لقد زارنى بعض ضباطه وجنوده ، وقالوا لأولاده :

ـ « حين عبر أبوكم مياه القناة يوم ٦ أكتوبر أصيب زورقه بطلقة مدفع اسرائيلى .. فنزلوا الى الماء وعبروا سباحة وهو يتقدمهم الى الضفة الشرقية وقد فتحوا رشاشاتهم قبل الوصول الى الشاطىء ، وكانت معركة من أشرف معارك الالتحام قادها البطل ابراهيم عبد التواب ، ورآه ضباط وجنود آخرون ، فتركوا القوارب وعبروا سباحة ..

انأباكم تجاوز قوانين البطولة واخلاقياتها التيحددها التاريخ والدفاع عن الوجود الانسانى .. ان أباكم كان يقول لنا :

ـ « اننى أسمع صوت قدرى » .

وتسكت الأم قليلا ثم ترفع رأسها وتتكلم :

ـ « يكفينى أن الناس يشيرون الى أولادى ويقولون :

ـ « هؤلاء أبناء البطل عبد التواب » .

تحية لك بالاكبار والخشوع أيها العملاق المقاتل ابن قرية كودية الاسلام مركز ديروط ..

ستظل ذكراك ، سيظل قتالك دفاعا عن كبريت نورا ساطعا أمام الاجيال ، باقيا بقـــاء الايام واللغة وميلاد الانسان .

البطل حواش .. بطل المظلات

البطل الشهيد المقدم صلاح عبد السلام حواش ..

واحد من أبطالنا ، أغلى ما قدمناه للمعركة ، كان اسمه بين أسماء العمالقة الذين كرمهم القائد الأعلى للقـوات المسلحة الرئيس القائد محمد أنور السادات ، فى ذلك اليوم المحفور فى قلوب وأذهان شـعبنا يوم ١٩ فبراير ١٩٧٤ ، حيث جاء الزعيم البطل قائد النصر الى مجلس الشعب ليكرم أبطال حرب رمضـــان المـاجدة وقواتنا المسلحة الشامخة ، ويشترك معه فى تكريم المنتصرين ممثلوا الشعب ووزرائه ، وعاش الوطن العربى يوما من أروع وأحب أيام العمر المعدودة ..

من بين العمالقة أعلن اسم البطل حواش ، أحد مقاتلى مدفعية قوات الابرار الجوى البارزين .

من مواليد المنوفية ـ ٢٧ ديسمبر ١٩٤٤ .

روت لى أم البطل « السيدة زكية القطان » :

تزوجت والده الحاج عبد السلام حواش على القطان ، فوجدته رجلا يخاف ربه ولا يعرف غير الصدق فى حياته وثورة ١٩ تملأ قلبه وعقله وعواطفه ، وقد أرضعها حديثا لأبنائه الأطفال .

وزوجى ابن أسرة أكثر أفرادها من العسكريين ، وقد تعلقت أحلام ولدنا الشهيد صلاح بهم منذ طفولته ، وحين قامت الثورة عام ٥٢ كان عمر صلاح ٨ سنوات ، وبلغ الثانية عشرة فكانت اهتماماته بالثورة وزعمائها أكبر من عمره وأحاديثه ، وأبوه يشجعه ، وقد ملأ جدران البيت بصور جمال عبد الناصر ، وزملائه الثوار ، واستعراضات الجيش فى ٢٣ يوليو من كل عام ..

وتشبع صلاح بالعسكرية تشبعا جعله يقرر الالتحاق بالكلية الحربية قبل أن ينتهى من دراسته الثانوية ، وكان فعلا من أوائل خريجى الكلية الحربية ، فضلا عن غرامه بالقراءة والتمسك بتعاليم الدين ..

ويروى الأب وولده فتحى :

ـ وهو طالب بمدرسة الفسطاط الثانوية ، انضم الى مجموعات الفتوة وبرز بينها ، وقفز من احدى طائرات الهليكوبتر بعد أن تدرب على ذلك ، وتنبأوا له بمستقبل لامع فى سلاح المظلات ، وتأكدت النبوءة ، واستشهد صلاح مقاتلا بقوات الابرار الجوى فى عمق القنطرة شرق » ..

لقد قاتل البطل ضابطا بمدفعية قوات الابرار الجوى ـ معركة تحرير شمال القناة شرق ، وظل فاتحا لنيرانه مقتحما للعدو، قائدا لجنوده ، مسيطرا على مسرح المعركة ثلاثة أيام كاملة وصعد الى رحاب الله مساء ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، بعد أن كبدوا العدو قدرا هائلا من الخسائر فى المعدات والافراد ، فقد دمروا ٦٧ دبابة اسرائيلة .

تعود « الأم » وتستعيد ذكرياتها :

ــ « لقد أثلج الله صدره قبل أن يختاره لحرب ٧٣ كان حزنه أليما بعد معركة ١٩٦٧ ، ان ولدى المقاتل صلاح كان مثل عشرات الآلاف غيره عاشقا للعسكرية المصرية ولواجبه الوطنى ، كان حزبنا لانه عاش وشهد النكسة ، ثم استرد نفسه » .

« فى مرحلة الدراسة الثانوية اختاروه بعد اختبار عمل حكمدارا للتدريب العسكرى ، وذهب الى جميع معسكرات العمل بأنحاء الوطن هو وصديق طفولته ورفيق سلاحه أبو بكر ، وعندما تخرج وحصل على شهادة التوجيهية كان أمامه كليات عديدة تقبله ، ولكنه آثر الكلية الحربية.

وطوال ٦٨ ــ ٦٩ ــ ٧٠ صمد يحارب فى بور توفيق وجنوب غرب القناة ، رافضا الاجازات الشهرية بل انه قضى ٧ أشهر دفعة واحدة عام ٦٨ بين جنــوده مكتفيا بالخطابات يتبادلها مع أسرته حتى قامت حرب الاستنزاف وقام بواجبه .. ساعتها عاد ليرى والديه وأشقائه .

وتزوج البطل صلاح وانجب مى وأحمد والتحق طالبا منتسبا بكلية أصول الدين ، ولقد حصل بعد استشهاده على دبلوم الكلية ، حمله أحد السعاة الى منزل الشهيد ، ودون أن يعلم بما حدث طلب « الحــلاوة » من زوجة البطل ..

ولقد أعطته ..

قال لى بعض رفاق السلاح :

ــ حين تقرر العبور ، ذهب وتوضأ على الفور ، ثم اخذ يصلى فوق الرمال ، وجنوده يؤدون الصلاة خلفه ، بعد ذلك خطب فى المقاتلين ، تكلم قليلا ، واختتم كلمته بالآية الكريمة « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » ثم اندفع الى القناة شرق .

فهرس

صفحة

صفحة

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ـ ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

البرازيل :

Sr. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL



هذا الكتاب

بعد ثلاث سنوات من حرب اكتوبر الماجدة ، يصدر هذا الكتاب « العسكرية المصرية فوق سيناء » ليحاول ان يضع بين يدى قارىء العربية سجلا دقيقا لكل العمليات الحربية على مستوى اسلحة البر والجو والبحر ، ومن هنا كان لابد من طول انتظار حتى يتسنى الحصول على التصريح بنشر المعلومات التى حصلنا عليها من خلال المعايشة الميدانية للمقاتلين اثناء الحرب فوق مسرح سيناء ، ومن اللقاءات التى تمت بعد وقف القتال مع قادة اسلحة واجهزة القيادة العامة •

لم يكن ذلك العمل بالسهولة التى قد يتخيلها المرء ، فقائد دبابات اكتوبر لم يتكلم مثلا عن معارك رجاله ، وعن تجاربه القتالية الا فى نهاية عام ١٩٧٥ ، ورغم ذلك لم يذكر كل شىء ••• فمازلت هناك تفاصيل وأسرار ذات مستوى عال لم تذع بعد عن حربنا الخالدة •

وفي هذه الايام التى يصدر فيها « كتاب الهلال » عارضا قطاعا متصلا عن العسكرية المصرية فى اختبارها العملى ، يسرنا أن نشير الى أن « كتاب الهلال » كان اول من تنبأ بالنصر ، حين اصدر عددا خاصا من سلسلته في يوليو ١٩٧٢ بعنوان « انور السادات قصة ايمان بالعسكرية المصرية » كتبه ذات المؤلف لهذا العدد ، وكان الكتاب علامة خضراء تشير الى حتمية النصر تحت قيادة المناضل المقاتل الرئيس محمد انور السادات •

٢٥ قرشا